مرکز القائمیة اصفهان للبحوث والتحریات الکمبیوتریة

السلام علیک یا صاحب الزمان

www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.ir

هادي المدرّسي

أخلاقيات الإمام علي
أمير المؤمنين (ع)

قراءة في تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق والمعارض المخلص، والحاكم العادل

الجزء الثاني

بسم الله الرحمن الرحیم

اخلاقیات الامام علی امیرالمومنین علیه السلام

کاتب:

هادی مدرسی

نشرت فی الطباعة:

دار العلوم

رقمی الناشر:

مرکز القائمیة باصفهان للتحریات الکمبیوتریة

الفهرس

الفهرس ----- ۵

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین علیه السلام المجلد ۲ ----- ۸

اشاره ----- ۸

اشاره ----- ۸

اعتماد الشوری فی الحکم ----- ۱۶

حقوق متبادله: ----- ۲۱

اساسات حکم الشوری ----- ۲۷

الأوّل - تأمین الحرّیات: ----- ۲۷

توضیح ----- ۲۷

الحریات السیاسیه ----- ۲۹

أولا - حریه إبداء الرأی: ----- ۲۹

ثانیا - حرّیه الاجتماع و التنظیم: ----- ۳۱

ثالثا - حریه المعارضه: ----- ۳۲

الثانی - حاکمیه الناس: ----- ۳۳

الثالث - قداسه القانون: ----- ۶۶

الرابع - احترام حقوق الإنسان: ----- ۷۰

الاعتراف بحق المعارضه ----- ۷۲

الالتزام بالعدل ----- ۱۰۱

مفردات العدل ----- ۱۱۷

اشاره ----- ۱۱۷

أولا: التزام العدل فی تقسیم أموال العامه و هو یعنی أمرین: ----- ۱۱۸

ثانیا - إنصاف المظلومین ----- ۱۲۴

ثالثا - الامتناع عن التعدّی و البغی: ----- ۱۲۶

رابعا - الامتناع عن الکبر، و التکبّر، و الترفّع عن الناس: ----- ۱۲۷

خامسا - التشدّد مع المسؤولين لمصلحه العامه: ----- ۱۳۳
سادسا - الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاه: ----- ۱۳۳
سابعا - مساعده الجميع، و اللطف بهم: ----- ۱۳۶
ثامنا - المساواه، و عدم التمييز: ----- ۱۳۹
تاسعا - مجازاه المسیء، و الإحسان إلى المحسنين: ----- ۱۵۸
عاشرا - الاهتمام بعامه الناس دون الخاصه منهم: ----- ۱۶۰
الحادی عشر - التزام الحق فی جبایه الضرائب: ----- ۱۶۱
التشدد مع النفس ----- ۱۶۲
التشدد مع الأقرباء ----- ۱۶۸
التشدّد مع المسؤولين ----- ۱۷۷
مواجهه المتكبرين بالحزم ----- ۱۹۷
الاحتياط فی إراقه الدماء ----- ۲۰۴
إنصاف العدو ----- ۲۱۳
العفو مع الاقتدار ----- ۲۳۹
الرفق فی جبایه الخراج ----- ۲۵۳
الاهتمام الشخصی بالأيتام ----- ۲۶۱
اعتماد لغه الرحمه فی القضاء ----- ۲۶۶
لا حكم على من لا يعرف الحكم ----- ۲۶۸
إلغاء الحدّ مع الاضطرار ----- ۲۷۰
إثاره الوجدان و الضمير للتراجع عن الرجل ----- ۲۷۲
اعتماد الحقائق العلميه فی المسائل القضائيه ----- ۲۷۶
التشدّد مع المحتالين و الذين يؤذون الناس ----- ۲۷۹
الاقتصاص من الباطل ----- ۲۸۳
ثلاث نساء و ثلاث قضايا ----- ۲۸۶
اشاره ----- ۲۸۶
ثلاث نماذج من مواقفه مع المرأه ----- ۲۸۷

اشاره ----- ۲۸۷
مع شاکیه ----- ۲۸۷
أما مع الأرمله: ----- ۲۹۰
أمّا الزانیه: ----- ۲۹۲
التدقیق فی الشهود للاحتیاط فی إجراء الحدود ----- ۲۹۸
التوبه فی البیت أفضل من إقامه الحدّ علی الملأ ----- ۳۰۹
العفو عن القائل لنجاته بریئا باعترافه ----- ۳۱۵
التوسل باللاشعور للکشف عن الحقیقه ----- ۳۱۸
التوسّل بعاطفه الأمومه لمعرفه الحقیقه ----- ۳۲۰
تشریعات لأصحاب الحیوانات ----- ۳۲۲
أحکام صائبه و أخلاقیات رفیعه ----- ۳۲۴
نماذج من الاحکام الصائبه و الاخلاقیات الرفیعه ----- ۳۲۴
الفهرس ----- ۳۴۰
تعریف مرکز ----- ۳۴۳

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین علیه السلام المجلد ۲

اشاره

پدیدآوران: مدرسی، هادی (نویسنده)

اخلاقیات الامام علی امیر المومنین(علیه السلام)

عنوان های دیگر: قراءه فی تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاکم العادل

ناشر: دار العلوم

مکان نشر: بیروت - لبنان

سال نشر: ۱۴۳۱ ق یا ۲۰۱۰ م

چاپ:۱

موضوع: اخلاق اسلامی

علی بن ابیطالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. - اخلاق

علی بن ابیطالب(ع)، امام اول، ۲۳ قبل از هجرت - ۴۰ق. - خطبه ها

زبان: عربی

تعداد جلد:۳ج

کد کنگره: BP ۳۷/۴ /م ۴ الف ۳

ص: ۱

اشاره

أخلاقيات الإمام علی أمیر المؤمنین علیه السّلام

قراءه فی تعاملات الإمام من موقع المؤمن الصادق و المعارض المخلص، و الحاکم العادل

هادی المدرّسی

الجزء الثانی

ص:٣

بِسْمِ اللّهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۱)

اَلْحَمْـدُ لِلهِ رَبِّ الْعالَمِينَ (۲) اَلرَّحْمنِ الرَّحِيمِ (۳) مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ (۴) إِيّاكَ نَعْبُدُ وَ إِيّاكَ نَسْـتَعِينُ (۵) اِهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ (۶) صِراطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَ لاَ الضّالِّينَ (۷)

أخلاقيات الحاكم

ص:٧

اعتماد الشوری فی الحکم

ینقسم المجتمع البشری، بشکل عام، إلی فئتین: حاکمین و محکومین، أئمه و أمم، أمراء و شعوب، و العلاقه الممکنه بین الطرفین لا تتعدّی تصوّرات ثلاث:

إمّا الاستبداد، و إمّا الفوضی، و إمّا الشوری.

فإذا کانت العلاقه تقوم علی أساس أن للحاکم امتیازات من دون أن تکون علیه التزامات، و إن له حقوقا، و لیست علیه واجبات، و أن من حقوقه أن یقرّر، و من واجب الناس أن یطیعوه، کانت العلاقه حینئذ مثل العلاقه بین مجموعه من «القاصرین» و بین «قیمهم».. و کان الاستبداد!

أمّا إذا کانت العلاقه بدون أسس بین الطرفین، فهی الفوضی.

و فیما إذا بنیت الأسس برضا الطرفین، و ضمن حدود «تقابل الحقوق و الواجبات» فهی الشوری.

ص:٩

و فى الحق.. لا بديل عن الاستبداد.. إلّا الشورى.

و لا بديل عن الفوضى.. إلّا الشورى.

و لا بديل عن الشورى.. إلّا الفوضى أو الاستبداد.

فالشورى هى الملجأ، و هى الحلّ، و غيرها باطل الأباطيل، و قبض الريح.. فمن استبدّ برأيه هلك(۱)

و «الاستشاره عين الهدايه»، و قد خاطر من استغنى برأيه(۲)

وَ أَمْرُهُمْ شُورى بَيْنَهُمْ (۳) لأنه «ما تشاور قوم إلّا هدوا إلى رشدهم»(۴).

و إذا كان «حق على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العقلاء و يضمّ إلى علمه علوم الحكماء فى الأمور الشخصيه، و القضايا العاديه فكيف فى الأمور العامّه، و قضايا الناس»(۵) ؟.

و لقد وضّح الإمام على عليه السّلام رأيه الصريح فى هذه المسأله قائلا: «ما هلك امرؤ عن مشوره، و نعم المؤازره المشاوره، و من استقبل وجوه الآراء عرف مواضع الخطأ: «و قد قال

۱- غرر الحكم و درر الكلم.
۲- النهايه فى غريب الحديث: ج ۳، ص ۴۲۱.
۳- سوره الشورى، الآيه: ۳۸.
۴- نور الثقلين: ج ۴، ص ۵۸۴.
۵- غرر الحكم و درر الكلم.

رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «ما ندم من استشار». فاعلموا أن الخطأ مع الاستشاره خیر من الصواب مع الاستبداد. فتعوّذوا من سکرات الاستبداد بصحوات الاستشاره، و اعلموا أن الرأی یسد ثلم السیف، و السیف لا یسد ثلم الرأی. فلا یرفع أحدکم صوته بغیر حجّه علی أحد، و اعلموا أن الظفر لمن احتجّ، لا لمن لجّ»(۱).

ثم إنه علیه السّلام بیّن علّه الأمر بالمشاوره فقال: «إنّما حضّ علی المشاوره لأن رأی المشیر هدف، و رأی المستشیر مشوب بالهوی(۲) ، و لقد جاء فی التوراه: «من لا یستشیر یندم»(۳).

إذن «من شاور ذوی العقول، تأمن من الزلل و الندم»(۴).

و جاء فی حدیث للإمام قال: «قلت یا رسول اللّه.. إن عرض لی أمر لم ینزل فیه قضاء فی أمره، و لا سنّه فکیف تأمرنی؟

قال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «تجعلونه شوری بین أهل الفقه و العابدین من المؤمنین و لا تقضی فیه برأی خاصه»(۵) و یقول أیضا: «بعثنی

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۳۴.

۲- غرر الحکم و درر الکلم.

۳- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۰۰.

۴- غرر الحکم و درر الکلم.

۵- کنز العمّال: خ ۱۴۴۵۶.

رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى اليمن، فقال و هو يوصينى: «يا علىّ: ما حار من استخار، و لا ندم من استشار»(۱).

و قد روى عن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قوله: «إذا كان أمراؤكم خياركم، و أغنياؤكم سمحاؤكم، و أموركم شورى بينكم، فظهر الأرض خير لكم من بطنها»(۲).

و روى عنه أيضا: «من جاءكم يريد أن يفرّق الجماعه، و يغصب الأمّه أمرها، و يتولّى من غير مشوره فاقتلوه، فإن اللّه قد أذن ذلك»(۳).

«و المراد المشوره فى التصدّى لأصل الولايه لا المشوره فى أعمالها لأن الأمر فى الآيه الشريفه «و أمرهم». و فى الروايات ينصرف إلى الحكومه(۴).

و هكذا فإن الدوله فى الإسلام مبنيه على الشورى فى كل شؤونها، و من الضرورى تحكيم الشورى فى الدوله الإسلاميه، و فى العالم أجمع، فيجب أن تكون كل الأمور من القريه إلى العاصمه و مرورا بالمعمل و المصنع و المطار

۱- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۰۰.

۲- تحف العقول: ص ۳۶.

۳- عيون أخبار الرضا: ج ۲، ص ۶۲.

۴- دراسات فى ولايه الفقيه: ص ۴۹۷.

و اتحاد الطلبه و المـدارس و الجامعات و غيرها مبنيه على الشورى(۱). «فالشورى تنتهى بالمجتمع إلى القمّه، و الاستبداد ينزل به إلى الحضيض»(۲).

و السؤال الآن هو: علام تقوم الشورى؟ و ما هى مفرداتها؟

و الجواب: إن حكم الشورى يعتمد على أسس أربعه:

الأول - تأمين الحريات، بما فيها حريه إبداء الرأى، و حريه الاجتماع، و حريه التنظيم، و حريه المعارضه(۳).

الثانى - حاكميه النـاس. و حقّهم فى اختيار الوالى، و حقّهم فى تقرير مصائرهم فى الحرب و السّلام، و ضـروره خضوع الأقليه للأكثريه.

الثالث - قداسه القانون، و مساواه الناس أمامه حاكمين و محكومين.

الرابع - احترام حقوق الإنسان، باعتبار أن اللّه جعل الإنسان «خليفه» فى الأرض، بما فى ذلك حقوق الإنسان الاقتصاديه، و الاجتماعيه و الشخصيه..

تلك هى الأسس التى اعتمدها الإمام على عليه السّلام فى

ص:۱۳

۱- الصياغه الجديده: ص ۴۷۹.

۲- المصدر السابق.

۳- نهج البلاغه: الخطب، ص ۲۱۶.

حکمه. و سنری فیما یلی کیف اعتمد الإمام علی علیه السّلام هذه الأسس لیس من خلال الحدیث و القول، بل من خلال العمل و الموقف..

***

حقوق متبادله:

المبدأ الأساسی الذی بنی علیه الإمام علی علیه السّلام حکمه هو مبدأ «الترابط بین الحق و الواجب». فالحاکم لیس سیدا علی الناس، لأن سیدهم هو اللّه تعالی فحسب، و اللّه وحده هو الأحد الصمد الذی لم یلد و لم یولد و لم یکن له کفوءا أحد»، فأی «حق» للحاکم، یقابله «واجب» علیه یساویه فی الأهمیّه، إذ لیس الحکم «منحه» من أحد لأحد، بل هو موقع یحتله أکفأ الناس، لکی یؤدّی حقوق الناس بأفضل مما یمکن أن یؤدّیه غیره..

یقول الإمام علی علیه السّلام فی خطبه له علیه السّلام خطبها بین أصحابه: «أمّا بعد فقد جعل اللّه سبحانه لی علیکم حقّا بولایه أمرکم، و لکم علیّ من الحقّ مثل الذی لی علیکم.. فالحقّ أوسع الأشیاء فی التواصف و أضیقها فی التناصف، لا یجری لأحد إلاّ جری علیه، و لا یجری علیه إلاّ جری له، و لو کان لأحد أن یجری له و لا یجری علیه لکان ذلک خالصا للّه سبحانه

دون خلقه، لقدرته على عباده، و لعدله فى كلّ ما جرت عليه صروف قضائه، و لكنّه جعل حقّه على العباد أن يطيعوه، و جعل جزاءهم عليه مضاعفه الثواب تفضّلا منه و توسّعا بما هو من المزيد أهله.

ثم جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس على بعض، فجعلها تتكافأ فى وجوهها و يوجب بعضها بعضا، و لا يستوجب بعضها إلّا ببعض».

و أعظم ما افترض [اللّه] سبحانه من تلك الحقوق حقّ الوالى على الرعيّه، و حقّ الرعيّه على الوالى، فريضه فرضها اللّه سبحانه لكلّ على كلّ، فجعلها نظاما لإلفتهم و عزّا لدينهم.

فليست تصلح الرعيه إلّا بصلاح الولاه و لا تصلح الولاه إلّا باستقامه الرعيّه، فإذا أدّت الرعيّه إلى الوالى حقّه و أدّى الوالى إليها حقّها، عزّ الحقّ بينهم، و قامت مناهج الدين، و اعتدلت معالم العدل، و جرت على أذلالها السنن، فصلح بذلك الزمان و طمع فى بقاء الدوله، و يئست مطامع الأعداء.

و إذا غلبت الرعيّه و اليها أو أجحف الوالى برعيّته اختلفت هنالك الكلمه، و ظهرت معالم الجور، و كثر الإدغال فى الدين، و تركت محاجّ السنن، فعمل بالهوى و عطّلت الأحكام، و كثرت علل النفوس؛ فلا يستوحش لعظيم حقّ

عطّل، و لا لعظيم باطل فعل، فهنالك تذلّ الأبرار و تعزّ الأشرار، و تعظم تبعات اللّه سبحانه عند العباد.

فعليكم بالتناصح فى ذلك و حسن التعاون عليه، فليس أحد - و إن اشتدّ على رضا اللّه حرصه، و طال فى العمل اجتهاده - ببالغ حقيقه ما اللّه سبحانه أهله من الطاعه له.

و لكن من واجب حقوق اللّه سبحانه على العباد النصيحه بمبلغ جهدهم، و التعاون على إقامه الحقّ بينهم.

و ليس امرؤ - و إن عظمت فى الحق منزلته، و تقدّمت فى الدين فضيلته - بفوق أن يعان على ما حمله اللّه من حقّه، و لا امرؤ - و إن صغّرته النفوس، و اقتحمته العيون - بدون أن يعين على ذلك أو يعان عليه»(۱).

و ما يمكن استخلاصه من هذه الخطبه يؤكد ما يلى:

أولا: إن هنالك تقابلا بين الحقوق و الواجبات فالحق «لا يجرى لأحد إلّا جرى عليه، و لا يجرى عليه إلّا جرى له». و هذا مبدأ ثابت بين العباد. أمّا بينهم و بين اللّه، فهو و إن لم يكن جاريا كواجب إلا- أنه جار كلطف من اللّه تعالى حيث جعل اللّه «حقه على العباد أن يطيعوه، و جعل جزاءهم عليه مضاعفه الثواب تفضّلا منه و توسّعا».

۱- نهج البلاغه: الخطب، ص ۲۱۶.

ثانیا: إن الحقوق المتبادله بین العباد هی أمور مقدسه، لیس لأحد مصادرتها من أحد، لأنها من حقوق اللّه تعالی، فقد «جعل سبحانه من حقوقه حقوقا افترضها لبعض الناس علی بعض».

ثالثا: إن الحقوق متکافئه، فإذا أدّی أحد الأطراف ما علیه کان له أن یطالب بجزائه، أمّا إذا لم یؤدّ ما علیه، فلیس له أن یطالب بحقه. فکل حق یوجب حقا، و إذا لم یکن هنالک حق فلا یوجب شیئا. «فجعلها تتکافأ فی وجوهها، و یوجب بعضها بعضا، و لا یستوجب بعضها إلاّ ببعض».

رابعا: إن حق الحاکم علی الناس، یقابله حق الناس علی الحاکم، «و أعظم ما افترض اللّه سبحانه من تلک الحقوق: حق الوالی علی الرعیه، و حق الرعیّه علی الوالی». و هی «فریضه فرضها اللّه سبحانه لکل» طرف «علی کل» طرف.

و هذا التبادل فی الحقوق هو «النظام» الذی یمنع الفوضی، و التمزّق، «فجعلها نظاما لإلفتهم، و عزّا لدینهم»، فإذا أدّی کل طرف ما علیه للطرف الآخر، قامت الدوله علی الحق، و تحقق العدل «فإذا أدّت الرعیه إلی الوالی حقّه، و أدّی الوالی إلیها حقّها عزّ الحق بینهم، و قامت مناهج الدین، و اعتدلت معالم العدل و جرت علی إذلالها السنن، فصلح بذلک الزمان، و طمع فی بقاء الدوله و یئست الأعداء»،

و واضح أنّ أداء الحقوق من الأطراف يؤدّى إلى التماسک الداخلى، و الذى بدوره يجعل العدوّ الخارجى ضعيفا أمامه.

أمّا إذا لم يؤدّ الطرفان: الحاكم و المحكومين، حقوق الطرف الآخر، فإنه يظهر الخلاف، و يختلّ ميزان العدل.

«و إذا غلبت الرعيّه و اليهـا، و أجحف الوالى برعيّته، اختلفت هنالـک الكلمه و ظهرت معـالم الجور، و كثر الإدغال فى الـدّين، و تركت محاجّ السّنن، فعمل بالهوى، و عطّلت الأحكام، و كثرت علل النفوس».

إذ إن كل طرف يتآمر على الطرف الآخر، و حينما تدخل الدوله فى دائره التآمر المتقابل بين الرعيه و الراعى، ينسحب الطيبون و ينجح الأشرار. «فهنالک تذلّ الأبرار، و تعزّ الأشرار، و تعظم تبعات اللّه سبحانه عند العباد».

خامسا: إن الحقوق المتبادله بين الحاكم و المحكومين، لا تستثنى أحـدا فليست الشورى عند الإمام خاصه بفئه دون أخرى، و لا الحـاكم - مهمـا كانت مكانته فى العلم و الكفاءه و المقـدره الإداريه - ممّن يجوز أن تسـلم إليه مقاليـد الأمور من غير ما تعاون جاد بينه و بين الناس.

«فليس أحد - و إن اشتدّ على رضا اللّه حرصه، و طال فى العمل اجتهاده - ببالغ حقيقه ما اللّه سبحانه أهّله من الطاعه له،

و لکن من واجب حقوق اللّه سبحانه علی العباد النصیحه بمبلغ جهدهم، و التعاون علی إقامه الحق بینهم».

«و لیس امرؤ و إن عظمت فی الحق منزلته، و تقدّمت فی الدین فضیلته بفوق أن یعان علی ما حمّله اللّه من حقّه».

«و لا امرؤ و إن صغّرته النفوس و اقتحمته العیون بدون أن یعین علی ذلک، أو یعان علیه».

أما ما هی «حقوق الراعی» و ما هی «حقوق الرعیه».

فقد ذکرها الإمام علی علیه السّلام فی کلماته التالیه: «أیّها الناس إن لی علیکم حقّا، و لکم علیّ حق، فأمّا حقّکم علیّ فالنصیحه لکم، و توفیر فیئکم علیکم، و تعلیمکم کیلا تجهلوا، و تأدیبکم کیما تعلموا».

«و أمّا حقّی علیکم فالوفاء بالبیعه، و النصیحه فی المشهد و المغیب، و الإجابه حین أدعوکم، و الطاعه حین آمرکم»(1).

و واضح أن «العدل» و النصیحه للناس، هو الحق الأول الذی یجب علی الراعی رعایته، ثم یأتی توفیر الفیء، و التعلیم و التربیه کحقوق للرعیه، و فی المقابل «الوفاء بالبیعه» و النصیحه و الإجابه، و الطاعه هی حقوق الراعی.

إنما کل ذلک فی ظل القانون، فالوالی لیس هو من یعمل

۱- نهج البلاغه: الخطب ۳۴.

بالهوى و على الناس إطاعته، فليس من حقّه أن يكون مشرّعا، و تحوّل أوامره إلى قوانين، و أهواؤه إلى دساتير.. كما ليس من حقه أن يصادر حرّيات الناس فى أى مجال من المجالات لأن ذلك ينفى عنه العدل، و بذلك يسقط حقّه فى الطاعه..

فالحقوق متكافئه بين الطرفين..

***

اساسات حكم الشورى

الأوّل – تأمين الحرّيات:

توضيح

أساسا يولد الإنسان حرّا، و ميّزته على الكائنات الأخرى هى «حريته» فلا يجوز له أو لغيره أن يتجاهلها، لأن الحريه ليست حقا، بل هى واجب و لذلك كان الإنسان مسؤولا فى الحياه..

يقول الإمام على عليه السّلام: «لا تكن عبد غيرك، و قد جعلك اللّه سبحانه حرا(۱) ، و يقول: «لا تكوننّ عبد غيرك فقد جعلك اللّه سبحانه حرا، فما خير خير لا ينال بشر، و يسر لا ينال إلّا لعسر»(۲).

و يقول «أيها الناس.. إنّ آدم لم يلد عبدا، و لا أمه، و أن الناس كلهم أحرار»(۳).

ص:۲۰

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- المصدر السابق.

۳- نهج السعاده، ج ۱، ص ۱۹۸.

و يقول: «الناس كلهم أحرار، إلّا من أقرّ على نفسه بالعبوديّه»(۱).

إنّ ربنا لم يقرر لأنبيائه مصادره حريه الناس، فهو القائل:

وَ ما أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبّارٍ (۲) ، و القائل: فَذَكِّرْ إِنَّما أَنْتَ مُذَكِّرٌ (۲۱) لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيْطِرٍ (۲۲)(۳) ، و القائل: لا إِكْراهَ فِی الدِّینِ (۴)..

فهل یجوز لغیرهم ذلک؟! ثم إن الحریات للإنسان، لیست محدّده، بل تشمل کل جوانب حیاته، و الأصل فی کل أموره هو «الحریه» أمّا الاستثناء فهو یرجع إلی حقّ الآخرین فی الحریه ذاتها.

فکل إنسان حرّ، و لکنه لیس حرّا فی مصادره حرّیات الآخرین.

و کل إنسان حرّ فی أن یعمل ما یرید، و لکنه لیس حرّا فی التجاوز علی حقوق الآخرین..

ثم إن «الحرّیات العامه تشمل: الحریّه الفکریه، فلکل

۱- الصیاغه الجدیده: ص ۳۱۰.

۲- سوره ق، الآیه: ۴۵.

۳- سوره الغاشیه، الآیتان: ۲۱-۲۲.

۴- سوره البقره، الآیه: ۲۵۶.

إنسان الحق فى أن يؤمن بما يعتقد به، و الحريه الاقتصاديه، و الحريّه السياسيه»(۱).

و الذى يهمّنا الآن هى الحريات السياسيه و التى تشمل الأمور التاليه:

۱ - حريه إبداء الرأى.

۲ - حريّه الاجتماع و التنظيم.

۳ - حريّه المعارضه.

الحريات السياسيه

أولا - حريه إبداء الرأى:

لم يكن الإمام على عليه السّلام يسمح لأحد بإبداء رأيه فحسب، بل كان يطلب منه ذلك معتبرا إياه جزءا من العلاقه بين الحاكم و المحكوم، و واجبا من واجبات الرعيّه تجاه الراعى..

يقول عليه السّلام: «فلا تكفّوا عن مقاله بحق، أو مشوره بعدل، فإنّى لست فى نفسى بفوق أن أخطىء، و لا آمن ذلك من فعلى، إلاّ أن يكفى اللّه من نفسى ما هو أملك به منّى فإنما أنا و أنتم عبيد مملوكون لربّ لا ربّ غيره، يملك منّا ما لا، نملك من أنفسنا».

«و لا تظنّوا بىّ استثقالا فى حقّ قيل لى، و لا التماس

ص:۲۲

۱- الصياغه الجديده: ص ۳۱۳.

إعظام لنفسى، فإنه من استثقل الحقّ أن يقال له، أو العدل أن يعرض عليه، كان العمل بهما أثقل عليه»(۱).

و هكـذا فـإنّ «إبـداء الرأى» حق أساسـى للرعيّه فى أمورهم، و ربما يكون واجبا من واجباتهم تجاه الراعى.. «فلا تكفّوا عن مقاله بحق، أو مشوره بعدل»(۲).

و لقد عوّد الإمام أصـحابه على «إبداء الرأى» على عكس ما كان يفعله أعداؤه.. فمثلا معاويه بن أبى سـفيان كان يمنع الناس عن إبداء آرائهم فهو «الآمر» و هم «المأمورون». و هو الحاكم و هم المحكومون. و هو الذى يفكر و يقرّر، و عليهم السّمع و الطاعه.

و قـد روى فى ذلك أن الحجاج بن الضـمّه دخل على معاويه فى بدايه تمرّده على الإمام فقال له: «إنى أخبرك يا أمير المؤمنين إنـك تقوى على علىّ بـدون مـا يقوى به عليـك، لأـن معـك قوما لا يقولون إذا قلت، و لا يسألون إذا أمرت. و إن مع علىّ قوما يقولون إذا قال، و يسألون إذا أمر، فقليل ممّن معك خير من كثير ممّن معه»(۳)!.

إنّ «للرأى» قدسيته، و إن الموت دونه من أجل الحقّ،

۱- نهج البلاغه: الخطب، ص ۲۱۶.

۲- المصدر السابق.

۳- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳.

يجعل صاحبه شهيدا لأن «من قتل دون حقه فهو شهيد، و من مات دون مظلمه فهو شهيد، و من مات دون كلمه الحق فهو شهيد، و أفضل من ذلك كلمه حق عند إمام جائر» - كما يقول الحديث الشريف -.

ثانيا - حرّيه الاجتماع و التنظيم:

فيما يرتبط بعمل الخير، و السعى لمصلحه الناس، فإن التنظيم ليس جائزا فحسب، بل هو مستحب أيضا. يقول اللّه تعالى:

وَ لْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّهٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَ يَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَ أُولئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤)(١).

و يقول: فَلَوْ لا نَفَرَ مِنْ كُلِّ فِرْقَهٍ مِنْهُمْ طائِفَهٌ لِيَتَفَقَّهُوا فِى الدِّينِ وَ لِيُنْذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ (٢).

«فحق التجمع و التنظيم و تشكيل الجمعيات و المنظمات و الأحزاب مكفول فى الإسلام، فقد جعل الرسول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم المهاجرين و الأنصار جماعتين.. و يستفاد من أحاديث متعدده أنه كلما ضغطت عليه جماعه منهما كان يلتجىء إلى الجماعه

١- سوره آل عمران، الآيه: ١٠٤.

٢- سوره التوبه، الآيه: ١٢٢.

الأخرى، ففى حديث رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أنه قال: «لو سلك الناس واديا، و سلك الأنصار واديا..»(۱).

و لقد بقى كل من الأنصار و المهاجرين كحزبين إلى عصر أمير المؤمنين عليه السّلام، و كان لهما مظاهر حزبين مستقلين حتى فى الحروب «فكانت رايه الأنصار يوم صفّين بيد «قرظه» و هو من صحابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم»(۲).

و إذا كان التنظيم مشروعا، فهل يبقى «الاجتماع» محرما؟

ثالثا – حريه المعارضه:

سنرى فيما بعد أن انتخاب الحاكم هو حق من حقوق الناس و من ثم فإنّ عزله أيضا حق من حقوقهم.. و لا شك أن ذلك لا يمكن أن يتمّ إلّا إذا كان حق المعارضه مكفولا..

و إلّا كيف يتمّ عزل الحاكم لو لم تسبقه المعارضه؟

إلّا أنّ المعارضه بحدّ ذاتها مشروعه، و قد مارسها المسلمون الأولون بكلّ حريه. فابتداء من أمير المؤمنين عليه السّلام الذى رفض البيعه بعد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى ما بعد وفاه فاطمه الزهراء عليهم السّلام، و مرورا بأبى ذرّ الذى رفع رايه المعارضه، و انتهاء بسماح الإمام عليه السّلام لمعارضته من قبل الخوارج، كل

۱- الصياغه الجديده: ص ۳۳۸.

۲- الصياغه الجديده: ص ۳۳۹.

ذلك يدلّ على مشروعيه المعارضه، للأفراد و للجماعات معا..

الثانى – حاكميه الناس:

الحكم، أى حكم، هو للناس، لا ـ عليهم. فالحاكميه لهم دون غيرهم. و لا يجوز تقرير مصائر الناس من دون رضاهم، و لا تعيين والى من غير اختيارهم.

فحكم الشورى، يعنى حق الناس اختيار الحاكم، و النظام الذى يحكمهم كما يعنى حقّهم فى عزل الحاكم، و تغيير النظام الذى يحكمهم، ضمن إطار القانون..

و حكم الشورى يعنى أيضا مشاركه الناس فى إداره أنفسهم، و فى تقرير مصيرهم فى السلم و الحرب و فى كل ما يمسّ شؤونهم..

و نظرا إلى أنّ معنى حريه الناس فى التنظيم و حقّهم فى المعارضه أن يختلفوا، فإن من غير المتوقع إجماع الناس دائما على أمر واحد، و رأى واحد، فإنّ «رأى الأكثريه» سيكون هو المرجّح، و من هنا ضروره خضوع الأقليه للأكثريه فى الشؤون العامه، أمّا فى الشؤون الخاصّه فلكل إنسان رأيه و حقّه الخاص به.

يقول الإمام على عليه السّلام: «الواجب فى حكم اللّه و حكم

الإسلام على المسلمين، بعدما يموت إمامهم، أو يقتل ضالاّ أو مهديا، أن لا يعملوا عملا، و لا يقدموا يدا و لا رجلا قبل أن يختاروا لأنفسهم إماما عفيفا، عالما، ورعا، عارفا بالقضاء و السّنّه يجبى فيئهم و يقيم حجمهم، و جمعهم، و يجبى صدقاتهم(۱).

فالمسلمون هم الّذين يختارون إمامهم، و لا يفرض عليهم فرضا، و لقد جاء اختيار المسلمين للإمام عليه السّلام عن رغبه و حريه كامله.. فعندما جاؤوا إليه بعد مقتل عثمان قال لهم: «دعونى و التمسوا غيرى، فإنّا مستقبلون أمرا له وجوه و ألوان، لا تقوم له القلوب، و لا تثبت عليه العقول و إن الآفاق قد أغامت، و الحجّه قد تنكّرت. و اعلموا أنّى إن أجبتكم، ركبت بكم ما أعلم (أى طبقت فيكم الحق بلا تمييز) و لم أصغ إلى قول القائل، و عتب العاتب، و إن تركتمونى، فأنا كأحدكم، و لعلّى أسمعكم و أطوعكم لمن ولّيتموه أمركم، و أنا لكم وزيرا خير لكم منّى أميرا»(۲).

و فى طريقه البيعه للإمام ذكر المؤرّخون أنه بعد مقتل الثالث جاءه المسلمون، و فيهم زعماء أصحاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المهاجرين و الأنصار، و الذين اتّبعوهم بإحسان، و الذين

۱- كتاب سليم بن قيس: ص ۱۸۲.

۲- الكامل: ج ۳، ص ۱۹۳.

جاؤوا من مصر و الكوفه و البصره و غيرها، فقالوا يا أبا الحسن هل نبايعك؟ فقال عليه السّلام: لا حاجه لى فى أمركم، فقالوا: ما نختار غيرك فاختلفوا إليه مرارا و تكرارا، و أصرّوا عليه إصرارا، و خرج عليه السّلام إلى السوق فاتبعه الناس و أصرّوا عليه، فدخل حائط بنى عمرو و قال لأبى عمره: اغلق الباب فجاء الناس فقرعوا فدخلوا و فيهم طلحه و الزبير، فقالا: يا على ابسط يدك فبايعه طلحه و الزبير و ثم الآخرون(۱).

و لقد قال الإمام فيما بعد:

«و اللّه ما كانت لى فى الخلافه رغبه، و لا فى الولايه إربه و لكنكم دعوتمونى إليها، و حملتمونى عليها، فلما أفضت إلىّ نظرت إلى كتاب اللّه و ما وضع لنا، و أمرنا بالحكم به فاتّبعته، و ما استنّ النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاقتديته»(۲).

و قال أيضا: «إنى ما أكرهت أحدا على البيعه»(۳).

فقد رفض البيعه عبد اللّه بن عمر، و جماعه أخرى من أمثاله فلم يجبرهم الإمام على البيعه، بل تركهم و شأنهم(۴).

۱- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۲۹.

۲- نهج البلاغه: الخطب، ص ۲۰۵.

۳- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۷۰.

۴- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۳۱.

و هكذا كان الإمام يرى مشروعيه حكمه بانتخاب الناس له، لا فرضه عليهم..

و هذا يعنى أن الأصل هنا هو رأى الناس فى انتخاب الحاكم، و حقّهم فى تعيين الوالى، و الخليفه، دون غيرهم..

***

و كما للناس حقّ اختيار «الوالى» و «الإمام»، فإن لهم حق المشاركه فى الحكم، عبر الأخذ بآرائهم فيما يرتبط بمصائرهم من أمور هامّه تترك الأثر على حياتهم..

و لقد اعتاد الإمام على عليه السّلام على استشاره الناس فى مثل تلك الأمور، معتبرا ذلك حقا من حقوق الرعيه، و هو القائل:

«ألا و إن لكم عندى (أى حقّكم علىّ) ألاّ أحتجز دونكم سرا إلاّ فى حرب، و لا أطوى (أمنع) دونكم أمرا إلاّ فى حكم، و لا أؤخّر لكم حقا عن محله، و لا أقف به دون مقطعه»(۱).

و لكم يجد الباحث موارد فى حياه الإمام على عليه السّلام أيام خلافته كان الإمام يستشير فيها أصحابه، و يخضع لمشاوراتهم و آرائهم، بالرغم من أنه عليه السّلام كان له رأى آخر، و بالرغم من أن رأيه كان الأصوب، حسب النتائج.

۱- نهج البلاغه: الكتب، ۵۰ - الأمالى: ج ۱، ص ۲۲۱.

فمثلا قبيل معركه صفّين جمع الإمام من كان معه من المهاجرين و الأنصار، فحمد اللّه و أثنى عليه ثم قال: «أما بعد فإنكم ميامين الرأى، مقاويل بالحق، أهل الحلم، مباركو الفعل و الأمر، و قد أردنا المسير إلى عدوّنا و عدوّكم فأشيروا علينا برأيكم».

فقام عمار بن ياسر فقال بعد أن حمد اللّه و أثنى عليه: «يا أمير المؤمنين إن استطعت ألّا تقيم يوما واحدا فافعل، اشخص بنا قبل استعار نار الفجره و اجتماع رأيهم على العدوان و الفرقه، و ادعهم إلى رشدهم، فإن قبلوا سعدوا، فإن أبوا إلّا حربنا فو اللّه إن سفك دماءهم، و الجدّ فى جهادهم لقربه عند اللّه».

فقال الإمام: «للّه درّك يا عمّار. سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: إن عمارا ملئ إيمانا إلى مشاشه (رؤوس العظام كالمرفقين و المنكبين و الركبتين). و كان عمار إذا استأذن على النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: ائذنوا له. فإذا دخل استقبله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بقوله:

مرحبا بالطيب المطيب».

فلما فرغ الإمام من الثناء على عمار، قام سعد بن قيس بن عباده فقال: «يا أمير المؤمنين. عجّل بنا إلى عدوّنا، فو اللّه لجهادهم أحب إلىّ من جهاد الترك و الروم لإدهانهم فى دين

اللّه، و استذلالهم أولياء اللّه من أصحاب محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم من المهاجرين و الأنصار و التابعين بإحسان! إذا غضبوا على رجل حبسوه أو ضربوه أو حرموه أو سيّروه (نفوه)، و فيئنا لهم فى أنفسهم حلال، و نحن لهم فيما يزعمون قطين (أى رقيق و عبيد)».

ثم قام سهل بن حنيف فقال: «يا أمير المؤمنين. نحن سلم لمن سالمت و حرب لمن حارب. و رأينا رأيك. و نحن كفّ يمينك، و قد رأينا أن تقوم بهذا الأمر فى أهل الكوفه، فتأمرهم بالشخوص، و تخبرهم بما صنع اللّه لهم فى ذلك من الفضل، فإنهم هم أهل البلد و هم الناس. فإن استقاموا لك استقام لك الذى تريد و تطلب. و أما نحن صحابه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، فليس عليك منّا خلاف، متى دعوتنا أجبناك، و متى أمرتنا أطعناك»(۱).

و بعد أخذ وردّ، اتفق رأى الأكثريه منهم على المسير إلى الشام، و هكذا كان..

فلم يصدر الإمام أمرا «ملكيا» أو «جمهوريا» أو «إماميا» بإعلان الحرب، و يفرض على أصحابه الخضوع له، و يعاقب بالإعدام كل من يخالف.

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۱۲-۱۳.

إنّ الحرب فيها مصائر الناس، فكيف يمكن إعلانها بدون أخذ آرائهم فيها، و مشورتهم حولها؟

و الغريب أن الإمام بالرغم من رأيه الشخصى فى الحرب مع معاويه، و بالرغم من رأى الأكثريه من أصحابه معه، إلّا أنه تريّث فى ذلك لكى يتم الحجّه على معاويه، حتى إذا أبطأ عن ذلك، اجتمع إليه عليه السّلام بعض أصحابه، و جرت بينهم المداوله التاليه:

قال رجل من أهل الكوفه: «متى يقودنا أمير المؤمنين لنغزو الشام قبل أن يغزونا معاويه»؟.

و قال آخر: «تعلّمنا من الإمام أنه ما غزى قوم فى دارهم قطّ إلّا ذلّوا..»؟.

فأجابه شيخ: «دع الأمر للإمام فهو أدرى بالأمر منّا».

فارتفع صوت: «لا و اللّه لا يصنع بنا كما يصنع معاويه بأصحابه: يأمرهم فيطيعون، دون أن يفقهوا! إن لنا فى الأمر رأيا، و قد علّمنا أمير المؤمنين أنه ما خاب من استشار، و أن من استشار الرجال شاركهم فى عقولهم. لا و اللّه لا يبرم أمرا دوننا أبدا»(۱). يعنى ذلك أن أصحاب الإمام قد تعوّدوا بسبب

۱- المصدر السابق: ص ۲۰.

ما، أن لهم الحقّ فی الأخذ بآرائهم، و لهم الحق فی رفض القرار إذا لم یؤخذ بها! فلم یجبرهم الإمام علی ذلک..

و قد حدث أکثر من مرّه أن بعض من کان معه، لم یکن له رأی موافق مع الحرب، فکان ینوی الاعتزال فلم یجبره الإمام.. من ذلک، «أن جماعه لم تحب الخروج معه إلی الشام و قد أفصحت عن ذلک، فسمح لهم الإمام بأن یعتزلوا الأمر» ثم شعر علیه السّلام أن جماعه أخری لا تحب الخروج و لکنها لا تفصح عمّا فی أعماقها تحرّجا و حیاء منه. فذهب إلیهم، و قال لهم: «خذوا عطاءکم، و اخرجوا إلی الدّیلم» فحمدوا اللّه إلیه، و هکذا أرسل الجماعات التی لا ترید أن تنغمس فی القتال، إلی حدود البلاد لیحموا الثغور مع حماتها مما عسی أن یتهدّدها من الأعداء. و لم یغاضب أحدا لأنه أبی الخروج معه..»(۱).

إن ترسیخ دعائم الشوری، کانت عند الإمام أهمّ بکثیر من إحراز الانتصار. ذلک أن «الشوری» مبدأ من مبادیء الحکم و قیمه من القیم الدینیه، و «مثل» من المثل الإنسانیه، بینما الانتصار قضیه مادیّه وقتیه.. فکان الإمام یقدّم القیم علی حسابه الشخصی مهما کانت النتائج..

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۲۴.

لقد كان الإمام فعلا- بحاجه إلى الرجال، فلم يكن خروج جماعه بالذى لا يؤثر على جيشه، و لكنه لم يكن يجبر الناس على مصائرهم..

لقد خضع الإمام لرأى أصحابه مرات و مرات، حتى قال عليه السّلام قولته الشهيره: «أفسدتم عليّ رأيى حتى قالت قريش:

إن ابن أبى طالب رجل شجاع و لكن لا علم له بالحرب.

للّه أبوّهم! و هل أحد منهم أشدّ لها مراسا، و أقدم فيها مقاما منّى؟ لقد نهضت فيها و ما بلغت العشرين، و ها أنا ذا قد ذرفت على الستّين. و لكن لا رأى لمن لا يطاع»(۱).

***

و لقد خضع الإمام لآراء أصحابه فى الظروف الصعبه و العاديه معا إلى درجه أن ذلك أدّى إلى تطاولهم عليه، و تمزّق صفوف جيشه، غير أن الإمام لم يتراجع عن الأخذ بمشورتهم، و التنازل لمواقفهم، كما لم يصدر أمرا بمنع مناقشتهم له، و ضروره خضوعهم لتعليماته، بل بقى مخلصا لمبدأ قبول آراء الأكثريه، و ضروره المناقشه المستمره، و الحوار الدائم مع أهل الحلّ و العقد منهم..

و لقد حدث فى معارك صفّين أن الإمام لاحظ «أن معاويه

۱- مروج الذهب: ج ۲، ص ۴۰۳.

يقف على التل تحت الترس الذهبى، يتفقّد طريق مؤخرته إلى الشام، لينسحب إذا ما لم يجد حيله إلّا الانسحاب..

و شاهد الإمام تدفّق الإمدادات و الميره من الشام إلى مؤخره جيش معاويه، فنظر الإمام فى الأمر، فوجد أن معاويه كلما حوصر و نفدت منه الميره جاءه مدد ضخم من الشام، فالطريق إليها مفتوح.. و إذن، فلا سبيل إلى الانتصار الحاسم على جيش الشام و معاويه ما بقى طريق الميره و الإمداد مفتوحا و مؤمّنا.

و أصدر الإمام علىّ أمره إلى أحد أصحابه: «سر فى بعض هذه الخيل فاقطع الميره عن معاويه، و لا تقتل إلّا من يحل لك قتله، وضع السيف موضعه».

و بلغ ذلك معاويه، فدعا أقوى أمراء جيشه و أمره أن يخرج بفرسانه لتأمين الطريق، و لكنه عاد منهزما بعد حين، و قطع الإمام الميره عن جيش الشام.

فجمع معاويه رؤوس جند الشام و أصحابه و قال لهم:

«أتانى خبر من ناحيه من نواحى فيه أمر شديد» فقالوا جميعا:

«يا أمير المؤمنين ليس لنا رأى فى شىء مما أتاك، إنما علينا السمع و الطاعه».

و أراد الإمام علىّ أن يعرف رأى أصحابه من أهل العراق،

فقال: «أيها الناس، إنه أتانی خبر من ناحيه من نواحیّ» فقال بعضهم: «الرأی لک» و قال آخرون: «یا أمیر المؤمنين، إن لنّا فی کل أمر رأيا، فما أتاک فأطلعنا علیه حتی نشیر علیک» فقال علی علیه السّلام: «ظفر و اللّه ابن هند باجتماع أهل الشام له و اختلافکم علیّ، و اللّه لیغلبنّ باطله حقکم إنما أتانی أن بعض خیلنا قطعت المیره عن معاویه، و ظفرت بفرسانه، و أتی معاویه نبأ هزیمه أصحابه فقال: «یا أهل الشام، إنی أتانی أمر شدید»، فقلّدوه أمرهم، و اختلفتم علیّ»(۱)!.

[يقول أحدهم عن طريقه الإمام فی التعامل مع أصحابه «کان همّ الإمام أن يعود بالناس إلی شجاعه الرأی، و صدق النصيحه، كما كانوا أيام الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فالشوری واجبه شرعا، و لا خيار لولی الأمر فيها، بل إنها لتلزمه، و إلّا استبدّ برأيه على الناس، و هذا الاستبداد هو ما يأباه اللّه و رسوله، هو الذی لعنّا مقترفيه»!!

إلا أن المستشار مؤتمن كما نصّ الحديث الشريف، فمن واجب من يستشار أن يحسن المشوره، و يخلص فيها و يصدق، و لا يبتغی بها إلّا وجه اللّه و مصلحه الأمّه فحسب.

«و فی الحق أن أمیر المؤمنين علیه السّلام استشار حتی أسرف

۱- علی إمام المتّقين: ج ۲، ص ۹۰-۹۱.

عليه المشيرون، و تطوّع آخرون بالمشوره و الرأى دون سؤال..

و عوّدهم الإمام على الرغم من هيبته أن يبدوا له حتى هواجس النفوس، و رأى أن هذا أجدى من القمع و من كبت الرأى»!

«و كان من همّ الإمام أن يحضّ الناس على التفكير و التدبّر، و على ألّا يطيعوا بلا فهم كالأنعام، و ألّا يخرّوا على آيات اللّه إذا ذكّروا بها صمّا و عميانا و إلّا كانوا شرّ الدواب»!.

«و إن اللّه خلق لهم الحواسّ و المشاعر و العقل ليروا و يسمعوا و يتدبّروا.. فيعرفوا الحسن و القبيح بذاته، و بالعقل، و هو هكذا يعرف قبل أن يحدده الشرع»!

«فالإمام همّه أن يرتفع بمستوى العقل و الإراده فى الإنسان».

«و أمير المؤمنين همّه أن تقوم الإمره على العدل، و الورع و التقوى، و أن يتساوى الناس كل و عمله، و اللّه يبلوهم ليعرف أيّهم أحسن عملا، و لا فضل لعربى على أعجمى إلّا بالتقوى.

و قد قال تعالى: إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ (۱)»..

«و الإمام كما قال مرارا و كرّر تكرارا لم يجد فى القرآن و لا فى السّنّه و لا فيما يقرأ من كتب الأولين، و لا فيما علّمه الرسول من علم، أن للعرب من أولاد إسماعيل فضلا على

۱- سوره الحجرات، الآيه: ۱۳.

غيرهم من أولاد أخيه إسحاق، و كلاهما كان رسولا نبيا، و كلاهما ولد إبراهيم».

«من أجل ذلك أحبّ الموالى و أهل الذمه الإمام كرّم اللّه وجهه، كما أحبّه أهل الورع و أهل التقوى من العرب».

و كان جيش أمير المؤمنين مؤلفا فى أغلبه من أهل الورع و التقوى و ممّن عوّدهم الإمام حريه التفكير، و أخذهم بالصراحه فى التعبير عن الرأى فكان كل مقاتل فى هذا الجيش يجد لنفسه حق مجادله القائد.. لكل منهم رأيه المستقلّ، و كأنّه أمه وحده!.. و ما من أحد منهم يذعن للأمر أو النهى إلاّ إذا عرف علّته و حكمته و اقتنع بجدواه، على خلاف ما هو مألوف فى الجيوش فى ذلك الزمان. و فى كل زمان و مكان!..

«من الحق أنهم اجتمعوا فى حب اللّه و رسوله، دفاعا عن العدل، و عن حق الإنسان فى المساواه و الكرامه و الحياه الكريمه، تحت رايه الإمام على.. و لكنّهم على الرغم من ذلك تعوّدوا ألاّ يمضوا خطوه، و ألاّ يأخذوا شيئا أو يدعوا شيئا، إلاّ إذا اقتنعوا و فقهت عقولهم ما يفعلون!.. هم يفعلون ما يؤمرون على أن يفهموا سبب الأمر و مغزاه»!!(۱).

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۶۲.

و فى مسأله «التحكيم» فى صفّين حينما رفع أصحاب معاويه المصاحف على الرماح داعين إلى كتاب اللّه، كانت المعارك على مشارف أن تنتهى بانتصار الإمام، و كان الأشتر على قاب قوسين من موقع معاويه، و لقد كان رأى الإمام الاستمرار فى الحرب حتى النصر، و قد كان يلوح فى الأفق فعلا. إلّا أن أصحابه رأوا غير ذلک، و لقد حاول الإمام إقناعهم بما يراه، و حاججهم، و ناقشهم، و بيّن لهم، و لكنّهم أصرّوا على القبول. فتنازل لهم الإمام بالرغم من أنه كان بإمكانه أن يصمّ أذنيه عن مقالتهم، و يصدر أوامره بالتصدّى لكلّ من يخالفه الرأى، و يحرز النصر و ينهى الأمر كله. و لكن لم يكن انتصاره، انتصارا للشورى، بل انتصارا للحاكم وحده.. و بقرار منفرد منه.. و على رغم قرار الناس.. و قد آثر الإمام «التحكيم» بالرغم عنه لكى يكون قد نزل على رأى أصحابه، يقول مصعب بن الزبير، و كان مع الإمام حينئذ فروى الحادثه كما يلى:

«كنت عنده حين بعث إلى الأشتر أن يأتيه، و قد كان الأشتر أشرف على معسكر معاويه ليدخله، فأرسل إليه على يزيد بن هانىء: أن ائتنى..

فأتاه فبلغه فقال الأشتر: «ائت أمير المؤمنين فقل له: ليس

هذه بالساعه التى ينبغى لک أن تزيلنى فيها عن موقفى. إنى قد رجوت اللّه أن يفتح لى فلا تعجلنى».

فرجع يزيد بن هانیء إلى علىّ فأخبره.

فمـا هو أن انتهى إلينـا حتى ارتفع الرهـج و علت الأصوات من قبل الأشتر، و ظهرت دلائل الفتـح و النصـر لأهل العراق، و دلائل الخذلان، و الإدبار على أهل الشام.

فقال له القوم: و اللّه ما نراک إلاّ أمرته بقتال القوم.

قال: «أرأيتمونى ساررت رسولى إليه؟! أ ليس إنما كلّمته على رؤوسكم علانيه و أنتم تسمعون؟

قالوا: «فابعث إليه فليأتک، و إلاّ فو اللّه اعتزلناک».

قال: «ويحک يا يزيد بن هانیء. قل للأشتر أقبل إلىّ فإن الفتنه قد وقعت.

فأتاه فأخبره، فقال الأشتر: ألرفع هذه المصاحف؟!

قال: نعم.

قال: أما و اللّه لقد ظننت أنها حين رفعت ستوقع اختلافا و فرقه! إنها مشوره ابن النابغه - يعنى ابن العاص - ثم قال ليزيد:

ويحک! ألا ترى إلى ما يلقون؟ ألا ترى إلى الذى يصـنع اللّه لنا؟ أينبغى أن ندع هذا و ننصرف عنه؟! فقال له يزيد: أتحب أنک ظفرت ها هنا و أن أمير المؤمنين بمكانه الذى هو به يسلّم إلى

عـدوّه؟. قال: سـبحان اللّه! لا و اللّه ما أحب ذلک. فأقبل الأشتر حتی انتهی إلیهم فصاح فیهم: یا أهل الذلّ و الوهن، أحین علوتم علی القوم فظنّوا أنکم لهم قاهرون، و رفعوا المصاحف یدعونکم إلی ما فیها؟! قد و اللّه ترکوا ما أمر اللّه به فیها و ترکوا سنّه من أنزلت علیه، فلا تجیبوهم أمهلونی فواقا (ما بین الحلبتین للناقه) فإنی قد أحسست بالفتح.

قالوا: لا.

قال: فأمهلونی عدوه الفرس فإنی قد طمعت فی النصر.

قالوا: لا، إذن ندخل معک فی خطیئتک.

قـال: فحـدّثونی عنکم - و قـد قتـل أمـاثلکم و بقی أراذلکم - متی کنتم محقّین؟ أحین کنتم تقتلون أهل الشام؟ فأنتم الآن حین أمسـکتم عن القتال مبطلون؟ أم أنتم الآن فی إمساککم عن القتال محقّون؟ فقتلاکم إذن الّـذین لا تنکرون فضـلهم و کانوا خیرا منکم، فی النار!

قالوا: دعنا منک یا أشتر. قاتلناهم فی اللّه و ندع قتالهم فی اللّه. إنّا لسنا نطیعک فاجتنبنا.

قال: خدعتم و اللّه فانخدعتم، و دعیتم إلی وضع الحرب فأجبتم. یا أصـحاب الجباه السود، کنّا نظن أن صـلاتکم زهاده فی الدنیا و شوق إلی لقاء اللّه، فلا أری فرارکم إلّا إلی الدنیا

من الموت، ألا فقبحا لكم، ما أنتم برائين بعدها عزّا أبدا، فابعدوا كما بعد القوم الظالمون.

فسبّوه و سبّهم، و ضربوا بسياطهم وجه دابته، و ضرب بسوطه وجوه دوابهم، فصاح بهم عليّ فكفّوا.

و قال الأشتر: يا أمير المؤمنين احمل الصف على الصف يصرع القوم و هكذا كان أصحابه يختلفون و يتصايحون و يتناقشون و يتضاربون و كأن برلمانهم مفتوح على الطبيعه فی میدان الحرب کما فی حالات السّلام و أخيرا يخضعون لأكثريه الآراء!

و فی عزّ المعارک جاء أحد أصحاب الإمام و سأله: ما رأی أمیر المؤمنین؟

فقال: «لم يزل أمری معکم على ما أحب إلىّ أن أخذت منكم الحرب. قد و اللّه أخذت منكم و تركت، و أخذت من عدوّكم فلم تترک. و إنها فيكم أنكى و أنهک. ألا إنی أمس أميرا للمؤمنين، فأصبحت اليوم مأمورا، و كنت ناهيا فأصبحت منهيا. و قد أحببتم البقاء و لیس لی أن أحملكم على ما تكرهون». إذن للإمام رأی استمرار الحرب، و لكنهم لا يرغبون فی ذلک و هو لا يجوّز لنفسه (حیث یقول لیس لی) أن يجبرهم على ذلک (أن أحملكم على ما تكرهون). فلیس قبول

الإمـام للتحكيم لعجزه و لاـ لخوفه من تهديـد أحـد، لأنه لم يخف فى حياته قطّ إلا من اللّه تعالى. و ليس لأنه خاف الشـقاق فى أصـحابه، و قـد وقع الشـقاق على كل حال، بل لأنه يؤمن بأن للناس رأيهم فى مصائرهم و يجب أن يحترم هـذا الرأى و إن كان خاطئا.

... و مع إصرارهم قبل الإمام إيقاف القتال، فتصايحوا:

إن عليّا أمير المؤمنين قد قبل الحكومه و قد رضـى بحكم القرآن، قال الأشتر: إن كان أمير المؤمنين قد قبل و رضى، فقد رضيت بما رضـى أمير المؤمنين. فأقبل الناس يقولون قـد رضـى أمير المؤمنين، قد قبل أمير المؤمنين، و أمير المؤمنين ساكن لا يبضّ (لا ينبس) بكلمه، مطرق إلى الأرض.

فقطع الأشـعث الصمت بقوله: «يا أمير المؤمنين إن شئت أتيت معاويه فسألته ما يريد». قال الإمام فى سأم: «ذلك إليك، فافعل ما شئت».

فلمـا جاء الأشـعث إلى معاويه رحّب به! و قال له: «نرجع نحن و أنتم إلى كتاب اللّه و إلى ما أمر به فى كتابه، تبعثون رجلا منكم ترضونه و تختارونه، و نبعث برجل و نأخذ عليهما العهد أن يعملا بما فى كتاب اللّه، و ننقاد جميعا لما اتفقا عليه من حكم اللّه».

ثم أرسل معاويه إلى علىّ كتابا قال فيه: كل واحد منّا

یری أنه علی الحق فیما یطلب من صاحبه، و قد قتل بیننا خلق کثیر، و لن یعطی أحد منّا طاعه للآخر، و إنی أتخوّف أن یکون ما بقی أشدّ ممّا مضی.

فهل لک فی أمر لنا و لک فی حیاه و عذر و براءه أن یحکم بیننا حکمان رضیان، أحدهما من أصحابی و الآخر من أصحابک، فیحکمان بما فی کتاب اللّه بیننا، فإنه خیر لی و لک و أقطع لهذه الفتن، و ارض بحکم القرآن إن کنت من أهله».

فکتب إلیه الإمام «من عبد اللّه أمیر المؤمنین إلی معاویه بن أبی سفیان أما بعد، فإن أفضل ما شغل به المرء نفسه اتّباع ما یحسن به فعله، و یستوجب فضله، و یسلم من عیبه، و إن البغی و الزور یزریان بالمرء فی دینه و دنیاه.. فاحذر الدنیا! لا فرح فی شیء وصلت إلیه منها، و قد علمت أنک غیر مدرک ما قضی فواته. و قد رام قوم أمرا بغیر الحقّ فتأوّلوا علی اللّه تعالی، فأکذبهم، و متّعهم قلیلا ثم اضطرهم إلی عذاب غلیظ، فاحذر یوما یغتبط فیه من أحمد عاقبه عمله، و یندم فیه من أمکن الشیطان من قیاده و لم یحاده، فغرّته الدنیا و اطمأن إلیها.

ثم إنّک دعوتنی إلی حکم القرآن، و لقد علمت أنک لست من أهل القرآن، و لست حکمه ترید، و اللّه المستعان. و قد

أجبنا القرآن إلى حكمه و لسنا إياك أجبنا، و من لم يرض بحكم القرآن فقد ضلّ ضلالا بعيدا».

فلما عاد الأشعث بكلام معاويه إلى الإمام، قال أكثر أصحابه: «رضينا و قبلنا و سمعنا و أطعنا».

و أشار الأشعث على الإمام بأن يبعث عنه أبا موسى الأشعرى.

فقال الإمام: «قد عصيتمونى فى أول هذا الأمر فلا تعصونى الآن، إنى لا أرى أن أولى أبا موسى الأشعرى»!.

فقال الأشعث و من خرج على الإمام من القرّاء المتطرفين: «لا نرضى إلا بأبى موسى»!.

قال الإمام: «ويحكم! هو ليس لى بثقه! لقد فارقنى و خذل الناس عنّى، ثم إنه هرب شهورا إلى مكه حتى أمنته، لكن هذا عبد اللّه بن عباس أولّيه ذلك».

قال الأشعث و الخوارج على الإمام: «و اللّه لا يحكم فيها مضريان» فابن العاص و ابن عباس من قريش فهما مضريان، أما الأشعث و أغلب الخوارج فمن قحطان، و بين مضر و قحطان عداء قديم و تنافس منذ الجاهليه!!

و عند ما رفضوا مرشّحه لم يجبرهم على ذلك بل قال: «إن أبيتم ابن عباس، فالأشتر» (و هو قحطانى مثلهم).

قالوا: «و هل سعر الأرض، و هاج هذا الأمر، و أشعل ما

نحن فيه إلّا الأشتر؟ لا نرضى بغير أبى موسى الأشعرى..

فإنه حذّرنا ما وقعنا فيه». قال علىّ: «إن معاويه لم يكن ليضع لهذا الأمر أحدا هو أوثق برأيه فى نظره من عمرو بن العاص، و إنّه لا يصحّ للقرشى إلّا مثله. فعليكم بعبد اللّه بن عباس فارموا به، فإن عمرو بن العاص لا يعقد عقده إلّا حلها عبد اللّه، و لا يحلّ عقده إلاّ ـ عقدها» فقال الأشعث: «اجعله رجلا ـ من أهل اليمن إذ جعلوا رجلا ـ من مضر» قال الإمام ساخرا: «أخاف أن يخدع يمنيكم فإن عمرو بن العاص ليس من اللّه فى شىء إذا كان له فى أمر هوى» قال الأشعث: «و اللّه لأن يحكما ببعض ما نكره و أحدهما من أهل اليمن، أحبّ إلينا من أن يكون بعض ما نحبّ فى حكمهما و هما مضريان».

فقال الأحنف بن قيس: «يا أمير المؤمنين، إنك قد رميت بحجر الأرض (الداهيه من الرجال)، و من حارب اللّه و رسوله فى أول الإسلام و إنى عجمت أبا موسى و حلبت أشطره، فوجدته كليل الشفره و أنه لا يصلح لهؤلاء القوم إلّا رجل يدنو منهم حتى يكون فى أكفّهم، و يتباعد عنهم حتى يكون بمنزله النجم منهم».

فقال الناس: «لا يكون إلّا أبا موسى». لقد قبل الإمام رأى أصحابه فى قبول الهدنه رغم النصر الذى كان يلوح له فى الأفق، و ها هو يريد أن يعيّن مبعوثا من قبله و لكن أصحابه لا

يقبلون، فلا يقول لهم: ما لكم و الدخول بين السلاطين.. و لا يجبرهم على ذلك، بل يقبل منهم النقاش و يحاول إقناعهم برأيه، فهو لا يريد أبا موسى ممثلا له، و لجبهته، فهو يتذكر ما كان من أبى موسى الأشعرى، عند ما أرسل إليه ليخرج معه إلى معركه الجمل، و كان أبو موسى إذ ذاك أميرا على الكوفه فأبى و منع الناس من الانضمام لعلى، و قال للناس إنه سمع رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: «إنها ستكون فتنه، القاعد فيها خير من القائم، و القائم خير من الماشى، و الماشى خير من الراكب».

فظلّ أبو موسى ينصح الناس ألاّ- يخرجوا مع الإمام، حتى جاءه الأشتر أميرا على الكوفه فاحتلّ قصر الإماره و طرده، فهرب أبو موسى إلى الحجاز، و خرج الناس مع عمّار و الأشتر و الحسن بن علىّ فوافوا الإمام قبل معركه الجمل!

لم يمرّ من الأعوام ما يكفى للنسيان!! ما مرّ إلاّ عامان فحسب. و ها هو ذا الإمام يضطر إلى أن ينيب عنه أبا موسى الأشعرى.

أمضّ الإمام أنهم يصرّون على رأيهم الخاطىء فقال:

«أعصى و يطاع معاويه»!!

و حاول أن يبصرهم بما هم صائرون إليه، و لكن بلا جدوى فقال لهم و قد قبل رأيهم..

«اصنعوا الآن ما أردتم، و افعلوا ما بدا لكم أن تفعلوه»!

فأرسلو إلى أبى موسى الأشعرى فى مكه، فقالوا له: «إن الناس قد اصطلحوا». فقال: «الحمد للّه» قالوا له: «و قد جعلوك حكما» قال: «إِنّا لِلّهِ وَ إِنّا إِلَيْهِ راجِعُونَ». هكذا عوّد الإمام أصحابه أن يكون لهم فى شؤونهم رأيا، كما عوّدهم أن يحاول إقناعهم بما هو مقتنع به، و أن يجادلهم، و أن يوضح لهم ما يجب توضيحه، و لكنه لم يعوّدهم أن يصدر الأوامر إليهم، و يحملهم على الطاعه بالرغم عنهم.

لقد غرست تعاليمه فى قلوبهم، أن لا- يخرّوا صمّا و عميانا إذا تليت عليهم آيات ربهم، بل عليهم أن يتدبّروا فيها، ليفقهوها، ليعبدوا اللّه عن بصيره، و عوّدهم أن يتفكّروا، فى كل أمر يصدره حتى فى اللحظات الحاسمه من الحرب، و أن يقرروا، حتى عند ما يجب على الجند عاده أن يطيعوا ما يؤمرون..

بينما عوّد معاويه أصحابه أن يسلّموا إليه القياد، و أن يغلقوا على أنفسهم باب الوعى و الفهم، و أن يطيعوه و لا يناقشوه، لقد مشى معهم على قاعده «أطع و لا تناقش» فقد «استخفّ قومه فأطاعوه» كما فعل فرعون من قبل.

أما الإمام الذى قام حكمه على الشورى، و الذى لم يقطع

أمرا دون أصحابه، إلاّ ـ فی أحکام اللّه و شریعته، و الذی لم یخف عنهم سرا إلاّ ما یتعلّق بأسرار الحرب، فقد أصرّ علی أتباع الشوری، حتی و إن أدّی ذلک إلی الهزیمه فی القتال..

کان رأیه غیر رأیهم، و کان الأفق واضحا أمامه، یری من بعید إلی ما ینتهی هذا الأمر، و لکنه لم یکن المستبد برأیه، و لم یرد أن یصادر آراء الناس و یجبرهم علی تغییر توجهاتهم..

و لنستمع مره أخری إلی ما یذکره المؤرخون فی هذا المجال..

«روی أنه بعد کتابه صحیفه التحکیم، دعی الشهود من الطرفین لیوقعوا علی الصحیفه: من کل جانب عشره، فلما دعوا الأشتر قال: لا صحبتنی یمینی و لا نفعتنی بعدها الشمال إن کتب لی فی هذه الصحیفه اسم علی صلح أو موادعه. أو لست علی بیّنه من ربی، و یقینی من ضلاله عدوی؟! أو لستم قد رأیتم الظفر إن لم تجمعوا علی الخور؟!

فوثب الأشعث بن قیس، فقال محتدا: «إنک و اللّه ما رأیت ظفرا و لا خورا، هلمّ فاشهد علی نفسک، و أقرر بما کتب فی هذه الصحیفه، فإنه لا رغبه بک عن الناس».

قال الأشتر: «بلی و اللّه إن لی لرغبه عنک فی الدنیا للدنیا،

و فى الآخره للآخره، و لقد سفك اللّه بسيفى هذا دماء رجال ما أنت بخير منهم عندى، و لا أحرم دما».

فقال الأشعث: «و لكن قد رضيت بما صنع على أمير المؤمنين، و دخلت فيما دخل فيه، و خرجت مما خرج منه، فإنه لا يدخل إلاّ فى هدى و صواب».

و الأشتر فارس اشتهر بأنه عظيم الصوله، صارم القلب، شديد الإقدام و هو خواض غمرات.

فآثر الأشعث أن لا يجادله أو يخاصمه، و ذهب و معه عصابه من القرّاء إلى على، فقال الأشعث: «يا أمير المؤمنين الأشتر لا يقرّ بما فى الصحيفه، و لا يرى إلاّ القتال».

و حاولوا أن يصوروا الأشتر مخالفا للإمام كارها لما رضيه القوم. فقال الإمام: «و أنا و اللّه ما رضيت و لا أحببت أن ترضوا، فإذا أبيتم إلاّ أن ترضوا فقد رضيت، و إذ رضيت فلا يصلح الرجوع بعد الرضا و لا التبديل بعد الإقرار، إلاّ أن يعصى اللّه و يتعدّى كتابه، فتقاتلوا من ترك أمر اللّه.

و أما الذى ذكرتم من تركه أمرى و ما أنا عليه فليس من أولئك و لست أخافه على ذلك. يا ليت فيكم مثله اثنين! يا ليت فيكم مثله واحدا يرى فى عدوى ما أرى! إذن لخفت علىّ مؤنتكم، و رجوت أن يستقيم لى بعض أودكم (الأود: العوج).

ص:٥٠

و قد نهيتكم فعصيتمونى، فكنت أنا و أنتم كما قال أخو هوازن (دريد بن الصمه الشاعر الجاهلى):

و هل أنا إلّا من غزيه إن غوت غويت و إن ترشد غزيه أرشد

و اللّه لقد فعلتم فعله ضعضعت قوه، و أسقطت منه (قوه)، و أورثت و هنا و ذلّه، و لمّا كنتم الأعلين، و خاف عدوّكم الاجتياح، و استحرّ بهم القتل، و وجدوا ألم الجراح، رفعوا المصاحف فدعوكم إلى ما فيها ليفتنوكم عنهم، و يقطعوا الحرب، و يتربّصوا بكم ريب المنون، خديعه و مكيده، فأعطيتموهم ما سألوا و أبيتم إلّا أن تهنوا و تغيروا و أيم اللّه، ما أظنّكم بعدها توفقون لرشد، و لا تصيبون باب حزم»(۱).

فالإمام لم يرض بالتحكيم، تماما كما لم يرض الأشتر، و لكنه حينما رأى أصحابه يرضون رضى به «فإذا أبيتم إلّا أن ترضوا فقد رضيت».

إنه الشورى فى الحكم، و النتائج قد لا تكون مرضيه، و لكن لا بدّ من قبولها لأن التراجع عن الشورى تراجع عن المبدأ، أمّا النتائج فهى لا تتعدّى أمور الدنيا هذه. و كان علىّ عليه السّلام زاهدا فيها.

***

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۱۳۲-۱۳۴.

و نجد مثالا ـ آخر لتدخّل أصحاب الإمام فى الشؤون التى تهمهم من أمور الدوله، فى مناقشات «التحكيم» فعندما اقترب موعد اجتماع الحكمين، فقد أرسل الإمام وفدا من أربعمائه رجل على رأسهم عبد اللّه بن عباس، و شريح بن هانىء، و معهم أبو موسى الأشعرى.

و أرسل معاويه وفدا من أربعمائه رجل و معهم عمرو بن العاص.

و التقوا جميعا فى (دومه الجندل) بين العراق و الشام.

و كانت الرسائل تتردّد بين معاويه فى دمشق و عمرو فى دومه الجندل، فلا يعرف أحد من وفد الشام ما بعث به معاويه و لا ما ردّ به عمرو، و لا يحاول أحد أن يسأل، فقد ألفوا أن يتركوا الأمر جميعا لمعاويه منذ بايعوه على السمع و الطاعه..

أما وفد العراق فكانوا إذا علموا أن كتابا وصل من علىّ وثبوا على ابن عباس يسألونه: «ما الذى كتب به إليك أمير المؤمنين»؟

فإذا كتم عنهم شغبوا عليه و صاحوا غاضبين: «لماذا كتمتنا ما كتب به أمير المؤمنين؟ أتراه كتب فى كذا أو فى كذا»؟.

و ضاق ابن عباس بإلحاحهم و أخذ يؤنبهم: «أما تعقلون؟!

إذا جاء رسول أمير المؤمنين قلتم بأى شىء جاء؟ فإذا كتمتكم قلتم لم تكتمنا. أجاء بكذا و كذا؟ و ما تزالون تظنون حتى تصيبوا، فليس لكم سر..! ألا ترون رسول معاويه يجىء و يرجع لا يعلم أحد بما جاء و رجع، و لا يسمع لهم صياح و لا لغط، و أنتم عندى كل يوم تظنون!؟ أما تعقلون»؟(١).

***

و لقد قال الإمام رأيا صريحا فى سبب قبوله للتحكيم حينما ناقش الخوارج - فيما بعد - قبيل معركه النهروان - حيث أوضح أن السبب هو «رأيهم» هم فقال:

«قد كنت نهيتكم عن هذه الحكومه، فأبيتم علىّ إباء المنابذين، حتى صرفت رأيى إلى هواكم، و أنتم معاشر أخفّاء الهام، سفهاء الأحلام»(٢).

فالإمام صرف رأيه إلى أهوائهم، بالرغم من علمه بأنهم أخفّاء الهام و سفهاء أحلام، فهم على كل حال هم البشر، - بما فيهم من علّات - الّذين يحكمهم الإمام، و إذا أخذنا الشورى كمبدأ فلا بدّ من قبول آرائهم، مع قطع النظر عن النتائج، حيث إن النتائج يتحمّلون وزرها هم دون الإمام ثم إنه

١- على إمام المتّقين: ج ٢، ص ١٤٥.

٢- الموفقيات: للزبير بن بكار، ص ٣٥٠.

إذا كان من حق الناس انتخاب القياده، و من حقّهم التدخّل فی ما يرتبط بمصائرهم، فإن لهم أيضا أمران:

الأوّل - حقّ مراقبه الحاكم.

الثانی - حقّ عزله.

فللناس حق محاسبه الحاكمين، و مراقبتهم لكيلا يشطّوا عن السبيل. و هو ليس مجرد حق، بل ربما كان واجبا، و عليه الأجر و الثواب، و ذلك ضمن إطار «الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر» و الذی يشمل الحاكم كما يشمل المحكوم..

و قد جاء فی الحديث: «و هل الدين إلّا النصيحه؟».

قيل: لمن؟

قال: «لأئمه المسلمين» (۱)«و النصيحه هنا الأمر بالمعروف و النهی عن المنكر، و إعطاء المشوره و التقويم و المحاسبه و غير ذلك. و ليس الأمر مجرد حق، بل إن الإنسان سيسأل عنه يوم القيامه، قال اللّه تعالی: وَ إِذْ قالَتْ أُمَّهٌ مِنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْماً اللّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذاباً شَدِيداً قالُوا مَعْذِرَهً إِلی رَبِّكُمْ وَ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ (۱۶۴)(۲).

و الذی نری أن حق مراقبه الحاكم، يسبقه واجب علی

۱- الصياغه الجديده: ص ۳۲۵.

۲- سوره الأعراف، الآيه: ۱۶۴.

الحاكم، و هو واجب كشف أموره للناس، و شرح مواقفه و أسباب ذلک، و توضيح ما يجب توضيحه.

يقول الإمام على عليه السّلام فى عهده إلى مالک الأشتر: «و إن ظنت الرّعيه بک حيفا فأصحر لهم بعذرک، و اعدل عنک ظنونهم بأصحارک، فإن فى ذلک رياضه منک لنفسک، و رفقا برعيّتک، و أعذارا تبلغ به حاجتک من تقويمهم على الحق»(۱).

و أمّا حق عزل الحاكم، فهو مجرد حق، إذا لم يرتكب الحاكم ما يوجب عزله، فلو أن أكثريه الناس لم يرغبوا لأى سبب من الأسباب فى استمرار الحاكم فى إداره شؤونهم فإن لهم انتخاب غيره، ضمن إطار من القانون و الشرعيه.

أمّا إذا ارتكب الحاكم الموبقات، فإن هذا «الحق» يتبدّل إلى «واجب» فلو ظلم الحاكم رعيته، فلا بدّ من تقويمه، و إن لم ينفع معه التقويم فلا بدّ من عزله..

يقول الإمام على عليه السّلام: «أيها المؤمنون.. من رأى عدوانا يعمل به، و منكرا يدعى إليه فأنكره بقلبه فقد سلم و برىء، و من أنكره بلسانه فقد أجر، و هو أفضل من صاحبه، و من أنكره بالسيف لتكون كلمه اللّه هى العليا، و كلمه الظالمين السفلى

۱- نهج البلاغه: الحق، ص ۵۳.

فذلک الذی أصاب سبیل الهدی، و قام علی الطریق، و نور فی قلبه الیقین(۱).

و یقول رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «سیکون علیکم أئمه یملکون أرزاقکم، یحدّثونکم فیکذبونکم، و یعملون فیسیؤون العمل، لا یرضون منکم حتی تحسنوا قبیحهم، و تصدّقوا کذبهم فأعطوهم الحق ما رضوا به فإذا تجاوزوا فمن قتل علی ذلک فهو شهید»(۲).

و یقول الإمام علی علیه السّلام: «أخذ اللّه علی العلماء، أن لا یقارّوا علی کظه ظالم و لا سغب مظلوم»(۳).

و فی النقاش الذی جری بین الإمام علی علیه السّلام و بین کل من طلحه و الزبیر قال الإمام لهما فی جواب قولهما: «کرهناک..

نحن ثلاثه. أنت واحد و نحن اثنان».

فقال علیّ: «أ لم تعلم أنی ما أکرهت أحدا علی البیعه؟ الآن لیس لکما غیر ما رضیتما به! کان لکما أن تکرهانی، و ألا ترضیا بی قبل الرضی، و قبل البیعه، إلاّ أن تخرجانی

۱- الوسائل: ج ۱۱، ص ۴۰۵.

۲- کنز العمال: ج ۶، الحدیث: ۱۴۸۷۶.

۳- نهج البلاغه: الخطب، ص ۳.

مما بويعت عليه بحدث، فإن كنت أحدثت حدثا فسمّوه لى!»(۱).

و هكذا فإن الحاكم إذا خالف القانون، و لم تنفع معه النصيحه «وجب إسقاطه»(۲) و إعلان العصيان ضدّه إذ «لا طاعه لمخلوق فى معصيه الخالق»(۳) و قد ورد فى كتاب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى أهل البحرين عند ما ولّى عليهم «العلاء بن الحضرمى»، قوله صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «و أنا أشهد اللّه تعالى على من وليته شيئا - قليلا أو كثيرا - من أمور المسلمين فلم يعدل فيهم، أنه لا طاعه له، و هو خليع مما ولّيته، و قد برئت ذمم المسلمين معه»(۴).

و فيما يرتبط بقضيه احترام الأقليه لرأى الأكثريه و ضروره خضوعهم فى الأمور العامه لهم.. فإنه لأمر يحكم به العقل.. حيث إن البديل عن ذلك سيكون العكس، أى خضوع الأكثريه للأقليه، أو الفوضى و لا شك «أن سيره العقلاء فى جميع الأعصار و الأصقاع جرت على تغليب الأكثريه على الأقلّيه»(۵).

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲.

۲- المعتبر: للمحقق الحلى.

۳- الصياغه الجديده: ص ۳۲۶.

۴- المصدر السابق.

۵- دراسات فى ولايه الفقيه: ص ۵۵۳.

و قد روی عن أمیر المؤمنین قوله: «الزموا السواد الأعظم، فإن ید اللّه مع الجماعه، و إیّاکم و الفرقه.. فإن الشاذّ من الناس للشیطان! کما أن الشاذّ من الغنم للذئب»(۱).

و روی عنه أیضا قوله: «و لعمری لئن کانت الإمامه لا تنعقد حتی یحضرها عامّه الناس فما إلی ذلک سبیل. و لکن أهلها یحکمون علی من غاب عنها. ثم لیس للشاهد أن یرجع، و لا للغائب أن یختار»(۲).

و روی عنه أیضا قوله: «إنه بایعنی القوم الّذین بایعوا أبا بکر، و عمر، و عثمان علی ما بایعوهم علیه، فلم یکن للشاهد أن یختار، و لا للغائب أن یردّ، و إنما الشوری للمهاجرین و الأنصار (و کانوا یشکّلون الأکثریه حینذاک) فإن اجتمعوا علی رجل و سمّوه إماما کان ذلک للّه رضا، فإن خرج عن أمرهم خارج بطعن أو بدعه ردّوه إلی ما خرج منه. فإن أبی قاتلوه علی اتباعه غیر سبیل المؤمنین، و ولّاه اللّه ما تولّی»(۳).

۱- معدن الجواهر: ص ۲۲۶.

۲- تحف العقول: ص ۱۳۰.

۳- الإمامه و السیاسه: ج ۱، ص ۹۳.

الثالث – قداسه القانون:

الشريعه قانون المجتمع الإسلامى، و قداستها تعنى تساوى الأفراد أمامها، و تعنى تطبيقها على كل أفراد المجتمع، مع قطع النظر عن مواقعهم، و مسؤولياتهم و المساواه أمام القانون، هى أجلى مظاهر حاكميته و قدسيته..

و الرجوع إليه فى المشتبهات هو نتيجه تلك الحاكميه.

و إجراء أحكامه على الجميع، و أن يكون الحق لمن يتقيّد به، و على من يخالفه كل ذلك من مظاهر حاكميه القانون و قدسيته..

و فى الحقيقه فلا- يمكن تصوّر ديمقراطيه حقيقيه من دون وجود ثوابت قانونيه، تكون مرجعا للناس، بحيث يكون الضعيف و القوى متساويين أمامه..

فكيف كان الإمام على عليه السّلام؟

لقد أوضح الإمام مرّات عديده أنّه لا يفرّق بين الناس فى الحق، بل إن ذلك هو من أظهر مواقفه على الإطلاق إبّان خلافته فلقد صرّح بذلك قولا و كتابه فقال:

«ألا و إنّ لكم عندى أن لا أؤخر لكم حقا عن محلّه، و لا

أقف به دون مقطعه، و أن تكونوا عندى فى الحقّ سواء، فإذا فعلت ذلک وجبت للّه علیکم النعمه، ولی علیکم الطاعه»(۱).

فجعل علیه السّلام المساواه أمام القانون شرطا علیه لهم، و ربطها بطاعتهم له، فإذا فعل هو ذلک، وجبت علیهم الطاعه و إلاّ فلا..

و قال فی رساله له إلی بعض عمّاله، و قد بلغه أنّه تصرّف فی أموال العامّه، و أثری علی حسابهم، و صادر ما فی بیت المال، فکتب إلیه رساله شدیده اللهجه جاء فی بعض مقاطعها:

«أیّها المعدود - کان - عندنا من أولی الألباب، کیف تسیغ شرابا و طعاما، و أنت تعلم أنک تأکل حراما، و تشرب حراما، و تبتاع الإماء و تنکح النساء، من أموال الیتامی و المساکین، و المؤمنین و المجاهدین الّذین أفاء اللّه علیهم هذه الأموال، و أحرز بهم هذه البلاد، فاتّق اللّه و اردد إلی هؤلاء القوم أموالهم، فإنک إن لم تفعل ثم أمکننی اللّه منک لأعذرنّ إلی اللّه فیک، و لأضربنّک بسیفی الذی ما ضربت به أحدا إلاّ دخل النار..

«و واللّه، لو أن الحسن و الحسین فعلا مثل الذی فعلت ما کانت لهما عندی هواده، و لا ظفرا منّی بإراده حتی آخذ الحق منهما، و أزیح الباطل عن مظلمتهما»(۲).

۱- نهج البلاغه: الکتب، ص ۵۰.

۲- أنساب الأشراف: ج ۲، ص ۱۷۴.

و فی عهده إلی مالک الأشتر یؤکد علیه حاکمیه القانون، فیقول: «و الزم الحقّ من لزمه من القریب و البعید، و کن فی ذلک صابرا محتسبا، واقعا ذلک من قرابتک و خاصّتک حیث وقع، و ابتغ عاقبته بما یثقل علیک منه، فإنّ مغبّه ذلک محموده»(۱).

و یقول له أیضا فی مسأله الرجوع إلی الشریعه فی موارد الخلاف و الشبهه: «و اردد إلی اللّه و رسوله ما یضلعک من الخطوب، و یشتبه علیک من الأمور، فقد قال اللّه تعالی لقوم أحبّ إرشادهم: یا أَیُّهَا الَّذِینَ آمَنُوا أَطِیعُوا اللّهَ وَ أَطِیعُوا الرَّسُولَ وَ أُولِی الْأَمْرِ مِنْکُمْ فَإِنْ تَنازَعْتُمْ فِی شَیْ ءٍ فَرُدُّوهُ إِلَی اللّهِ وَ الرَّسُولِ (۲) فالردّ إلی اللّه: الأخذ بمحکم کتابه، و الردّ إلی الرسول: الأخذ بسنّته الجامعه غیر المفرّقه»(۳).

و لقد أدّت المساواه بین الناس أمام القانون، ببعض الملأ من أصحاب الإمام إلی الهرب إلی معاویه، حیث کان یسمح للنخبه منهم بالاستئثار بما الناس فیه أسوه، و الإثراء غیر المشروع و نقض القانون..

فقد کتب الإمام علیه السّلام إلی عثمان بن حنیف عامله علی

ص:۶۱

۱- نهج البلاغه: الکتب، ص ۵۳.

۲- سوره النساء، الآیه: ۵۹.

۳- المصدر السابق.

المدينه بعد فرار بعض الرجال إلى معاويه، هربا من مساواه الإمام للناس يقول له:

«أمّا بعد.. فقد بلغنى أن رجالا ـ ممّن قبلك يتسلّلون إلى معاويه، فلا تأسف على ما يفوتك من عددهم، و يذهب عنك من مددهم، فكفى لهم غيّا و لك منهم شافيا: فرارهم من الهدى و الحق، و إيفادهم إلى العمى و الجهل، و إنما هم أهل دنيا مقبلون عليها، و مهطعون إليها، و قد عرفوا الحق و رأوه، و سمعوه و وعوه، و علموا أن الناس عندنا فى الحق أسوه، فهربوا إلى الأثره، فبعدا لهم و سحقا»(۱).

و على كل حال فإن مما يكفل الحريه فى دساتير عالم اليوم هو «سياده القانون» فى علاقه السلطه بالشعب، و علاقه الشعب بالسلطه، فالقانون هو السيّد، لا القدره، و المال و العشيره و ما أشبه. و من الواضح أن منبع الدساتير الإسلاميه القرآن الحكيم، و سنّه رسول اللّه، و الروايات الوارده عن الأئمه الطاهرين، و فى كل ذلك نجد لزوم سياده القانون يقول اللّه تعالى: وَ مَنْ لَمْ يَحْكُمْ بِما أَنْزَلَ اللّهُ فَأُولئِکَ هُمُ الْكافِرُونَ (۲) ، و يقول: فَأُولئِکَ هُمُ الْفاسِقُونَ (۳) ،

۱- التاريخ: لابن واضح، ج ۲، ص ۱۹۲.

۲- سوره المائده، الآيه: ۴۴.

۳- سوره المائده، الآيه: ۴۷.

و يقول: فَأُولئِكَ هُمُ الظّالِمُونَ (١). و حتى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على عظمته فهو محكوم بالقانون، قال اللّه سبحانه: وَ لَوْ لا أَنْ ثَبَّتْناکَ لَقَدْ کِدْتَ تَرْکَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً (٧۴) إِذاً لَأَذَقْناکَ ضِعْفَ الْحَياهِ وَ ضِعْفَ الْمَماتِ (٢)(٣).

الرابع – احترام حقوق الإنسان:

إن اللّه وضع الأرض للأنام(۴). و الناس فيها مسلّطون على أموالهم و أنفسهم(۵) و «ما من شىء أكرم على اللّه من ابن آدم، حتى الملائكه»(۶) فحقوقه الشخصيه، و الاجتماعيه، و الاقتصاديه كحقوقه السياسيه، مصانه و محترمه، و لا يجوز مصادرتها.. لأن «كل المسلم على المسلم حرام: دمه و ماله و عرضه»(٧) و «لا تبطل حقوق المسلمين فيما بينهم»(٨) كما «لا يبطل حق امرىء مسلم»(٩).

ص:۶٣

١- سوره المائده، الآيه: ۴۵.

٢- سوره الإسراء، الآيتان: ٧۴، ٧۵.

٣- الصياغه الجديده: ص ٣٣٣.

۴- مضمون قوله تعالى وَ الْأَرْضَ وَضَعَها لِلْأَنامِ، سوره الرحمن، الآيه: ١٠.

۵- الصياغه الجديده: ص ٣٣٣.

۶- كنز العمّال: خ ٣۴۶٢١.

٧- الصياغه الجديده: ص ٣٣۴.

٨- الوسائل: ج ١۴، ص ٢١٠.

٩- الوسائل: ج ١٩، ص ۶۵.

و هكذا فإن اللّه «شدّ بالإخلاص و التوحيد حقوق المسلمين فی معاقدها فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه و يده - إلاّ بالحق - و لا يحلّ أذی المسلم - إلا بما يجب» - بل إنه (۱)«جعل اللّه سبحانه حقوق عباده مقدمه علی حقوقه، فمن قام بحقوق عباد اللّه كان ذلک مؤديا إلی القيام بحقوق اللّه»(۲).

و من هنا فلا يجوز للحاكمين و غيرهم مصادره أی حق من حقوق الإنسان و هی أكثر من مائه حق، بما فيها حقوقه الاقتصاديه، و الشخصيه و الاجتماعيه»(۳).

تلک هی الأصول الأربعه للشوری، التی اعتمدها الإمام علی عليه السّلام فی حكمه، و هی الأصول التی حرّم اللّه المساس بها، و التی أمر باتباعها قائلا: وَ أَمْرُهُمْ شُوری بَيْنَهُمْ (۴) علی أساس أن الشوری، هو الأمر المتصوّر الوحيد للتعامل بين المسلمين، دون غيره..

۱- الخصائص: ص ۸۷.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- راجع الصياغه الجديده: ص ۳۱۶-۳۲۱.

۴- سوره الشوری، الآيه: ۳۸.

الاعتراف بحق المعارضه

مشروعيه المعارضه، تأتی من مشروعیه وجود الإنسان ذاته، فما دام أن اللّه تعالی خلق کل إنسان بذوق خاص، و عقل خاص، و شهوات و رغبات مختلفه عن غیره، و لم یفرض علی الناس وحده الفکر و الذوق، فإن من حق الناس أن یتصرفوا فی شؤونهم الخاصه بالشکل الذی یعجبهم، و أن یتّخذوا المواقف التی یختارونها، و أن یعبروا عمّا یؤمنون به، إنما فی حدود معقوله، و ضمن إطار لا یؤدّی إلی الفوضی، و لا إلی إلغاء حقوق الآخرین.

إن ربنا هو الذی خلقنا أَطْواراً (۱) فهل یجوز لنا أن «نوحّد» الجمیع و نلغی أطوارهم؟..

و إن اللّه هو الذی خلق الناس أحرارا فَمَنْ شاءَ فَلْیُؤْمِنْ

ص:۶۵

۱- سوره نوح، الآیه: ۱۴.

وَ مَنْ شاءَ فَلْيَكْفُرْ (۱) و هل تبقى لحريتهم من معنى، لو منعناهم من ممارستها عمليا؟..

و إن اللّه هو الذى ركّب فينا الرغبات و الشهوات، و العقل و الضمير و زُيِّنَ لِلنّاسِ حُبُّ الشَّهَواتِ مِنَ النِّساءِ وَ الْبَنِينَ وَ الْقَناطِيرِ الْمُقَنْطَرَهِ مِنَ الذَّهَبِ وَ الْفِضَّهِ (۲) فهل يمكن توحيد الرغبات و الأهواء؟

و إن اللّه هو الذى فتح أمام الناس طريقين: طريق الهدايه، و طريق الضلال، طريق الخير و طريق الشر. طريق الحلال و طريق الحرام إِنّا هَدَيْناهُ السَّبِيلَ إِمّا شاكِراً وَ إِمّا كَفُوراً (۳)

فهل يجب علينا إغلاق أحدهما لكى يمشى الجميع فى طريق واحد بالإكراه و الإجبار؟..

إن اللّه جعل ابتلاءه للعباد على أساس حرّيتهم، و قدرتهم على الطاعه و المعصيه معا. و لم يشأ لهم أن يحملهم على الطاعه، و إلاّ لفعل.. وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّهً واحِدَهً وَ لكِنْ لِيَبْلُوَكُمْ فِی ما آتاكُمْ (۴). وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَمَعَهُمْ عَلَى الْهُدى (۵).

۱- سوره الكهف، الآيه: ۲۹.

۲- سوره آل عمران، الآيه: ۱۴.

۳- سوره الإنسان، الآيه: ۳.

۴- سوره المائده، الآيه: ۴۸.

۵- سوره الأنعام، الآيه: ۳۵.

و قد سمح اللّه تعالى لمن شاء أن يكفر قُلِ اللّهَ أَعْبُدُ مُخْلِصاً لَهُ دِينِی (۱۴) فَاعْبُدُوا ما شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ (۱)مَنْ کانَ یُرِیدُ الْعاجِلَهَ عَجَّلْنا لَهُ فِیها (۲)وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَکُمْ أُمَّهً واحِدَهً وَ لکِنْ یُضِلُّ مَنْ یَشاءُ (۳) ، لَیسَ عَلَیْکَ هُداهُمْ (۴) ، وَ لَوْ شاءَ اللّهُ ما أَشْرَکُوا وَ ما جَعَلْناکَ عَلَیْهِمْ حَفِیظاً (۵) ، فهل علینا أن نجبرهم علی الهدایه؟..

و إن اللّه تعالی أراد للناس أن یکونوا أمما مختلفه، و لیس أمه واحده بالإجبار.. وَ لَوْ شاءَ اللّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّهً واحِدَهً (۶)

فهل یمکن توحیدهم فی أمّه واحده؟.

و هکذا فإن سنّه اللّه تعالی قائمه علی التعددیه، لا الأحادیّه، و أی إلغاء للمعارضه هو إلغاء للتطوّر، و تجمید للحیاه.

ثمّ إن اللّه تعالی سمح لإبلیس بالمعارضه، و سجّل کلامه، و حواره معه فی الکتب التی أنزلها علی أنبیائه قالَ إِنَّکَ مِنَ الْمُنْظَرِینَ (۱۵) قالَ فَبِما أَغْوَیْتَنِی لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِراطَکَ الْمُسْتَقِیمَ (۱۶) ثُمَّ

۱- سوره الزمر، الآیتان: ۱۴-۱۵.

۲- سوره الإسراء، الآیه: ۱۸.

۳- سوره النحل، الآیه: ۹۳.

۴- سوره البقره، الآیه: ۲۷۲.

۵- سوره الأنعام، الآیه: ۱۰۷.

۶- سوره الشوری، الآیه: ۸.

لَآتِيَنَّهُمْ مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ وَ مِنْ خَلْفِهِمْ وَ عَنْ أَيْمانِهِمْ وَ عَنْ شَمائِلِهِمْ وَ لا تَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شاكِرِينَ (١٧)(١).

فهل هنالك من هو أعلى و أجلّ من رب العالمين، و هل هنالك من هو أخسّ و أرذل من إبليس، و قد عارض اللّه و لا يزال، و هو من المنظرين إلى يوم الوقت المعلوم؟

***

ثم إنّ الشورى فى الحكم يتطلب السماح للمعارضه، بشرط أن لا يتحوّل إلى تمرّد، و أن يخضع الأقليه للأكثريه، مع السماح للأقليه بالنشاط البنّاء غير المخرّب، و بحريّه العمل لكسب التأييد من الناس، و التحوّل من أقليّه معارضه، إلى أكثريه لها القرار، إن استطاعت..

و لقد كان الإمام على عليه السّلام قد ابتلى بمن عارضه كأفراد، كما ابتلى بمن عارضوه كجماعات.. فكثيرون عارضوه منذ أن بويع بالخلافه فرفضوا مبايعته منهم سعد بن أبى وقاص، و عبد اللّه بن عمر، و حسان بن ثابت، و زيد بن ثابت، و محمد بن مسلمه، فلم يجبرهم على البيعه، بل تركهم و شأنهم.

.. و منهم من رفض الخروج معه فى حروبه مع أعدائه،

١- سوره الأعراف، الآيات: ١۵-١٧.

و منهم من خذّل عنه الناس، و منهم من أخذ يبثّ الدعايات ضدّه، و مع ذلک فإن الإمام - و هو على حق، و هم على باطل - لم يقم بما يلى:

أولا - لم يكمّ الأفواه.

ثانيا - لم يمنع المعارضين من التجمّع، و عقد الاجتماعات.

ثالثا - لم يضيّق الخناق على المعارضه بأىّ شكل من الأشكال، فأعطاهم حقوقهم التاليه:

١ - حق الكلام.

٢ - حقّ الفىء.

٣ - حق التردد.

لقد بنى الإمام عليه السّلام حكمه على أساس الشورى و الحوار، و لم يتراجع عن هذين الأمرين فى أحلك الظروف، بالرغم من أنّ كثيرا من الّذين عارضوه كانوا ينطلقون، ليس من خلاف فى الرأى، بل من طمع فى الحكم، أو حقه فى النفس، أو حب فى الاثره، أو فرار من عدل، أو رغبه فى الدنيا..

و لكن للمعارضه حقوق، و لا بدّ من مراعاتها، مع قطع النظر عمّن يكونوا، و عمّا ذا يريدون، و ماذا تكون منطلقاتهم.

و لذا فيما يلى نماذج من مواقف الإمام مع معارضيه..

الذى ابتلى الإمام بثلاث فئات منهم:

١ - الناكثون، و هم الّذين بايعوه ثم نقضوا البيعه مثل أصحاب الجمل.

٢ - المارقون، و هم الّذين تمرّدوا عليه و هم أصحاب معاويه.

٣ - القاسطون، و هم الّذين ظلموه و خرجوا عليه، و هم أصحاب النهروان.

و لقد كان تعامل الإمام معهم، قبل أن يشنّوا الحرب عليه تعاملاـ إنسانيا رفيع المستوى. فقد سمح لهم بالعمل كأفراد، و كجماعات، و حاور معهم طويلا، و لم يبدأهم بقتال و لا مره واحده..

فمثلا مع طلحه و الزبير، اعتمد أسلوب السماح. فقد جاءاه و قالا له: «نريد العمره»، فقال: «بل تريدان الغدره» و لم يمنعهما من الخروج من المدينه، مع علمه بأنهما ينويان الغدره و حينما جمعا الجيوش، و ألبّا عليه، و قتلا بعض أصحابه، و طردا عامله «عثمان بن حنيف» حاول معهما أسلوب الهدايه، و كان يسمح لهما بالعمل كمعارضين، و لذلك حاججهم طويلا، و حاول إقناعهم بالعدول عن العدوان و الاكتفاء بالمعارضه، و قد صرّح الإمام بذلك قبل الخروج إليهم..

فقد روی أن رجلا سأل الإمام و هم فی الطریق إلی البصره فقال: «یا أمیر المؤمنین أی شیء نرید»؟.

قال الإمام: «أما الذی نرید و ننوی فإصلاح إن قبلوا منّا».

قال: «فإن لم یقبلوا»؟

قال الإمام: «ندعوهم و نعطیهم من الحق ما نرجو أن یرضوا به».

قال: «فإن لم یرضوا»؟

قال أمیر المؤمنین: «ندعهم ما ترکونا».

قال الرجل: «فإن لم یترکونا»؟

قال: «نمتنع عنهم»(۱).

و عند ما واجه أصحاب الجمل و قد بیّتوا النیّه لقتال الإمام، و باشروه فی طریقهم إلی البصره، نادی الزبیر، و کان الإمام قد کتب إلیه، و إلی طلحه کتابا جاء فیه:

«أما بعد، فقد علمتما أنی لم أرد الناس حتی أرادونی، و لم أبایعهم حتی بایعونی، و إنکما لممّن أرادنی و بایعنی، و أن العامه لم تبایعنی لسلطان غالب و لا لعرض حاضر.

فإن کنتما بایعتمانی کارهین فقد جعلتما لی علیکما

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۶۴.

السبیل، بإظهارکما الطاعه، و إسرارکما المعصیه، و إن کنتما بایعتمانی طائعین فارجعا، و توبا إلی اللّه.

إنک یا زبیر لفارس رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و حواریه، و إنک یا طلحه لشیخ المهاجرین، و إن دفاعکما هذا الأمر قبل أن تدخلا فیه، کان أوسع علیکما من خروجکما منه بعد إقرارکما به، و قد زعمتما للناس هنا أنی قتلت عثمان، فبینی و بینکما فیه بعض من تخلّف عنّی و عنکما من أهل المدینه. بل أنت یا طلحه من ألّب علیه، و أنت یا زبیر خذلت عنه!.. و زعمتما للناس هنا أنی آویت قتله عثمان، فهؤلاء بنو عثمان معکم، فلیدخلوا فی طاعتی ثم یخاصموا إلی قتله أبیهم. و ما أنتما و عثمان إن کان قتل ظالما أو مظلوما؟! و قد بایعتمانی، و أنتما بین خصلتین قبیحتین: نکث بیعتکما، و إخراج أمّکما عائشه أم المؤمنین»(۱)!.

ثم قال الإمام للزبیر: «ما أخرجک أنت یا زبیر»؟

فقال الزبیر: «أنت..»!

فقال له الإمام «تذکر یا ابن العمّه یوم مررت مع رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فنظر إلیّ، فضحک و ضحکت. فقلت أنت:

۱- المقامات فی مناقب أمیر المؤمنین: أبو جعفر الإسکافی.

«لا يدع ابن أبی طالب زهوه». فقال رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «إنّه لیس بزهو، و لتقاتلنه یا زبیر و أنت له ظالم»(۱).

فتذکر الزبیر، و هزّه ضمیره فقال: «و لکن کیف أرجع الآن؟.. هذا و اللّه هو العار الذی لا یغسله الدهر»!

فقال له الإمام: «یا زبیر، ارجع بالعار، خیر من أن ترجع بالعار و النار»(۲).

و کم من حوار جری بینه و بین أصحاب الجمل، حتی بعد انتصاره علیهم، حیث کان فی مقدوره أن یبطش بهم، حتی لا تسمع منهم نأمه، غیر أنه بالعکس من ذلک حیث نراه یستقبل وجوه القوم الّذین حاربوه، و عفا عنهم و یتحاور معهم..

فقد روی أنه اجتمع نفر من أهل قریش فیهم مروان بن الحکم، و کانوا کلهم أسری أطلقهم الإمام علی، فقال بعضهم لبعض: «و اللّه لقد ظلمنا علیّا، لقد بایعناه و نکثنا بیعته من غیر حدث، و لقد أظهره اللّه علینا. فما رأینا أکرم سیره منه، و لا أحسن عفوا بعد رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم. تعالوا حتی ندخل و نعتذر إلیه فیما صنعناه».

و شفّعوا عنده ابن عمّه عبد اللّه بن عباس، فلما استقبلهم

۱- عبقریه الإمام علی علیه السّلام: ص ۲۴.
۲- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۷۱.

أمیر المؤمنین، جعل متکلمهم یتکلم فیتعثّر من الحرج، فقال الإمام لهم: «أنصتوا أکفکم!.. إنما أنا بشر مثلکم، فإن قلت حقّا فصدقونی، و إن قلت باطلا فردّوا علیّ، أنشدکم اللّه أتعلمون أن رسول اللّه قبض و أنا أولی الناس به، و بالناس من بعده»؟.

قالوا: «اللّهمّ نعم».

قال: «فعدلتم عنی و بایعتم أبا بکر، فأمسکت و لم أحبّ أن أشقّ عصا المسلمین، و أفرّق بین جماعاتهم، ثم إن أبا بکر جعلها لعمر من بعده فکففت، و لم أهج الناس، و قد علمت أنی کنت أولی الناس باللّه و رسوله و مقامه، فصبرت، فلما قتل عمر و جعلنی سادس سته، لم أحبّ أن أفرق بین المسلمین، ثم بایعتم عثمان، فطغیتم علیه، و قتل عثمان، و أنا جالس فی بیتی، فأتیتمونی و بایعتمونی کما بایعتم أبا بکر و عمر، و لکنکم وفیتم لهما و لم تفوا لی! فما الذی منعکم من نکث بیعتهما و دعاکم إلی نکث بیعتی»؟.

قالوا: «یا أمیر المؤمنین کن کالعبد الصالح یوسف إذ قال: لا تَثْرِیبَ عَلَیْکُمُ الْیَوْمَ یَغْفِرُ اللّهُ لَکُمْ وَ هُوَ أَرْحَمُ الرّاحِمِینَ (۱).

ص:۷۴

۱- سوره یوسف، الآیه: ۹۲.

فقال الإمام على ضاحكا و هو يشير إلى مروان بن الحكم: «لا تثريب عليكم اليوم، و إن فيكم رجلا لو بايعنى بيده مائه مره لنكث بإسته!.. و لكن لا بأس بهؤلاء إذا تابوا إلى اللّه توبه نصوحا، و أخلصوا و استقاموا و أصلحوا»(۱).

لقـد اعتمـد الإمام لغه الحوار، و مقارعه الحجّه بالحجّه، و المنطق بالمنطق فى تعامله مع المعارضه، كما اعتمـد لغه السن بالسنّ و الجروح قصاص فى تعامله مع الّذين قاتلوه و حاربوه.

و لم يجرّد الإمـام سيفه قـط لمواجهه منطق، و لاـ ردّ كلامـا قـط بالعنف.. و كان ينصـح الّـذين يحاولون مواجهه المنطق بالقوه، بقوله: «إن الطيش لا يقوم به حجج اللّه..».

فقد روى أنه خطب أمير المؤمنين عليه السّلام ذات مره، فقال:

«سلونى فإنى لا أسأل عن شىء دون العرش إلاّ أجبت فيه، لا يقولها بعدى إلاّ جاهل مدّع، أو كذّاب مفتر».

فقام رجل من جانب مجلسه و فى عنقه كتاب كأنه مصحف - و هو رجل آدم ضرب، أى: خفيف اللحم، طوال جعد الشعر كأنه من مهوده العرب، فقال رافعا صوته لعلىّ عليه السّلام: «أيها المدّعى ما لا يعلم، و المقلّد ما لا يفهم، أنا السائل فأجب»!

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۸۶.

فوثب إليه أصحاب الإمام من كل ناحيه فهمّوا به.

فنهرهم علىّ عليه السّلام، و قال لهم: دعوه و لا تعجلوه فالطيش لا يقوم به حجج اللّه، و لا به تظهر براهين اللّه.

ثم التفت عليه السّلام إلى الرجل و قال له:

«سل بكل لسانك و ما فى جوانحك فإنى أجيبك».

فسأله الرجل عن مسائل فأجابه، فأطرق برأسه هنيئه ثم قال:

- «أشهد أن لا إله إلاّ اللّه، و أن محمدا رسول اللّه»(۱).

و روى فى ذلك أيضا: أن الحريث بن راشد السامى كان عدوا للإمام، فجاءه قائلا له:

«و اللّه لا أطعت أمرك، و لا صلّيت خلفك».

فلم يغضب لذلك، و لم يبطش به، و لم يأمر به بالسجن أو العقوبه، و إنما دعاه إلى أن يناظر، حتى يظهر أيّهما على الحق، و يبيّن له وجه الحق لعلّه يتوب، فقال له الحريث أعود إليك غدا، فقبل منه الإمام فانصرف الرجل إلى قومه، و لم يعد(۲).

ثم إن الإمام تعامل مع معاويه فى المرحله الأولى،

۱- سفينه البحار: ج ۱، ص ۵۸۶.
۲- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۴۹.

كمعارض له، فكم من رساله بعثها إليه، و كم مبعوث أرسله له ينصحه، نصيحه الشفيق الذى يريد مصلحته، و يدعوه إلى الحق. كما أنه عليه السّلام لم يترك رساله من رسائل معاويه إلّا أجاب عليها..

و يجد الباحث فى «نهج البلاغه» و غيره عشرات من رسائل الإمام إلى معاويه، أو إلى بعض قاده جيشه..

أما فى المرحله الثانيه، حينما بدأ معاويه يجهّز للحرب، و يشنّ الغارات فقد اختلف الوضع، فواجه الإمام سيفه بالسيف و حربه بالحرب، و رجاله بالرجال..

***

أما مع الّذين رفضوا الخروج معه فى حروبه، و هم من أصحابه و مع جماعته فقد تساهل معهم، فمثلا رفض جماعه من أتباع عبد اللّه بن مسعود الخروج مع الإمام جاؤوه عليه السّلام فقال قائلهم: «يا أمير المؤمنين إنّا نخرج معكم و لا ننزل عسكركم، و نعسكر على حده حتى ننظر فى أمركم و أمر أهل الشام، فمن رأيناه أراد ما لا يحلّ له، أو بدا منه بغى كنّا عليه».

فتبسّم الإمام قائلا: «مرحبا و أهلا»(۱).

ص:۷۷

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۳.

و لقد ظهر موقف الإمام العظيم من المعارضه ضد تشدّد مسؤوليه معهم، بعد انتصاره على أعدائه.. فبعد معركه الجمل خطب الإمام فى أصحابه و قال:

«الحمد للّه الذى نصر وليّه، و خذل عدوّه، و أعزّ الصادق المحق، و أذلّ الناكث المبطل، عليكم بتقوى اللّه، و طاعه اللّه، و أطيعوا أهل بيت نبيكم الّذين هم أولى بطاعتكم فيما أطاعوا اللّه فيه، من المنتحلين المدّعين المغالين الّذين يتفضّلون بفضلنا، و يجاحدوننا أمرنا، و ينازعوننا حقّنا، و يدافعوننا عنه، فقد ذاقوا و بال ما اجترحوا، فسوف يلقون غيا، ألا إنه قد قعد عن نصرتى رجال منكم أنا عليهم عاتب، فاهجروهم و أسمعوهم ما يكرهون حتى يعتبوا أو نرى منهم ما نرضى».

فقام إليه صاحب الشرطه فقال: «يا أمير المؤمنين، إنى و اللّه لأرى الهجر و إسماع المكروه لهم قليلا، و اللّه لئن أمرتنا لنقتلنّهم».

فعجب الإمام و قال لصاحب شرطته: «سبحان اللّه! جزت المدى، و عدوت الحدّ، و أغرقت فى النزع!!» فقال صاحب الشرطه: «يا أمير المؤمنين بعض الغشم (الظلم) أبلغ فى أمور تصيبك من مهادنه الأعادى». فقال: «ليس هكذا

قضى اللّه. قال تعالى: اَلنَّفْسَ بِالنَّفْسِ. فما بال الغشم؟! و قال تعالى: وَ مَنْ قُتِلَ مَظْلُوماً فَقَدْ جَعَلْنا لِوَلِيِّهِ سُلْطاناً فَلا يُسْرِفْ فِی الْقَتْلِ إِنَّهُ كانَ مَنْصُوراً (۱). و الإسراف فى القتل أن تقتل غير قاتلك. و ذلك هو الغشم، و قد نهى اللّه عنه»!

فقام إليه رجل من الأزد ممّن تخلّف عنه فقال: «أمير المؤمنين، أ رأيت القتلى حول عائشه و الزبير و طلحه بم قتلوا»؟ قال: «بما قتلوا من شيعتى و عمّالى، و قتلوا أخا ربيعه رحمه اللّه فى عصابه المسلمين لأنهم قالوا لهم: لا ننكث كما نكثتم و لا نغدر كما غدرتم! فوثبوا عليهم فقتلوهم. فسألتهم أن يدفعوا إلىّ قتله إخوانى أقتلهم بهم، ثم كتاب اللّه حكم بينى و بينهم، فأبوا علىّ، فقاتلونى و فى أعناقهم بيعتى و دماء ألف رجل من إخوانى، فقاتلتهم بهم. أفى شك أنت من ذلك؟» قال: «قد كنت فى شكّ فأما الآن فقد عرفت و استبان لى خطأ القوم، و إنك أنت المهدىّ المصيب».

أمّا بالنسبه إلى الخوارج، و هم أبرز المعارضين لحكم الإمام فقد واجههم بالأسلوب الذى يليق بهم، حيث لم يصادر أى حق من حقوقهم، فسمح لهم بأن يقولوا ما يريدون،

۱- سوره الإسراء، الآيه: ۳۳.

و يتّهموا الإمام بما يرون، و يتجمعوا كما يشاؤون. و أجرى لهم أعطياتهم من بيت المال(۱).

فقد روى أن عليّا عليه السّلام، كان يخطب، فقام أحد الخوارج و قطع كلامه و قال: «الحكم للّه لا لك يا علىّ».

فسكت علىّ عليه السّلام حتى أتمّ الرجل كلامه.

ثم بدأ يتكلّم فقطع كلامه مره أخرى و قال: «الحكم للّه لا لك يا على» فسكت على عليه السّلام حتى أتمّ كلامه.

و فى الثالثه، قال الإمام عليه السّلام: «كلمه حق يراد بها باطل».

فلمّا كثروا. قال لهم الإمام عليه السّلام:

«إن لكم علينا أن لا نبدأكم بقتال، و أن لا نقطع عنكم الفىء، و أن لا نمنعكم مساجد اللّه»(۲).

و بذلك بيّن لهم حقوق المعارضه و هى ثلاث:

الأول - حق إبداء الرأى، من غير الصدّ بالقوّه.

الثانى - حقّ الفىء، و ما لهم على الدوله من رواتب و نصيبهم من الغنائم و الصدقات.

الثالث - حقّ التردّد إلى مساجد اللّه، و التى كانت حينئذ

۱- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۵۲.

۲- دراسات فى ولايه الفقيه: ج ۲، ص ۸۰۶.

مراكز الحكم. فمنها كانت تصدر القرارات صلحا أو حربا، و فيها كان القضاه يحكمون فى المرافعات..

و مع أن من المفترض أن يبيّن الإمام حقوق الطرفين:

المعارضه و الحكم معا، كما هو متّبع عاده فى الدول المختلفه، إلّا أن الإمام لم يفعل ذلك فقد اكتفى بأن بيّن لهم ما لهم عليه، أما ما له عليهم فلم يقل عنه شيئا، و كأنّه ليس للحكم شيء على المعارضه، إلاّ اللّهمّ المحافظه على أمن الناس، فإذا بدأت المعارضه بإيذائهم، أو بقتالهم كان للحكم أن يردّ السيف بالسيف. و هذا كل ما فى الأمر..

أمّا «كمّ الأفواه» فهو أمر لم يكن واردا عند الإمام، فكم من مرّه سمع من المعارضه كلاما قاسيا، و لكنه لم يرد عليه إلّا جميلا.

من ذلك ما روى «أن الإمام على» عليه السّلام كان فى صلاه الصبح، فقرأ ابن الكوّاء (و كان من الخوارج): وَ لَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَ إِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَ لَتَكُونَنَّ مِنَ الْخاسِرِينَ (۶۵) (۱)(معرضا بالإمام، و كان بعض قد أشرك بقبوله التحكيم، كما كان هكذا رأى الخوارج) فأنصت علىّ عليه السّلام لقراءه القرآن اتباعا لقوله تعالى: وَ إِذا قُرِئَ

۱- سوره الزمر، الآيه: ۶۵.

اَلْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَ أَنْصِتُوا (۱) حتی فرغ ابن الکوّاء من الآیه، ثم عاد ابن الکوّاء فی قراءتها، فأنصت الإمام أیضا، ثم قرأ الإمام فأعاد ابن الکوّاء المره الثالثه فأنصت علی علیه السّلام.

.. ثم لم یزد علی أن یتلو الآیه المبارکه: فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللّهِ حَقٌّ وَ لا یَسْتَخِفَّنَّکَ الَّذِینَ لا یُوقِنُونَ (۶۰)(۲). ثم أتم السوره و رکع(۳).

و لقد وضع الإمام أسس التعامل مع المعارضه، فی کلام له مع أصحابه، حینما أراد أولئک قتال الخوارج، بادیء الأمر، فقد أبی الإمام علیه السّلام علیهم ذلک و أنکره، و قال: «إن سکتوا ترکناهم، و إن تکلّموا حاججناهم، و إن أفسدوا قاتلناهم»(۴).

فإذا عارضوا، فلا ضیر و لا کلام ضدهم، و لکن إذا تکلموا فالردّ هو بالکلام وحده، أمّا إذا بدأوا الإفساد، فشأنهم شأن غیرهم من الناس لا بدّ من ردعهم.. هذا کل ما فی الأمر..

۱- سوره الأعراف، الآیه: ۲۰۴.

۲- سوره الروم، الآیه: ۶۰.

۳- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۴۸.

۴- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۵۳.

و كم من نقاش حاد جرى بين الإمام و بين الخوارج، لم يكن الإمام يتّخذ موقفا غير موقف المحاور معهم، رغم اتهاماتهم الرخيصه له..

من ذلک ما روى أنه: جاء إلى الإمام فتيان منهم فقالا:

«لا حكم إلاّ للّه يا علىّ».

فقال علىّ: «لا حكم إلاّ للّه».

قال أحدهما و اسمه حرقوص: «تب من خطيئتك، و ارجع عن قضيتك، و ارجع بنا إلى عدوّنا نقاتلهم حتى نلقى ربّنا».

قال الإمام: «قد أردتكم على ذلک فعصيتمونى، و قد كتبنا بيننا و بين القوم كتابا، و شرطنا شروطا، و أعطينا عليها عهودا» و قد قال اللّه تعالى: وَ أَوْفُوا بِعَهْدِ اللّهِ إِذا عاهَدْتُمْ» (1).

فقال الفتى الثانى و اسمه زرعه بن برج: «ذلک ذنب ينبغى أن تتوب منه يا علىّ».

قال الإمام: «ما هو ذنب و لكنه عجز من الرأى، و قد نهيتكم».

قال الفتى لأمير المؤمنين عليه السّلام: «يا علىّ، لئن لم تدع تحكيم الرجال لأقاتلنّک أطلب وجه اللّه».

١- سوره النحل، الآيه: ٩١.

قال الإمام: «بؤسا لک! ما أشقاک! کأنی بک قتیلا تسفی علیک الریاح»!.

قال الفتی: «وددت لو کان ذلک»!(۱).

إنّ حدیث المعارضه مهما کان قاسیا، لا یجوز ردّه إلّا بحدیث مثله فالکلمه هی الردّ علی الکلمه، و المنطق هو الردّ علی المنطق، و لا یمکن للسیف أن یردّ منطقا، کما لا یمکن للمنطق أن یردّ سیفا..

و لقد اعتاد الإمام علی ردّ المعارضین بمحاوله الإقناع، بالرغم من تطاول هؤلاء علیه، و تعرّضهم له بالتهمه، و السبّ، و لیس مجرد النقاش الهادف، أو الإعلام المضاد..

و فیما یلی بعض کلامه مع الخوارج، و کان ذلک بعد نصف نهار من الخطاب فیهم و الذی ترک علی أثره نصفهم مواقف الخلاف و انضمّوا إلی صفوف الإمام..

فقد سأل الإمام عن ابن الکوّاء - الذی سبق ذکره، و کان من أشدّ المعارضین، و من قاده الخوارج -، و کان ذلک قبیل معرکه النهروان. أی إن المعارضه کانت قد تحوّلت إلی الحاله القتالیه، فأصبحت فی خانه «العدوّ» لا فی موقع «المعارض» و مع ذلک فقد رأی الإمام أن یحاججهم أولا، فسأل عن ابن

۱- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۱۵۴.

الکوّاء «أهو فيمن انصرف راشدا أم ما زال فی الخوارج»، فلما علم أنه ما زال فی الخوارج ناداه، فبرز له، و أتباعه الخوارج قد اصطفوا بقياده عبد اللّه بن وهب، و تهيأوا للقتال، و رجل منهم يمشی بين الصفوف يحرّضهم علی القتال، و صوته کالفحيح، و ريحه منتنه!!

قال الإمام: «يا ابن الکوّاء ما أخرجکم بعد رضاکم بالحکمين و مقامکم بالکوفه؟!!» فقال ابن الکوّاء «قاتلت بنا عدوا لا نشکّ فی جهاده، فزعمت أن قتلانا فی الجنّه و قتلاهم فی النار، فبينما نحن کذلک إذ أرسلت منافقا، و حکمت کافرا»؟

فقال رجلا من الخوارج: «بل قل له يا علیّ إنک کفرت و نافقت»!

فلم يحفل به ابن الکوّاء، و استمرّ يقول للإمام: «و کان مما شکّک فی أمر اللّه أن قلت للقوم حين دعوتهم: کتاب اللّه بينی و بينکم، فإن قضی علیّ بايعتکم و إن قضی عليکم بايعتمونی، فلو لا شکک لم تفعل هذا و الحق فی يدک».

فقال الإمام: «يا ابن الکوّاء، إنما الجواب بعد الفراغ، أفرغت فأجيبک»؟.

ص:۸۵

قال: «نعم».

و قال أمير المؤمنين: «أما قتالك معى عدوا لا نشكّ فى جهاده، فصدقت، و لو شكّكت فيهم لم أقاتلهم. و أما قتلانا و قتلاهم، فقد قال اللّه فى ذلك ما يستغنى به عن قولى، و أما إرسالى المنافق و تحكيمى كافرا فأنت أرسلت أبا موسى مبرنسا (أى فى برنسه، و البرنس ثياب النسك)، و معاويه حكّم عمرو بن العاصّ، أى (ما هما بمنافق و كافر). أنت أتيت بأبى موسى مبرنسا فقلت لا نرضى إلّا أبا موسى، فهلّا قام إلىّ رجل منكم فقال: يا على، لا نعطى هذه الدنيه فإنها ضلاله؟! و أما قولى لمعاويه إن جرنى إليك كتاب اللّه تبعتك، و إن جرّك إلىّ تبعتنى، و زعمت أنى أعطى ذلك من شكّ، فحدّثنى ويحك عن اليهودى و النصرانى و مشركى العرب، أهم أقرب إلى كتاب اللّه أم معاويه و أهل الشام»؟.

قال: «بل معاويه و أهل الشام أقرب».

قال الإمام: «أفرسول اللّه كان أوثق بما فى يديه من كتاب اللّه أو أنا»؟.

قال: «بل رسول اللّه».

فسكت الإمام مبتسما، ثم قال: «مرحى يا ابن الكوّاء،

ص:۸۶

أفرأيت اللّه تبارک و تعالی حین یقول: قُلْ فَأْتُوا بِكِتابٍ مِنْ عِنْدِ اللّهِ هُوَ أَهْدى مِنْهُما أَتَّبِعْهُ إِنْ كُنْتُمْ صادِقِينَ (۴۹)(۱) أما کان رسول اللّه یعلم أنه لا یؤتی بکتاب هو أهدی ممّا فی یدیه»؟.

قال: «بلی».

قال الإمام: «فلم أعطی رسول اللّه القوم ما أعطاهم»؟!.

قال: «إنصافا و حجّه».

قال: «فإنی أعطیت القوم ما أعطاه رسول اللّه».

قال ابن الکوّاء و قد تفتّح عقله و قلبه: «فإنی أخطأت. هذه واحده. زدنی».

قال أمیر المؤمنین: «فما أعظم ما نقمتم علیّ»؟.

قال: «تحکیم الحکمین، نظرنا فی أمرهما فوجدنا تحکیمهما شکّا و تبذیرا».

قال الإمام: «فمتی سمّی أبو موسی حکما: حین أرسل أو حین حکّم»؟.

قال ابن الکوّاء: «حین أرسل».

قال: «أ لیس قد سار و هو مؤمن و أنت ترجو أن یحکم بما أنزل اللّه»؟!.

۱- سوره القصص، الآیه: ۴۹.

قال: «نعم».

قال الإمام: «فلا أرى الضلال فى إرساله».

فقال ابن الكوّاء: «بل سمّى حكما حين حكم».

قال: «نعم، إذن فإرساله كان عدلا. أ رأيت يا ابن الكوّاء لو أن رسول اللّه بعث رجلا إلى قوم مشركين يدعوهم إلى كتاب اللّه، فارتدّ على عقبه كافرا، كان يضرّ نبىّ اللّه شيئا»؟!

قال: «لا».

قال: «فما ذنبى إن كان أبو موسى ضلّ؟ هل رضيت حكومته حين حكم أو قوله إذا قال»؟.

قال: «لا».

و أدرك ابن الكوّاء أن الإمام سيبهته و يقيم عليه الحجّه، و كان ما يزال فى نفسه شىء من العناد فى أمر الحكمين، فهو يرى أن أبا موسى منافق و أن ابن العاص كافر، و قد أوشك الإمام أن يقنعه بأن أبا موسى ربما ذهب إلى التحكيم و هو مؤمن، و لكنه ضلّ فى عمله فلا ذنب لمن أرسله، أما عمرو فهو مخادع، و ما يحمل وزر خديعته غير الذى أرسله.

فقال له كأنه يريد أن يفلت من حجّه الإمام عليه: «و لكنك جعلت مسلما و كافرا يحكمان فى كتاب اللّه»!

قال: «يا ابن الكوّاء هل بعث عمرو بن العاص غير

معاویه؟! و کیف و حکمه علی ضرب عنقی؟ إنما رضی به صاحبه کما رضیت أنت بصاحبک، و قد یجتمع المسلم و غیر المسلم یحکمان فی أمر اللّه؟ أ رأیت لو أن رجلا مسلما تزوّج یهودیّه أو نصرانیه فخافا شقاق بینهما، ففزع الناس إلی کتاب اللّه، و فی کتاب اللّه: فَابْعَثُوا حَکَماً مِنْ أَهْلِهِ وَ حَکَماً مِنْ أَهْلِها (۱) فجاء رجل من الیهود أو رجل من النصاری و رجل من المسلمین الّذین یجوز لهما أن یحکما فی کتاب اللّه، فحکما».

و لم یجد ابن الکوّاء ردّا، فتنهّد و قال: «و هذه أیضا، أمهلنا حتی ننظر».

فجعل ابن الکوّاء یناجی أصحابه، و الإمام ینتظر نهایه نجواهم، و إذ بجماعات یقودها عبد اللّه بن وهب و حرقوص بن زهیر و غیرهما تصیح: «إِنِ الْحُکْمُ إِلاّ لِلّهِ »!.

و اختفی ابن الکوّاء، و تقدّمت صفوفهم بالحراب المشرعه..

فقال لهم الإمام: «إنکم أنکرتم علیّ أمرا أنتم دعوتمونی إلیه، فنهیتکم عنه فلم تقبلوا، و ها أنذا و أنتم فارجعوا إلی ما خرجتم منه، و لا ترتکبوا محارم اللّه، فإنکم قد سوّلت لکم

۱- سوره النساء، الآیه: ۳۵.

أنفسكم أمرا تقتلون عليه المسلمين، و اللّه لو قتلتم عليه دجاجه لكان عظيما عند اللّه، فكيف بدماء المسلمين؟ فيا أيتها العصابه التى أخرجها المراء و اللجاجه، و صدّها عن الحق الهوى، و طمع بها النزق، و أصبحت فى الخطب العظيم! إنى نذير لكم أن تصبحوا تلعنكم الأمه غدا صرعى بأثناء هذا الوادى بغير بيّنه من ربكم و لا برهان مبين.

ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومه، و نبأتكم أنها مكيده، و أن القوم ليسوا بأصحاب دين، فعصيتمونى؟ فلما قبلت شرطت و استوثقت على الحكمين أن يحييا ما أحيا القرآن و يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا و خالفا حكم الكتاب و السّنّه، فنبذنا أمرهما و نحن على الأمر الأول. فمن أين أتيتم؟»!.

فقال الرجل ذو الرائحه المنتنه و الصوت الذى يشبه الفحيح: «إنّا حكمنا فلما حكمنا أثمنا، و كنا بذلك كافرين، و قد تبنا، فإن تبت فنحن معك و منك، و إن أبيت فإنا منابذوك على سواء (منذروك بالحرب)».

فقال الإمام: «أبعد إيمانى برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، و هجرتى معه و جهادى فى سبيل اللّه أشهد على نفسى بالكفر؟! لقد ضللت و ما أنا من المهتدين! لقد أنبأتكم أن القوم إنما طلبوا الحكومه (التحكيم) مكيده و وهنا، فأبيتم علىّ إباء المخالفين، و عندتم

عناد النكداء العاصين، حتى صرفت رأيى إلى رأيكم، رأى معاشر و اللّه أخفّاء الهام (الرؤوس) سفهاء الأحلام، فلم آت لا أبالكم هجرا! و اللّه ما ختلتهم عن أموركم، و لا أخفيت شيئا من هذا الأمر عنكم.. فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا و الخروج عن جماعتنا و تضعون أسيافكم على عواتقكم ثم تستعرضون الناس تضربون أعناقهم؟! إن هذا لهو الخسران المبين»!.

فأوبوا شرّ مآب و ارجعوا على أثر الأعقاب، أمّا إنكم ستلقون بعدى ذلّا شاملا، و سيفا قاطعا، و أثره يتّخذها الظالمون فيكم سنّه(1). فقال رجل من الخوارج: «لا تكلموه و اندفع بهم إلى جسر النهر».

كل هذا الكلام الطويل، و النقاش الموضوعى مع جماعه ترى أنه عليه السّلام على باطل، و تنوى القتال معه.. و فعلا فقد وقعت المعركه بعد ذلك مباشره و كانت فيها هزيمه الخوارج..

***

هذا.. و لم يكتف الإمام عليه السّلام بالعدل مع الخوارج، و منحهم حقوقهم كامله إبان الشورى، بل أوصى بهم خيرا بعد وفاته.. فقال قولته الشهيره: «لا تقاتلوا الخوارج بعدى،

۱- المسترشد: للطبرى، ص ۱۶۲.

فإنه ليس من طلب الحق، فأخطأه كمن طلب الباطل فأدركه»(۱).

كما أنّ قضاته عليه السّلام استشاروه و هم من البصره، فی القضاء بشهاده الخوارج أی من أهل البصره أو عدم قبول شهادتهم، فأمرهم عليه السّلام بقبولها(۲).

و لقد أدّى التعامل الأخلاقی الرصين هذا مع المعارضه إلى أن يأبى المعارضون لأخذ حقوقهم، و أعطياتهم من الإمام مباشره.. و لا يرون فی معارضتهم ما يتناقض مع ذلك.. فقد روى «أن عبد اللّه بن عمر و سعد بن أبی وقاص و المغيره بن شعبه، جاؤوا إلى الإمام عليه السّلام يطلبون عطاءهم، و كانوا جميعا قد اعتزلوا، فلم يشهدوا الجمل و لا صفّين».

و كان الإمام قد تركهم و شأنهم منذ اعتزلوا و لم يبايعوه، و لكن عطاءهم كان يصلهم فی منازلهم.

سألهم معاتبا: «ما أخّركم عنّی؟ ألستم تعلمون أن اللّه عزّ و جلّ قد أمركم أن تأمروا بالمعروف و تنهوا عن المنكر.

فقال وَ إِنْ طائِفَتانِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ اقْتَتَلُوا فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُما فَإِنْ بَغَتْ إِحْداهُما عَلَى الْأُخْرى فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّى تَفِیءَ إِلى أَمْرِ اللّهِ (۳) ؟

ص:۹۲

۱- علل الشرائع: للصدوق، ص ۲۰۱.
۲- ما لا يجوز فيه الخلاف بين المسلمين: ص ۱۲۱.
۳- سوره الحجرات، الآيه: ۹.

فقال سعد بن أبی وقاص: «إنّا عارفون بفضلك یا أمیر المؤمنین و لکن أعطنی سیفا یعرف الکافر من المؤمن..!..

أخاف أن أقتل مؤمنا فأدخل النار».

قال الإمام: «إن عثمان کان إماما بایعتموه علی السمع و الطاعه، فعلام خذلتموه إن کان محسنا، و کیف لم تقاتلوه إن کان مسیئا؟! فإن کان عثمان أصاب بما صنع فقد ظلمتم إذ لم تعینوا من أمر بالمعروف و نهی عن المنکر، و قد ظلمتم إذ لم تقوموا بیننا و بین عدوّنا بما أمرکم اللّه، فإنه قال: فَقاتِلُوا الَّتِی تَبْغِی حَتّی تَفِیءَ إِلی أَمْرِ اللّهِ» (۱).

فلم یرد أحد منهم.. و ما زاد الإمام علی ما قاله لهم(۲).

ص:۹۳

۱- سوره الحجرات، الآیه: ۹.

۲- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۱۴۲-۱۴۳.

الالتزام بالعدل

لو حذفنا العداله من الحياه، لم يبق للكون وجود، لأن «العدل أساس به قوام العالم»(۱) ، ففى البدء كانت الكلمه و وَ تَمَّتْ كَلِمَهُ رَبِّكَ صِدْقاً وَ عَدْلاً لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ (۲).

فالعداله سنّه اللّه فى الحياه و أساسها «أقوى أساس»(۳) ، لأن «العدل ميزان اللّه الذى وضعه للخلق و نصبه لإقامه الحقّ»(۴) و أى تخطّ عنه هو مخالفه لميزانه و معارضه لسلطانه.

و إذا كان العدل مطلوب فى كل شىء، و من كل أحد، و فى كل المواقع لأنه «فضيله الإنسان»(۵) و من دونه يفقد الإنسان إنسانيته، فإنه مطلوب من الولاه أكثر من أى شىء

۱- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۸۳.

۲- سوره الأنعام، الآيه: ۱۱۵.

۳- غرر الحكم و درر الكلم.

۴- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۷۸.

۵- غرر الحكم و درر الكلم.

آخر، لأن «العدل قوام الرعیه و جمال الولاه»(۱) و هو «فضیله السلطان»(۲) و «جنّه الدول»(۳) و «نظام الأمر»(۴).

إن الناس لا یریدون الحاکم لأمواله، و لا لأولاده، و لا لهیئته، و جمال منظره، و لا حتی لزهده و عبادته و تقواه، بل یریدونه لعدله، و مراعاه لحقوقهم، و تأمینه لحاجاتهم. «فاللّه عزّ و جلّ، جعل العدل قواما للأنام، و تنزیها من المظالم و الآثام، و تسنیه للإسلام»(۵).

من هنا فإن «عدل السلطان خیر من خصب الزمان»(۶).

و قد سئل أمیر المؤمنین علیه السّلام «أیّهما أفضل: العدل أو الجود»؟

فقال: «العدل یضع الأمور مواضعها، و الجود یخرجها عن جهتها. و العدل سائس عام، و الجود عارض خاص، فالعدل أشرفهما(۷). و قال علیه السّلام: «حسبکم دلاله علی فضیله العدل أن الجور الذی هو ضدّه لا یقوم إلّا به، و ذلک أن

۱- المصدر السابق.

۲- میزان الحکمه: ج ۶، ص ۸۰.

۳- غرر الحکم و درر الکلم.

۴- المصدر السابق.

۵- میزان الحکمه: ج ۶، ص ۷۸.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۱۰.

۷- نهج البلاغه: الحکم، ۴۳۷.

اللّصوص إذا أخذوا الأموال و اقتسموها بینهم، احتاجوا إلی استعمال العدل فی اقتسامهم، و إلّا أضرّ ذلک بهم»(۱).

و فی الحقیقه فإن «الأرض لتزین فی أعین الناس إذا کان علیها إمام عادل، و تقبح إذا کان علیها إمام جائر»(۲).

و قدیما قیل: «لا سلطان إلّا بالرجال، و لا رجال إلّا بالمال، و لا مال إلّا بالعماره، و لا عماره إلّا بالعدل(۳) إذن «ما عمرت البلاد بمثل العدل»(۴).

و هکذا فإن العداله تشتمل علی کل الفضائل، و هی الحقیقه المتحرکه، التی تحرّک البشریه کلها، فی کل العصور.. و لذلک فإن «عدل ساعه خیر من عباده سبعین سنه، قیام لیلها و صیام نهارها، و جور ساعه فی حکم، أشدّ عند اللّه من معاصی ستین سنه(۵).

ذلک أنّ العدل یبنی، و الجور یهدم.

و العدل یصنع الحضارات، و الجور یبیدها.

و العدل یجمع، و الجور یفرّق.

۱- قاموس الحکم و الأمثال: ص ۴۳۳.
۲- المصدر السابق: ص ۴۳۳.
۳- قاموس الحکم و الأمثال: ص ۴۳۲.
۴- مستدرک الوسائل: ج ۲، ص ۳۱۰.
۵- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۳۵۲.

و العدل يزين البلاد، و يريّح العباد، و الجور يقبّح، و يتعب، و يفسد.

و العدل امتحان اللّه للحكّام، و بلاؤهم فى الحياه، و عليه الحساب يوم القيامه.. و لذلك «يجب على السلطان أن يلتزم العدل فى ظاهر أفعاله لإقامه أمر سلطانه، و فى باطن ضميره لإقامه أمر دينه، فإذا فسدت السياسه ذهب السلطان، و مدار السياسه كلها على العدل و الإنصاف، فلا يقوم سلطان لأهل الإيمان و الكفر إلاّ بهما، و الإمام العادل كالقلب بين الجوارح تصلح الجوارح بصلاحه، و تفسد بفساده»(۱).

و لأن للعدل هذا الموقع الحسّاس فى النظام الإنسانى فإنّ اللّه تعالى أمر أن: وَ إِذا حَكَمْتُمْ بَيْنَ النّاسِ أَنْ تَحْكُمُوا بِالْعَدْلِ (۲). فهو تعالى يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَ الْإِحْسانِ (۳) و أى تخطّ عن العدل يوجب زوال النعم، و عقاب اللّه تعالى فإنه «من ولّى عشره فلم يعدل فيهم جاء يوم القيامه و يداه و رجلاه و رأسه فى ثقب فأس»(۴).

و قد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «أن أوّل من يدخل النار أمير

۱- قاموس الحكم و الأمثال: ص ۴۳۳.

۲- سوره النساء، الآيه: ۵۸.

۳- سوره النحل، الآيه: ۹۰.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۳۴۵.

متسلّط لم يعدل»(۱) و «هو رابع أربعه، من أشدّ الناس عذابا يوم القيامه: إبليس، و فرعون، و قاتل النفس، و رابعهم الأمير الجائر»(۲).

و أى شيء أهمّ من العدل و هو أساس النظام، و به القوام، و عليه الحساب، و له الثواب، و به يبنى، و بدونه يهدم، و عنه يصدر العباد، و به تصلح البلاد؟.

ثم إن أولياء اللّه كانوا يعملون لأجل العدل، و يعتبرونه ثمينا يستحق أن يدفعوا حياتهم لأجله، فهم يجاهدون الظالمين لإشاعه العدل، فإذا حكموا عملوا من أجله، من غير أن تأخذهم فى ذلك لومه لائم..

هذا أمير المؤمنين عليه السّلام قال فى أوّل خطبه ألقاها بعد مبايعه الناس له، إنه سيلتزم بالعدل، و إنه يعيد الأمور إلى نصابها، عملا بالعدل، و مقاومه للظلم الذى لحق بالناس..

يقول عليه السّلام:

«أيها الناس الدنيا دار حق و باطل، و لكلّ أهل، ألا و لئن غلب الباطل فقديما كان و فعل، و لئن قل الحق فلربما و لعل!! و لقلّما أدبر شيء و أقبل! و لئن ردّ عليكم أمركم إنكم لسعداء.

۱- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۳۴۰.

۲- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۹۰.

إن اللّه عزّ و جلّ أدب هذه الأمه بالسيف و السوط فاستتروا فى بيوتكم، و أصلحوا ذات بينكم، فإن التوبه من ورائكم، و ما علىّ إلّا الجهد».

ألا و إن الخطايا خيل شمس حمل عليها أهلها و خلعت لجمها، فتقحمت بهم إلى النار.

ألا ـ و إن التقوى مطايا ذلل حمل عليها أهلها و أعطوا أزمّتها، فأوردتهم الجنّه، و فتحوا لهم أبوابا، و وجدوا ريحها و طيبها و قيل لهم: اُدْخُلُوها بِسَلامٍ آمِنِينَ (۱).

اليمين و الشمال مضلّه و الطريق الوسطى هى الجاده عليها يأتى الكتاب و آثار النبوّه، إن على الإمام الاستقامه، و على الرعيه التسليم. ليس أمرى و أمركم واحدا، و إنى أريدكم للّه و أنتم تريدوننى لأنفسكم! و أيم اللّه لأنصحن للخصم، و لأنصفنّ للمظلوم.. ذمّتى بما أقول رهينه و أنا به زعيم، إن من صرّحت له العبر عمّا بين يديه من المثلاّت، حجزته التقوى عن تقحّم الشبهات»(۲).

«ألا و إن كل ما أقطعه عثمان من مال اللّه مردود إلى بيت مال المسلمين، فإن الحق قديم لا يبطله شىء، و و اللّه لو

۱- سوره الحجر، الآيه: ۴۶.

۲- البيان و التبيين: ج ۲، ص ۶۵.

وجدته تفرّق فی البلدان و تزوّج به النساء و ملک به الإماء، لرددته! فإن فی العدل سعه، و من ضاق علیه العدل، فالجور علیه أضیق، أقول قولی هذا و أستغفر اللّه لی و لکم»(۱). فکان «العدل» هو البیان الأول الذی أذاعه الإمام فی خلافته، و کان السبب فی ذلک میلان میزان العدل فی عهد عثمان بن عفّان لمصلحه حفنه من المترلّفین الّذین ظلموا العباد، و أشاعوا الفساد، و صادروا أموال العامّه، «فإن عثمان بن عفّان لما ولی أمر المسلمین أطلق أیدی الأقارب و الأعوان فی کلّ مورد من موارد الجاه و الثروه، منقادا بذلک إلی آراء بطانه السوء»(۲).

و لقد حاول الإمام مع عثمان تصحیح میلان المیزان، و لکنه لم یفلح..

فقد روی الواقدی عن ابن عباس (رضی اللّه عنه) قال:

«شهدت عتاب عثمان لعلی علیه السّلام یوما فقال له فی بعض ما قاله:

«نشدتک باللّه یا أبا الحسن، أن تفتح للفرقه بابا»!.

فقال علی علیه السّلام: «أمّا الفرقه فمعاذ اللّه أن أفتح لها بابا، و أسهّل إلیه سبیلا، و لکنّی أنهاک عمّا ینهاک اللّه و رسوله عنه، ألا تنهی سفهاء بنی أمیه عن إعراض المسلمین و أبشارهم،

۱- دعائم الإسلام: ج ۱، ص ۳۹۶.
۲- علیّ و حقوق الإنسان: ص ۸۹.

و أموالهم.. و اللّه لو ظلم عامل من عمّالك حيث تغرب الشمس لكان إثمه مشتركا بينه و بينك».

قال ابن عباس، فقال عثمان: «لك العتبى، و افعل و اعزل من عمّالى كل من تكرهه و يكرهه المسلمون». ثم افترقا فصدّه مروان بن الحكم عن ذلك، و قال: يجترىء عليك الناس فلا تفعل و لا تعزل أحدا. ففعل عثمان ما أوصاه به مروان، لا ما أوصاه على عليه السّلام(۱).

من هنا فإن محور حياه الإمام على عليه السّلام فى أيام خلافته، كان أن يردّ الحق إلى نصابه، و يصدّ الظلم و العدوان، اللذين استشريا فى حياه المسلمين، آنذاك..

و لذلك فإن وصايا الإمام و رسائله إلى الولاه تكاد تدور حول محور واحد هو: العدل.. و ما تواطأ عليه مناوئوه، من أباعد و أقارب، إلّا لأنه عليه السّلام كان ميزان العداله الذى لا يميل إلى قريب، و لا يساير نافذا، و لا يجوز فيه إلّا الحق..

و لقد كان من أوائل ما ألقاه من الخطب بعد البيعه، خطبته التى يقول فيها: «إنّ اللّه عزّ و جلّ أنزل كتابا هاديا يبيّن فيه الخير و الشر، فخذوا بالخير و دعوا الشر.

الفرائض أدّوها إلى اللّه سبحانه يؤدّكم إلى الجنه.

۱- شرح نهج البلاغه: ج ۹، ص ۱۵-۱۶.

إن اللّه حرّم حرما غير مجهوله، و فضل حرمه المسلم على الحرم كلها، و شدّ بالإخلاص و التوحيد المسلمين، و المسلم من سلم الناس من لسانه و يده إلّا بالحق، لا يحلّ أذى المسلم إلّا بما يجب. بادروا أمر العامه..

اتّقوا اللّه عباده فى عباده و بلاده. إنكم مسؤولون حتى عن البقاع و البهائم، أطيعوا اللّه عزّ و جلّ و لا تعصوه، و إذا رأيتم الخير فخذوا به، و إذا رأيتم الشرّ فدعوه، و اذكروا إذ أنتم قليلون مستضعفون فى الأرض..»(۱).

يقول أحدهم: إن شعار على عليه السّلام كان «لا ظالم، و لا مظلوم». و كانت تلك إراده ابن أبى طالب، بالرغم من أن زمانه كان يأباه! و يتخلّف عن مسايرته فى هذه الإراده، حتى المظلومين أنفسهم لخوف قديم ألمّ بهم، فباتوا يخشون معانده ظالميهم. أو لجهل حملوا به على قبول الرشوّه، إلّا من خلق ربك من كبار القلوب».

«و لكن ابن أبى طالب عليه السّلام لن يتراجع عن محاربه البغى، و لن يضعف و فى الأرض عزيز يضطهد ذليلا، و كبير يقهر صغيرا، لن يضعف و لن يتراجع و فى قلبه من الحنان و المحبه، ما يكفل له الثبوت فى الصراع بين العدل و الظلم و الحق و الباطل».

ص:۱۰۲

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۳۸.

«إن الحنـان العميق الـذى يكنّه على عليه السّـلام للنـاس كـان يحمله على أن لاـ يهـادن من أسـاء للنـاس و لو كـانت حياته الثمن لـذلك. و أنـه ليجهـل حقيقه الطبـائع من يظن أن من شـروط الحنـان و الرّقه القعـود عن الثوره على الظـالمين، و أن من مظـاهر العاطفه و الودّ الاستسلام دون التمرّد، و دون العنف فى هذا التمرّد، فالحنان و العطف يحملانک دون تردد على أن تتمرّد و تثور على الظـالم تخليصا لمن تعطف عليهم مما يرسـفون به من قيود، و إن العطف و الحنان و الحب للناس هى التى قـد تـدفعك فى بعض الحالات إلى العنف حتى أقصى حدوده ضد الظالمين»(۱).

و كان الإمام يؤمن إيمانا وطيدا بأنه «لا بدّ من إمام يؤخذ به للضعيف من القوى و للمظلوم من الظالم حتى ليستريح برّ، و يستراح من فاجر» و «إن اللّه قـد أعاذ الناس من أن يجور عليهم»(۲) فكيف يجور عليه الجـائرون و أنه تعالى «امتحن الأمراء بالجور» فإذا ظلموا انتهى أمرهم لأـنّه: «لئن أمهـل الظـالم فلن يفوت أخـذه و هو له بالمرصـاد على مجاز طريقه»(۳)! و عنـد ذاك يكون «يوم العدل على الظالم أشدّ من

۱- علىّ و حقوق الإنسان: ص ۲۳۲.

۲- المصدر السابق: ص ۲۳۳.

۳- حليه الأولياء: ج ۱، ص ۷۶.

یوم الجور علی المظلوم»(۱). و لقد کان علیه السّلام یقول: «أمرتکم بالشدّه علی الظالم»(۲) ، و یقول: «خذوا علی ید الظالم السفیه»(۳).

لقد خاض الإمام معرکته الأساسیه ضد الظلم، و من أجل العدل:

أولا - لأن العدل واجب، و الظلم حرام.

ثانیا - لأنه کوال علی المسلمین کان علیه أن یقیم الحق، و یدحض الباطل، و الباطل هو الظلم و الحق هو العدل. و هو القائل: «و أیم اللّه لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، و لآخذنّ الظالم بخزامته حتی أورده منهل الحق و إن کان کارها»(۴) ، و القائل: «ما ضعفت و لا جبنت! فلأنقبنّ الباطل حتی یخرج الحق من خاصرته»(۵).

إن الذنب الذی لا یترک فی نظره کان «ظلم العباد بعضهم بعضا»(۶). کما أن «ظلم الضعیف أفحش الظلم»(۷).

ص:۱۰۴

۱- الغرر و الدرر: ص ۴۰.

۲- علیّ و حقوق الإنسان: ص ۲۳۳.

۳- المصدر السابق.

۴- النهایه لابن الأثیر، ج ۳، ص ۴۶۷.

۵- تحف العقول: ص ۵۲.

۶- الکافی: ج ۲، ص ۳۳۱.

۷- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۲۲۷.

لقد حارب الإمام الظالمين، و ربما كان ذلك هدفه الأساسی من قبول الخلافه لنفسه، و «بقيت بقيه من أهل البغی، و لئن أذن اللّه فی الكرّه عليهم لأديلّن منهم إلاّ ما يتشذّر فی أطراف البلاد تشذّرا»(۱).

لقد كان تنفّر الإمام من الظلم، بمقدار حبه للعدل، و كانت حروبه مع الجائرين، بقوّه نصرته للمظلومين..

كان عليه السّلام يری أن «الظلم أم الرذائل»(۲) لأن «الظلم فی الدنيا بوار، و فی الآخره دمار»(۳) و هو «يزل القدم، و يسلب النعم، و يهلك الأمم» (۴)وَ اللّهُ لا يَهْدِی الْقَوْمَ الظّالِمِينَ (۵). و يری أن «من ظلم عباد اللّه كان اللّه خصمه دون عباده»(۶).. و لذلك كان يطلب من أصحابه أن يختاروا خساره الدنيا علی خسران الآخره و يقول: «أقدموا علی اللّه مظلومين، و لا تقدموا عليه ظالمين»(۷). و يعتبر «بئس الزاد إلی المعاد: العدوان علی

۱- الذريعه: ج ۷، ص ۲۰۴.

۲- غرر الحكم و درر الكلم.

۳- ميزان الحكمه: ج ۵، ص ۵۹۵.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- سوره البقره، الآيه: ۲۵۸.

۶- غرر الحكم و درر الكلم.

۷- الطراز: ج ۱، ص ۳۳۴.

العباد»(۱) ، لأن «الظلم أكبر المعاصی»(۲) و لذلک فإنه «لیس شیء أدعی إلی تغییر نعمه اللّه و تعجیل نقمته من إقامه علی ظلم، فإن اللّه سمیع دعوه المضطهدین، و هو للظالمین بالمرصاد»(۳).

فالظلم نوع من أنواع الإلحاد وَ مَنْ یُرِدْ فِیهِ بِإِلْحادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذابٍ أَلِیمٍ (۴) ف «کل الظلم فیه إلحاد، حتی ضرب الخادم من غیر ذنب»(۵).

و لقد سئل الإمام مرّه: أی ذنب أعجل عقوبه؟ فقال: «من ظلم من لا ناصر له، إلاّ اللّه، و جاور النعمه بالتقصیر، و استطال بالبغی علی الفقیر»(۶).

و روی علیه السّلام: «أن اللّه تعالی قال و عزّتی و جلالی، لا یجوزنی ظلم ظالم، و لو کفّ بکف، و لو مسحه بکف، و نطحه ما بین الشاه القرناء إلی الشاه الجمّاء فیقتصّ اللّه للعباد بعضهم

۱- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۲۳۹.

۲- غرر الحکم و درر الکلم.

۳- نهایه الأرب: ج ۶، ص ۱۹.

۴- سوره الحج، الآیه: ۲۵.

۵- نور الثقلین: ج ۳، ص ۴۸۳.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۳۲۰.

من بعض حتى لا يبقى لأحد عند أحد مظلمه ثم يبعثهم اللّه للحساب»(۱).

فالحساب يوم القيامه، بعد التقاص عن الظلم، لأن العداله هناك على عجله من أمرها، لا تؤخر الظالمين من بعد النشور، إلى وقت المحاسبه!

إن أمر الظلم وخيم، إلى درجه أن الراضى به، حتى من دون المشاركه فيه، له حصه من العقاب، و كما يقول الإمام:

«العامل بالظلم، و المعين عليه، و الراضى به شركاء ثلاثه»(۲).

فمن يرضى بالظلم اليوم، قد يعين عليه غدا، و ربما يشارك فيه بعد غد، فلا بدّ من أن يكون ردع الظلم عميقا، و عنيفا، و شاملا لأن الظلم يدمّر البلاد، و يفسد العباد.. ف «من أعان ظالما على ظلمه جاء يوم القيامه و على جبهته مكتوب آيس من رحمه اللّه»(۳) و «من مشى مع ظالم ليعينه و هو يعلم أنه ظالم فقد خرج من الإسلام»(۴).

من هنا فقد كان البند الثابت تقريبا فى خطب الإمام على عليه السّلام و رسائله إلى عمّاله، الابتعاد عن الظلم، و الالتزام

۱- المصدر السابق: ص ۳۱۴.
۲- ميزان الحكمه: ج ۵، ص ۶۱۲.
۳- كنز العمال: خ ۱۴۹۵۰.
۴- المصدر السابق: خ ۱۴۹۵۵.

بالعدل، ليس بالنسبه إلى المسلمين فحسب، بل بالنسبه إلى الجميع.

فقد اشتكى لبعض الموالى، من غير المسلمين، إلى الإمام أحد عمّاله، و كان لا يتورّع عن إلحاق بعض الظلم بهم. فكتب الإمام إلى و اليه يقول:

«اتقّ اللّه، و لا تبغ على أهل القبله، و لا تظلم أهل الذمه، فإن اللّه لا يحب المتكبرين، و اعلم أن من آذى إنجيليا فقد آذانى»(۱).

و لقد كان التزام الإمام بالعدل، هو الذى دفع عدوّه إلى أن يطمئن إليه، فكان أعداؤه لا- يخافون جوره، بينما كان أصحابه يخافون جور أعدائه.. فقد روى أنه فى ليله «الهرير» فى معاركه مع معاويه بصفّين، حيث كاد أصحاب الإمام أن ينتصروا على جيش معاويه، فى تلك الليله كان معاويه يضع رجله فى ركاب فرسه ليفرّ و ينجو بنفسه.. فنزل و قال: «يا عمرو، إنما هى الليله حتى يغدو علينا بالفيصل! فما ترى»؟.

قال عمرو و قد برحت به الهزيمه: «إن رجالك لا يقومون لرجاله. و لست مثله! هو يقاتله على أمر و أنت تقاتله على

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۴.

غيره. أنت تريد البقاء و هو يريد الفناء، و أهل العراق يخافونک إن ظفرت بهم، و أهل الشام لا يخافون عليّا إن ظفر بهم»(۱).

فلا أحد كان يخاف الإمام إلّا أهل الأثره، و الظلم، و طلّاب الدنيا، و عبده الشهوات لأن الإمام كان عادلا، لا يظلم الأعداء، و لا يتحامل على الأصدقاء..

لقد جاءه أحد أصحابه فرآه، مفترشا الأرض، فی فناء حائط، فی الکوفه، و لا أحد يحرسه، فقال له: عدلت فاطمأننت!.

إنّ الظالم هو الذی يخاف من ظلّه، أما العادل، فلا يخاف بل هو مطمئن البال، و الناس منه فی راحه..

ثم إن عداله الإمام لم تكن لتشمل الآدميين وحدهم بل كانت لتشمل كل ما فی الوجود من حيوان و إنسان و نبات و حجر و مدر.. فالعداله لا تتجزأ.. فمن لا يظلم البشر لا يظلم الحيوان أيضا..

يقول عليه السّلام: «و اللّه.. لئن أبيت على حسّک السعدان مسهّدا، أو أجرّ فی الأغلال مصفدا، أحبّ إلیّ من أن ألقی اللّه و رسوله يوم القيامه، ظالما لبعض العباد، و غاصبا لشیء

۱- المصدر السابق: ص ۱۰۲.

من الحطام، و كيف أظلم أحدا لنفس إلى البلى قفولها، و يطول فى الثرى حلولها».

«و اللّه.. لو أعطيت الأقاليم السبعه – بما تحت أفلاكها – على أن أعصى اللّه فى نمله أسلبها جلب شعيره ما فعلته»..

«ما لعلىّ و لنعيم يفنى، و لذه لا تبقى»؟.

«نعوذ باللّه من سبات العقل، و قبح الزلل و به نستعين»(۱).

و كما يقول أحدهم فإن الإمام: «ليس فى هذا المجال قائلاً ثم عاملاً بل هو القول يجرى من طبيعه العمل الذى يعمل، و الشعور الذى يحسّ، و الحياه التى يحيا، فعلى أكرم الناس مع الناس، و أبعد الخلق عن أن ينال الخلق بأذى، و أقربهم إلى بذل نفسه فى سبيلهم، أو ليست حياته كلها سلسله معارك فى سبيل المظلومين و المستضعفين»(۲).

***

مفردات العدل

اشاره

و قد يتساءل البعض: ما هى مفردات العدل؟

و الجواب: أن العدل قبل كل شىء تجنّب البغى، و العدوان، و إعطاء كل ذى حقّ حقّه. و مفرداته هى:

* التزام العدل فى تقسيم الأموال العامه.

۱- ربيع الأبرار: باب الخير و الصلاح.

۲- على و حقوق الإنسان: ص ۸۵.

* إنصاف المظلومين.

* الامتناع عن التعدّى و البغى.

* الامتناع عن التكبر.

* التشدّد مع المسؤولين لمصلحه العامّه.

* الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاه.

* مساعده الجميع، و اللطف بهم.

* المساواه، و عدم التمييز.

* مجازاه المسىء، و الإحسان إلى المحسنين.

* الاهتمام بعامه الناس لا الخاصه فحسب.

* التزام الحق فى جبايه الضرائب.

تلك هى بعض مفردات العداله المطلوبه من الحاكمين، باعتبارهم أمناء على أمور الناس، و أرزاقهم، و دمائهم..

و لنستعرض فيما يلى بعض كلمات الإمام علىّ، و مواقفه، و أعماله فى كل واحده من ذلك..

***

أولا: التزام العدل فى تقسيم أموال العامه و هو يعنى أمرين:

الأول - بذل المال لمن يستحقّ.

الثانى - منعه عمّن لا يستحقّ.

فأموال الدوله ليست ملك الحاكم، بل هى للمحكومين، و ليس الحاكم إلاّ أمينا على جبايتها، و إيصالها لأهلها..

لقد كتب الإمام على عليه السّلام لأحد ولاته يقول:

«انظر إلى ما اجتمع عندك من مال اللّه، فاصرفه إلى من قبلك (عندك) من ذوى العيال و المجاعه، مصيبا به مواضع الفاقه و الخلّات (الحاجات) و ما فضل عن ذلك فاحمله إلينا لنقسمه فيمن قبلنا»(۱).

و روى أنه جاء عليا «فىء» كثير ملأ بيت المال مره بعد مره، ثم مره ثالثه، فقام فوزّعه بالسويه بين المسلمين كما تعوّد، و أخذ هو نصيبه كواحد منهم.. ثم جاءه مال آخر كثير من أصبهان فخطب الناس فقال: «اغدوا إلى عطاء رابع، فو اللّه ما أنا لكم بخازن» و بعد أن وزّع الأموال كنس بيت المال و صلّى فيه.. كما تعوّد.. ثم تمدّد على أرضه، فأغفى..»(۲) ، فالمال لا قيمه له إن لم يرفع حاجه الناس، و لم يبذل لمن يستحقه.

غير أنه لا بدّ أيضا من منعه عمّن لا يستحق كَىْ لا يَكُونَ

۱- فقه القرآن للقطب الراوندى.

۲- علىّ إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۰۸.

دُولَهً بَیْنَ الْأَغْنِیاءِ (۱) فلا یجوز العطاء من غیر استحقاق، أو لشراء الضمائر، أو للتوزیع علی الأقرباء و الأنساب..

یقول الإمام علی علیه السّلام فی کتاب له إلی عامله علی إحدی الولایات، و اسمه مصقله بن هبیره الشیبانی: «بلغنی عنک أمر، إن کنت فعلته فقد أسخطت إلهک، و عصیت إمامک: إنک تقسّم فیء المسلمین الذی حازته رماحهم و خیولهم، و أریقت علیه دماؤهم، فیمن اعتامک (اختارک) من أعراب قومک»؟!

«فو الذی فلق الحبه، و برأ النسمه، لئن کان ذلک حقّا لتجدنّ لک علیّ هوانا، و لتخفّن عندی میزانا، فلا تستهن بحق ربّک، و لا تصلح دنیاک بمحق دینک، فتکون من الأخسرین أعمالا»..

«ألا و إنّ حق من قبلک و قبلنا من المسلمین فی قسمه هذا الفیء سواء یردّون عندی علیه، و یصدرون عنه»(۲).

و حینما سأله عبد اللّه بن زمعه مالا- قال: «إنّ هذا المال لیس لی و لا- لک، و إنّما هو فیء للمسلمین و جلب أسیافهم، فإن شرکتهم فی حربهم کان لک مثل حظّهم، و إلاّ فجناه أیدیهم لا تکون لغیر أفواههم»(۳).

۱- سوره الحشر، الآیه: ۷.

۲- التاریخ لابن واضح، ج ۲، ص ۱۹۰.

۳- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۱۲.

و جاء إليه عاصم بن ميثم و هو يقسّم مالا، فقال: يا أمير المؤمنين إنّى شيخ كبير مثقل.

قال: و اللّه ما هو بكدّ يدى و لا بتراثى عن والدى، و لكنّها أمانه أوعيتها.

ثمّ قال للمسلمين: «رحم اللّه من أعان شيخا كبيرا مثقلا»(۱).

و كتب إلى زياد ابن أبيه، و كان عامله على البصره و فارس:

«و إنى أقسم باللّه صادقا، لئن بلغنى أنك خنت من فىء المسلمين شيئا صغيرا أو كبيرا لأشدنّ عليك شدّه تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر و السّلام»(۲).

و كم له من مواقف رفض فيها الإمام أن يعطى أقرب الناس إليه فوق ما يستحقّ من قسمته، لأنه لا يجوز حرمان غيره من أجله؟.. هذا عقيل أخوه قدم عليه من المدينه فقال له: «ما أقدمك يا أخى»؟

قال: «تأخّر العطاء عنّا، و غلاء السعر ببلدنا، و ركبنى دين عظيم، فجئت لتصلنى».

ص:۱۱۴

۱- المصدر السابق: ص ۳۱۲.

۲- المحاسن و المساوىء: ج ۲، ص ۲۰۱.

فقال علیّ: «و اللّه ما لی مما تری شیئا إلاّ عطائی، فإذا خرج فهو لک».

قال عقیل: «أشخوصی من الحجاز إلیک من أجل عطائک؟ و ماذا یبلغ منی عطاؤک؟! و ما یدفع من حاجتی»؟.

فقال الإمام: «هل تعلم لی مالا غیره؟ أم ترید أن یحرقنی اللّه فی نار جهنم فی صلتک بأموال المسلمین؟ و ما بقی من نفقتنا فی ینبع غیر دراهم مضروره. و اللّه یا أخی إنی لأستحی من اللّه أن یکون ذنب أعظم من عفوی أو جهل أعظم من حلمی، أو عوره لا یواریها ستری، أو خلّه لا یسدّها جودی».

فلما ألحّ عقیل علیه، قال لرجل: «خذ بید أخی عقیل و انطلق به إلی حوانیت أهل السوق، فقل له: دق هذه الأقفال. و خذ ما فی هذه الحوانیت». فقال عقیل: «أتأمرنی أن أکسر صنادیق قوم قد توکّلوا علی اللّه و جعلوا فیها أموالهم، أترید أن تتخذنی سارقا»؟!

فقال الإمام: أتأمرنی أن أفتح بیت مال المسلمین فأعطیک أموالهم و قد توکّلوا علی اللّه و أقفلوا علیها؟ و أنت ترید أن تتّخذنی سارقا؟! أن آخذ من أموال المسلمین، فأعطیکها دونهم». و أضاف الإمام: «و إن شئت أخذت سیفی و أخذت

سیفک و خرجنا جمیعا إلی الحیره فإن بها تجّارا میاسیر فدخلنا علی بعضهم فأخذنا ماله».

فقال عقیل: أو سارقا جئت؟.

فقال له الإمام: «تسرق من واحد خیر لک من أن تسرق من المسلمین جمیعا»(۱).

فقال: «و اللّه لأخرجنّ إلی رجل هو أوصل لی منک.

لآتین معاویه».

فقال الإمام: «أنت و ذاک، راشدا مهدیا»!.

فلما قدم علی معاویه، رحّب به و قال: «مرحبا و أهلا بک یا عقیل بن أبی طالب، ما أقدمک علیّ»؟!.

قال: «قدمت علیک لدین عظیم رکبنی، فخرجت إلی أخی لیصلنی فزعم أنه لیس له مما یلی إلاّ عطاؤه، فلم یقع ذلک منی موقعا، و لم یسدّ منی مسدا، فأخبرته أنی سأخرج إلی رجل هو أوصل منه لی، فجئتک».

فازداد معاویه فیه رغبه، و قال للناس: «یا أهل الشام هذا سید قریش و ابن سیّدها، عرف الذی فیه أخوه من الغوایه و الضلاله، فجاءنی، و لکنی أزعم أن جمیع ما تحت یدی لی، فما أعطیت فقربه إلی اللّه، و ما أمسکت فلا جناح لی علیه».

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۱۶.

ثم قـال لعقيـل: «يا عقيل بن أبى طالب: هـذه مائه ألف تقضـى بها ديونک، و مائه ألف تصل بها رحمک، و مائه ألف توسّع بها على نفسک».

فوقف عقيل فقال: «صدقت، لقد خرجت من عند أخى على هذا القول، و قد عرفت من فى عسكره، لم أفقد و اللّه رجلا من أهل بدر و لا المهاجرين و الأنصار، و لا و اللّه ما رأيت فى معسكر معاويه رجلا من أصحاب النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

و أضاف: «أيها الناس، إنى أردت أخى عليّا على دينه فاختار دينه، و إنى أردت معاويه على دينه، فاختارنى على دينه»(۱)..

ثانيا – إنصاف المظلومين

من غير الممكن إزاله الظلم من على وجه الأرض تماما، فأينما تذهب سيكون هنالك، ظالم و مظلوم، و جزّار و ضحيّه، و واجب المؤمن الوقوف إلى جانب المظلوم، و مقاومه الظالم.

فإن «أحسن العدل إعانه المظلوم»(۲). و لذلک «إذا رأيت مظلوما فأعنه على الظالم»(۳) فإنه «ما من مؤمن يعين مؤمنا

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۹.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- ميزان الحكمه: ج ۵، ص ۶۱۵.

مظلوما، إلّا كان أفضل من صيام شهر و اعتكافه فى المسجد الحرام، و ما من مؤمن ينصر أخاه و هو يقدر على نصرته إلّا نصره اللّه فى الدنيا و الآخره، و ما من مؤمن يخذل أخاه و هو يقدر على نصرته إلّا خذله اللّه فى الدنيا و الآخره»(۱).

و جاء فى وصيه الإمام لولديه الحسن و الحسين عليهم السّلام قوله:

«كونا للظالم خصما، و للمظلوم عونا»(۲).

و لم يحدد الإمام أى ظالم، و لا أى مظلوم، و هكذا أوصاهما بأن يكونا للظالم خصما و لو كان ذا قربى، و أن يكونا للمظلوم عونا، و لو كان من أقاصى البلاد..

بل لا بدّ أن ننصف المظلومين حتى من أنفسنا و أهلينا..

يقول عليه السّلام: «أنصف الناس من نفسك و من خاصه أهلك، و من لك فيه هوى من رعيتك فإنك إن لم تفعل تظلم»(۳).

و تلك مهمه الحاكم، أن يأخذ حق المظلومين، و هى فلسفه وجود «الحكومه». إذ ما قيمه نظام لا يأخذ حق المستضعفين، و لا يضرب على أيدى الظالمين؟ و ما ضروره وجود الحكومه، إن لم يكن ذلك مهمتها الرئيسيه؟

۱- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۲۰.

۲- بحار الأنوار: ج ۱۰۰، ص ۹۰.

۳- نهج البلاغه: الكتب، ص ۵۳.

و لقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «لن تقدّس أمه لا يؤخذ للضعيف فيها حقّه من القوى غير متعتع»(۱).

***

ثالثا – الامتناع عن التعدّى و البغى:

كما أن آفه الغنى الاستعلاء، فإن آفه القوه البغى، و كما أن المال يغرى بالفساد، فإن القدره تغرى بالعدوان. فما دام الحاكم قويا فإن الشيطان يزيّن له البطش، و التنكيل، و مصادره أموال الناس، و ظلم الرعيّه، حيث لا يهاب من قانون، و لا يخشى من عقاب..

و لكن لا بدّ للحاكم أن يتذكّر قدره اللّه، و بطشه، فإن أخذ اللّه قد يأتى بطيئا، و لكنّه حتما سيكون رهيبا.

يقول الإمام على عليه السّلام: «إذا حدّثتك القدره على ظلم الناس فاذكر قدره اللّه سبحانه على عقوبتك، و ذهاب ما أتيت إليهم عنهم، و بقاءه عليك»(۲).

و يقول: «اذكر عند الظلم عدل اللّه فيك، و عند القدره، قدره اللّه عليك»(۳).

۱– دعائم الإسلام: ج ۱، ص ۳۵۰.
۲– غرر الحكم و درر الكلم.
۳– بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۳۲۲.

و يقول فى عهده إلى مالك الأشتر: «و لا تكونن عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إمّا أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق. يفرط منهم الزلل و تعرض لهم العلل، و يؤتى على أيديهم فى العمد و الخطأ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذى تحب و ترضى أن يعطيك اللّه من عفوه و صفحه، فإنك فوقهم و ولىّ الأمر عليك فوقك، و اللّه فوق من ولّاك»(۱).

و يقول: «إذا أحدث لك ما أنت فيه من سلطانك أبّهه، أو مخيله (الخيلاء) فانظر إلى عظم ملك اللّه فوقك، و قدرته منك على ما لا تقدر عليه من نفسك، فإنّ ذلك يطامن إليك من طماحك، و يكفّ عنك من غربك (نشوزك) و يفىء إليك بما غرب عنك من عقلك»(۲).

***

رابعا - الامتناع عن الكبر، و التكبّر، و الترفّع عن الناس:

مهما كانت مكانه المرء فإنه يبقى إنسانا، لا يختلف عن الآخرين فى حاجاته و قدراته و طاقاته. و لن يتحوّل أىّ شخص

۱- نهج البلاغه: الكتب، ص ۵۳.

۲- المصدر السابق.

إلى إله بسبب منصبه أو مقامه. فاللّه واحد أحد لَمْ يَلِدْ وَ لَمْ يُولَدْ (٣) وَ لَمْ يَكَنْ لَهُ كُفُواً أَحَدٌ (١).

فلا ندّ للّه و لا نظير و لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَئ ءٌ (٢).

إلّا أن الأبهه و السلطان من جهه، و مديح المتزلفين من جهه أخرى تزين للحاكمين الكبر، و قد يدفعهم ذلك إلى التصوّر بأنهم فعلا أكبر من الناس، و أن لهم قدرات إله. قال:

«رَبِّیَ الَّذِی یُحْیِی وَ یُمِیتُ » قال: أَنَا أُحْيِي وَ أُمِيتُ (٣) ، و هذا الإحساس قد يدفعهم إلى مساماه. اللّه فى عظمته، إن لم يصرّحوا بذلك كما فعل فرعون فقال: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى (۴) ، فلربما يصدّقون فى قراره أنفسهم أنهم يختلفون عن البشر فعلا.

يقول الإمام على عليه السّلام لمالك الأشتر: «إيّاك و مساماه اللّه فى عظمته، و التشبّه به فى جبروته، فإن اللّه يذلّ كل جبّار، و يهين كل مختال»..

«و إيّاك و الإعجاب بنفسك، و الثقه بما يعجبك منها،

ص:١٢١

١- سوره التوحيد، الآيتان: ٣، ۴.

٢- سوره الشورى، الآيه: ١١.

٣- سوره البقره، الآيه: ٢۵٨.

۴- سوره النازعات، الآيه: ٢۴.

و حبّ الإطراء، فإنّ ذلك من أوثق فرص الشيطان فى نفسه ليمحق ما يكون من إحسان المحسنين»(۱).

إن «من اختال فى ولايته أبان عن حماقته»(۲). و قليل من الحكّام هم الّذين لم يبتلوا بالحمق، و لم يصدّقوا مديح المداحين، و أكاذيب المتزلفين.

ثم إنّ الابتعاد عن الكبر يتطلّب الأمور التاليه:

الأول - أن لا يضيّع الحاكم نفسه.

الثانى - أن يتقيّد هو بالقانون، فلا يسمح لنفسه بما يمنعه للآخرين، و أن لا يحلّل لها ما يحرّمه على غيره.

الثالث - أن لا يفترض لنفسه من القسمه بأكثر مما يفترضه للناس.

الرابع: أن يسمح للرعيه، بأن يتعاملوا معه كأحدهم.

و بكلمه واحده أن يرى امتيازه فى تقواه، و ما يكسبه من الأجر عند اللّه، و ليس فيما يحصل عليه من امتيازات ماديه فى الحياه الدّنيا.. إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللّهِ أَتْقاكُمْ (۳)..

لهذا كله رفض الإمام على عليه السّلام كل مظاهر الأبّهه و السلطان، و شرّد مع نفسه و مع أقاربه فلما دخل الكوفه لم

ص:۱۲۲

۱- نهج البلاغه: الكتب، ص ۵۳.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- سوره الحجرات، الآيه: ۱۳.

يدخل قصر الإماره، و إنما آثر أن يسكن فى بيت يشبه مساكن الفقراء(۱).

و لم يكن يعطى لأقاربه زياده عمّا يحق لهم، و إذا كان أحدهم يأخذ شيئا مهما قلّ أو كثر كان يتّخذ منه موقفا حازما..

و من ذلك ما روى أنه أهدى إليه سمن و عسل، فضمّه إلى بيت المال، و خرج يتفقّد الأسواق ليقسمه عند ما يعود.

فلما عاد وجده ناقصا، و علم أن ابنته أم كلثوم التى توفى عنها عمر بن الخطاب، قد أخذت منه، فأرسل الإمام من يقوّم ثمن ما أخذته من العسل بخمس دراهم، فبعثها وباع السمن و العسل، و قسّم الثمن على الناس(۲).

و كان عليه السّلام يعطى كل ما يأتيه و لربما لم يأخذ أى شىء منه، فقد روى الشعبى قال: دخلت الرّحبه بالكوفه و أنا غلام فى غلمان، فإذا أنا بعلىّ عليه السّلام قائما على صرّتين من ذهب و فضّه، و معه مخفقه و هو يطرد الناس بمخفقته، ثم يرجع إلى المال فيقسّمه بين النّاس، حتى لم يبق منه شىء، ثم انصرف و لم يحمل إلى بيته قليلا و لا كثيرا.

۱- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۳۳.
۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۲۹۸.

فرجعت إلى أبى فقلت: لقد رأيت اليوم خير النّاس أو أحمق الناس.

قال: من هو يا بنىّ؟

قلت: علىّ بن أبى طالب أمير المؤمنين رأيته يصنع كذا فقصصت عليه، فبكى و قال: يا بنىّ بل رأيت خير الناس(۱).

و كان يتعامل مع الناس كأحدهم، و هم يتعاملون معه كأحدهم أيضا..

فقد روى ابن الأثير فى التاريخ (الكامل): «أنّ عليا عليه السّلام وجد درعه عند نصرانى فأقبل إلى شريح قاضيه و جلس إلى جانبه يخاصم النصرانى مخاصمه رجل من رعاياه، و قال: إنها درعى لم أبع و لم أهب.

قال شريح للنصرانى: ما تقول فيما يقول أمير المؤمنين عليه السّلام؟

قال النصرانى: ما الدرع إلاّ درعى، و ما أمير المؤمنين بكاذب.

فالتفت شريح إلى على عليه السّلام يسأله يا أمير المؤمنين هل من بيّنه؟

فضحك على عليه السّلام و قال: ما لى بيّنه، فقضى شريح بالدرع

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۵.

للنصـرانى، فأخذها و مشى و أمير المؤمنين عليه السّلام ينظر إليه، إلا أن النصرانى لم يخط خطوات حتى عاد يقول: أما أنا فأشهد أن هـذه أحكـام الأنبيـاء!.. أمير المـؤمنين يـدنينى إلى قاضـيه، و قاضـيه يقضـى عليـه»، و أضـاف: «الـدرع و اللّه درعـك يـا أمير المؤمنين»(١).

و فى عهد الخليفه الثانى، شـكا أحد الناس علىّ بن أبى طالب إلى عمر بن الخطّاب فى خصومه، فكان أن أحضرهما عمر، و قال لعلىّ: «يا أبا الحسن.. قف إلى جانب خصمك»!.

فبدا التأثّر على وجه علىّ!

فقال له عمر: «أكرهت يا علىّ أن تقف إلى جانب خصمك»؟.

فقال على عليه السّلام: «لا.. و لكنى رأيتك لم تسوّ بينى و بينه، إذ عظّمتنى بالتكنيه، و لم تكنّه..»(٢)!

إن القانون الذى يجب أن يمشى عليه الحاكم، هو أن يكون سيّد القوم بتواضعه لا بتكبّره، و أن يكون أميرهم بالعطاء

١- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۵۲.

٢- علىّ و حقوق الإنسان: ص ٧١.

لا بالأخذ، و يكون عظيمهم، بالاهتمام بهم، لا بأن يهتموا به..

و هذا أمر واجب على الحاكم، و ليس مستحبّا..

يقول الإمام على عليه السّلام: «إن اللّه تعالى فرض على أئمه العدل أن يقدّروا أنفسهم بضعفه الناس، كيلا ينبيّغ بالفقير فقره»(١).

خامسا – التشدّد مع المسؤولين لمصلحه العامه:

و قد أفردنا لهذا فصلا خاصا به نظرا لأهميته..

سادسا – الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاه:

إن الولايه بالنسبه إلى الوالى مسؤوليه لا ترفيه فيها فلا بد أن يعطى من راحته، و وقته، و نفسه لمصلحه الناس. و هذا يتطلّب منه المزيد من العمل، و المزيد من النشاط، و المزيد من العطاء..

و أول ما يخطر فى البال فى ذلك أن يكون فى متناول يد الجميع، فلا يحتجب عن أحد، و لا يتقمّط بحاشيه من المتزلفين، و الموظفين، و لا يضع نفسه فى برج من العاج، يطلّ منه على الناس، و يلتقى بهم عبر صوره، و صوته ثم لا

١- قوت القلوب: ج ١، ص ٥٣١.

یری الناس، و لا یرونه إلّا فی تشییع جنازته، حیث لا خدم و لا حشم!

فالاحتجاب عن الناس حرام.. و «أیما مؤمن کان بینه و بین مؤمن حجاب ضرب اللّه بینه و بین الجنّه سبعین ألف سور، ما بین السور إلی السور مسیره ألف عام»(۱) ، بینما «من تولّی أمرا من أمور الناس فعدل، و فتح بابه و رفع ستره، و نظر فی أمور الناس، کان حقا علی اللّه، أن یؤمن روعته یوم القیامه، و یدخله الجنّه»(۲).

و الحق، أن بدایه فساد الحاکم، هی فی احتجابه عن العامه، حیث تتلقّفه أیادی بطانه السوء، و تلفه شهواتهم، و توجّهه شهواتهم فیبتعد عن الناس و یبتعدون عنه، و یکره الناس و یکرهونه، و یکون للحاکم عالمه، و للناس عالمهم، و بینهما تناقض و تناطح، و ربما صراع و حروب..

و من هنا فإن أئمه العدل فی التاریخ کانوا یتمیّزون بکونهم یعیشون مع الناس، و للناس، و بین الناس. و یمنعون ولاتهم من أن تضرب بینهم و بین أحد الأستار و الکلل..

یقول أمیر المؤمنین، فی کتابه إلی «قثم بن العباس» و هو عامله علی مکّه المکرّمه:

۱- تنبیه الخواطر: ص ۳۹۷.

۲- المصدر السابق: ص ۳۹۹.

«و لا يكن لك إلى الناس سفير إلّا لسانك، و لا حاجب إلّا وجهك، و لا تحجبنّ ذا حاجه عن لقائك بها، فإنها (الحاجه) إن زيدت عن أبوابك فى أول وردها، لم تحمد فيما بعد على قضائها»(۱).

و يقول صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى عهده إلى مالك الأشتر: «أما بعد.. فلا تطولن احتجابك عن رعيتك، فإنّ احتجاب الولاه عن الرّعيه شعبه من الضّيق و قلّه علم بالأمور، و الاحتجاب منهم يقطع عنهم علم ما احتجبوا دونه فيصغر عندهم الكبير، و يعظم الصغير، و يقبح الحسن، و يحسن القبيح، و يشاب الحق بالباطل، و إنما الوالى بشر لا يعرف ما توارى عنه الناس به من الأمور، و ليست على الحق سمات تعرف بها ضروب الصدق من الكذب. و إنما أنت أحد رجلين: إمّا امرؤ سخت نفسك بالبذل فى الحق، ففيم احتجابك من واجب حقّ تعطيه، أو فعل كريم تسديه، أو مبتلى بالمنع، فما أسرع كفّ الناس عن مسألتك إذا أيسوا من بذلك! مع أن أكثر حاجات الناس إليك مما لا مؤونه فيه عليك من شكاه مظلمه، أو طلب إنصاف فى معامله»(۲).

هذا عن منع الاحتجاب..

ص:۱۲۸

۱- مستدرک الوسائل: ج ۲، ص ۱۴۴.

۲- نهج البلاغه: الکتب، ص ۵۳.

أمّا عن أمور الولاه، و الاهتمام برسائلهم، و تقاربهم، و الإجابه عليها فقد قال أمير المؤمنين عليه السّلام لمالك الأشتر أيضا: «.. ثم أمور من أمورك لا بدّ لك من مباشرتها: منها إجابه عمّالك بما يعيا (يعجز) عنه كتّابك. و منها إصدار حاجات الناس يوم ورودها عليك بما تخرج به صدور أعوانك، و امض لكل يوم عمله، فإنّ لكل يوم ما فيه»(۱).

سابعا - مساعده الجميع، و اللطف بهم:

إن الحكومه، ليست مجرد ناظمه لشؤون الناس، و الحاكم ليس مجرّد قيّم على القاصرين، أو الشرطى الذى همّه ضبط الأمور، و العسكرى الذى تقع عليه مسؤوليه فرض القانون. بل الحكومه أيضا مؤسسه خدماتيه، واجبها تطوير شؤون المجتمع، و تنميه الكفاءات، و تقديم ما يمكن تقديمه إلى ذوى الحاجه. و الحاكم بالإضافه إلى مهماته كشرطى و كعسكرى، فهو «بمنزله الوالد» حسب تعبير الإمام على عليه السّلام و من واجباته تقديم العون، و مساعده الجميع..

من هنا فإنّ على الحاكم أن يملك قلبا رحيما، و ضميرا عطوفا، و خلقا كريما، حتى يكون ممّن يبحث عن المحتاجين ليقدّم لهم يد العون، لا أن يهرب منهم حتى لا يشغلوه!.

١- المصدر السابق.

و ممّن يلتذّ بمساعده ذوى الحاجه، لا أن يطردهم حتى لا يزعجوه!.

يقول الإمام على عليه السّلام فى عهده إلى مالك الأشتر:

«و أشعر قلبك الرحمه للرعيه، و المحبه لهم، و اللطف بهم»(۱).

و يقول عليه السّلام فى وصفه لرسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و كيف كان يبحث عن ذوى الحاجات: «طبيب دوّار بطبه، قد أحكم مراهمه، و أحمى مواسمه، يضع ذلك حيث الحاجه إليه، متتبع بدوائه مواضع الغفله، و مواطن الحيره»(۲).

ثم إن حاجات الناس إلى الحاكم، هى نعم اللّه التى تترى عليه، فما أحسن أن يجرى الخير على يد إنسان إلى الآخرين؟ فإن «من كثرت نعم اللّه عليه كثرت حوائج الناس إليه، فمن قام للّه فيها بما يجب عرّضها للدّوام و البقاء، و من لم يقم فيها بما يجب عرّضها للزوال و الفناء»(۳).

من هنا كان الإمام يكتب إلى ولاته أنصفوا الناس من أنفسكم و اصبروا لحوائجهم(۴) و يقول: «و لا تحمشوا أحدا

۱- نهج البلاغه: الكتب، ص ۵۳.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- مجمع الأمثال: ج ۲، ص ۴۵۴.
۴- كتاب صفّين: لنصر بن مزاحم، ص ۱۰۸.

عن حاجته(۱) و كان عليه السّلام يطلب منهم أن يجلسوا بشكل خاص لـذوى الحاجات من الناس. فيقول فى عهـده إلى مالك الأشتر: «و اجعل لذوى الحاجات منك قسما تفرّغ لهم فيه شخصك، و تجلس لهم مجلسا عاما فتتواضع فيه للّه الذى خلقك، و تقعد (تبعِّد) عنهم جندك و أعوانك من حراسك و شرطك، حتى يكلّمك متكلّمهم غير متعتع.. ثم احتمل الخرق منهم و العىّ، و نحّ عنهم الضيق و الأنف، يبسط اللّه عليك بذلك أكناف رحمته، و يوجب لك ثواب طاعته، و اعط ما أعطيت هنيئا (بلا منّه) و امنع فى إجمال و إعذار»(۲).

و لا شك أن حاجات الناس كثيره و متنوّعه، و من أهمها حاجاتهم الماديّه، و التى يجب على الوالى الاهتمام بها لأنّ قضيه الأرزاق هى قضيه الحياه بالنسبه إليهم فى الحياه الدّنيا، و لا يمكن إهمالها بحجّه أن الآخره هى المنى، و المبتغى.

و لذلك فإن على الوالى تحمّل مسؤوليته تجاه طلبات الناس بما فيها تحمّل قضاء ديونهم. فلقد قال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم:

«ما من غريم ذهب بغريمه إلى وال من ولاه المسلمين،

۱- المصدر السابق.

۲- نهج البلاغه: الكتب، ص ۵۳.

و استبان للوالی عسرته إلّا برىء هذا المعسر من دينه و صار دينه على والی المسلمين فيما فی يديه من أموال المسلمين»(۱).

ثامنا – المساواه، و عدم التمييز:

من أهم مظاهر العداله، المساواه بين الناس، و عدم التمييز بينهم.. و لربّما يعتبر الكثيرون المساواه هی العداله، و العداله هی المساواه. إذ لا معنی للعداله من دونها..

و لعلّ من أخطر ما يبتلی به الحاكمون هو تمييزهم غير المبرّر بين أبناء البشر، و ترجيح بعضهم على حساب البعض الآخر..

صحيح أنّ الحياه فيها ترجيح و تفضيل، غير أن قانون التقادم و التفاضل يجب أن يدور عنه الحاكم حول «الحاجه».

فالمحتاج إلی الرعايه له أفضليته على غيره، فالفقير له الأفضليه على الغنی، و الضعيف على القوی، و من ليست له عشيره، على صاحب العشيره. كما قال ذلک الرجل الذی سئل عن أحبّ أولاده إليه فقال: «صغيرهم حتی يكبر، و عائلهم حتی يغنی، و مريضهم حتی يعفی، و غائبهم حتی يعود».

و إذا عرفنا أن الوالی مع الناس بمنزله الوالد مع أولاده فلا بدّ أن يكون ذات القانون حاكما فی تصرفاته معهم..

۱- تفسير علی بن إبراهيم: ج ۱، ص ۹۴.

و الحق، فإن التمييز الظالم بين البشر يقتل فيهم روح المبادره، كما يقضى على الثقه فيما بينهم، بينما المساواه يفتح باب التنافس، و ينمّى كفاءاتهم، و لهذا يجب أن يكون الجميع متساوين أمام القانون و يجب أن يكون الوالى هو الحافظ على المساواه..

و فى هذا المجال روى: «أن أمير المؤمنين قال لعمر بن الخطاب: ثلاث إن حفظتهنّ، و عملت بهنّ كفتك ما سواهنّ، و إن تركتهن لم ينفعك شيء سواهنّ»..

قال عمر: «ما هنّ يا أبا الحسن»؟.

فقال عليه السّلام: «إقامه الحدود على القريب و البعيد و الحكم بكتاب اللّه فى الرضى و السخط. و القسم بالعدل بين الأحمر و الأسود».

فقال عمر: «لقد أوجزت و أبلغت»(١).

من هنا وجب على ولاه العدل، أن يبالغوا فى المساواه حتى تشمل النظر، و الكلام و ما شابه..

يقول الإمام على عليه السّلام فى عهده إلى محمد بن أبى بكر حين ولّاه مصر: «فاخفض لهم جناحك، و ألن لهم جانبك، و ابسط لهم وجهك، و آس بينهم فى اللحظه و النظره، حتى لا

١- بحار الأنوار: ج ٧٥، ص ٣٤٩.

يطمع العظماء فى حيفك لهم، و لا ييأس الضعفاء من عدلك عليهم، فإنّ اللّه تعالى يسائلكم معشر عباده، عن الصغيره من أعمالكم و الكبيره، و الظاهره و المستوره»(۱).

و يقول عليه السّلام لأحد ولاته: «أحبّ لعامه رعيّتك ما تحبّ لنفسك، و أهل بيتك، و اكره لهم ما تكره لنفسك، و أهل بيتك، فإن ذلك أوجب للحجّه، و أصلح للرّعيه»(۲).

و هكذا، فإنّ على الوالى أن يلتزم بالمساواه فى مجالين:

الأول - مساواه نفسه و أهل بيته مع عامه الناس.

الثانى - مساواه أفرد المجتمع فيما بينهم.. خاصه فيما يرتبط بقضايا المال و الفىء، لأن أى تمييز فيما بينهم بالعطاء يعنى ميلان ميزان العداله، و اختلال توازن المجتمع.. و من ثم تقسيم الناس إلى آكل، و مأكول، و ظالم و مظلوم، و متخم و فقير..

و هذا ما يأباه اللّه تعالى..

و فيه الدمار و الهلاك..

يقول سبحانه: وَ إِذا أَرَدْنا أَنْ نُهْلِكَ قَرْيَهً أَمَرْنا مُتْرَفِيها فَفَسَقُوا فِيها فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْناها تَدْمِيراً (۱۶)(۳).

۱- مجموعه الشيخ ورام: ص ۱۲.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۲۷.

۳- سوره الإسراء، الآيه: ۱۶.

من هنا كان الإمام على عليه السّلام قد تميّز بتشدّده فى المساواه، و عدم التنازل عنه، حتى و لو على حساب سلطته، و حياته..

لقد كتب إلى بعض جنوده يقول:

«من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين. أما بعد، فإن اللّه جعلكم فى الحق جميعا سواء أسودكم و أحمركم (أى العرب و غير العرب) و جعلكم من الوالى بمنزله الولد من الوالد، و جعل الوالى منكم بمنزله الوالد من الولد. و إن حقّكم على الوالى إنصافكم و العدل بينكم، و الكفّ عن فيئكم، فإذا فعل ذلك معكم و جبت عليكم طاعته بما وافق الحق، و نصرته فى سيرته، و الدفع عن سلطان اللّه، فإنّكم وزعه اللّه فى الأرض (المدافعون عمّا أمر به) فكونوا له أعوانا، و لدينه أنصارا، و لا تفسدوا فى الأرض بعد إصلاحها»(1).

فالطاعه من الناس للوالى مشروطه بإنصاف الوالى و عدله، و عدم تفضيل بعضهم على بعض.. فإذا فعل ذلك وجبت طاعته و إلاّ فلا!.

***

و لقد التزم فى نفسه و خاصه أهله، حيث لم يميّز أحدا على أحد فيما يرتبط بالفىء..

1- على إمام المتّقين: ج 2، ص 18.

و من ذلک ما روی من «أن عليّا عليه السّلام کسی الناس بالکوفه، و کان فی الکسوه برنس خزّ، فسأله إيّاه الحسن، فأبی أن يعطيه إيّاه، و أسهم عليه بين المسلمين فصار لفتی من همدان، فأخذه الهمدانیّ، فقيل له: إن الحسن کان سأله أباه فمنعه إيّاه، فأرسل به الهمدانیّ إلی الحسن عليه السّلام فقبله»(۱).

و أصبحت المساواه، سياسه الإمام فی التقسيم من غير أن تأخذه فی ذلک لومه لائم، و قد سبّب له ذلک الکثير من المشاکل، حتی أن عددا من المهاجرين و الأنصار عاتبه لأنه يسوّی بين الجميع، بينما کان عمر يفضّل المهاجرين و أهل بدر و أهل السابقه فی الإسلام.

فقال لهم: «ألا إنه من استقبل قبلتنا و شهد أن لا إله إلاّ اللّه و أن محمدا رسول اللّه (يعنی المسلمين)، و من أکل ذبيحتنا (يعنی أهل الذمّه) أجرينا عليه أحکام القرآن، و أقسام الإسلام، ليس لأحد علی أحد فضل إلاّ بتقوی اللّه و طاعته، جعلنا اللّه و إياکم من المتّقين، و أوليائه و أحبائه الّذين لا خوف عليهم و لا هم يحزنون..

ألا إن هذه الدنيا التی أصبحتم تتمنونها، و ترغبون فيها، و أصبحت تغضبکم و ترضيکم، ليست بدارکم و لا منزلکم الذی

۱- قرب الإسناد: ص ۹۶.

خلقتم له، و لا الذى دعيتم إليه، ألا و إنها ليست بباقيه لكم، و لا تبقون عليها..

فانظروا يا معشر المهاجرين و الأنصار ما وصفتم به فى كتاب اللّه و نزلتم به عند رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم و جاهدتم عليه، فيم فضّلتم؟ أبا لحسب و النسب؟ أم بعمل و طاعه، فاستتموا نعمه اللّه عليكم - رحمكم اللّه - بالصبر لأنفسكم، و المحافظه على ما استحفظكم اللّه من كتابه..

ألا و إنه لا يضرّكم تواضع شىء من دنياكم بعد حفظكم وصيه اللّه و التقوى، و لا ينفعكم شىء حافظتم عليه من أمر دنياكم بعد تضييع ما أمرتم به من التقوى، فعليكم عباد اللّه بالتسليم لأمره، و الرضا بقضائه، و الصبر على بلائه».

«فأما الفىء فليس لأحد فيه على أحد أثره، قد فرغ اللّه عزّ و جلّ من قسمه، فهو مال اللّه، و أنتم عباد اللّه المسلمون، و هذا كتاب اللّه، به أقررنا و عليه شهدنا، و له أسلمنا، و عهد نبينا بين أظهرنا، فسلّموا - رحمكم اللّه - فمن لم يرض بهذا، فليتولّ كيف شاء، فإن العامل بطاعه اللّه و الحاكم بحكم اللّه لا وحشه عليه، أولئك الّذين لا خوف عليهم، و لا هم يحزنون و أولئك هم المفلحون».

فلا يقولنّ رجال قد كانت الدنيا غرّتهم، فاتّخذوا العقار

ص:١٣٧

و فجروا الأنهار، و ركبوا أفره الـدواب، و لبسوا ألين الثياب، فصار ذلك عليهم عارا و شـنارا إن لم يغفر لهم الغفّار فلا يقولنّ إذا منعتهم ما كانوا فيه يخوضون، و صيّرتهم إلى ما يستوجبون، فينقمون ذلك و يستنكرون، و يقولون ظلمنا ابن أبى طالب، و حرمنا و منعنا حقوقنا، فاللّه عليهم المستعان!!..

ألا و إن للمتّقين عنـد اللّه أفضل الثواب، و أحسن الجزاء و المآب، لم يجعل اللّه تبارك و تعالى الدنيا للمتّقين ثوبا، و ما عند اللّه خير للأبرار»(۱).

و عند ما عاد بعض المهاجرين و الأنصار فألحّوا عليه أن يفضـلهم فى العطاء لأنهم أصـحاب سابقه فى الإسـلام - كما كان يفعل عمر - قال لهم مؤنّبا: «إنى لا أرزؤكم من فيئكم شيئا! أفتروننى مانعا نفسى و ولدى و معطيكم؟!

لأسوّين بين الأسود و الأحمر.. و اللّه لقـد أدركت أقواما كانوا يبيتون للّه سـجّدا و قياما كأن صـرير النار فى آذانهم، و إذا ذكروا اللّه مادوا كما تميد الشجره فى اليوم العاصف..

إن للّه حدودا فلا تتعدّوها، و لقد فرض فروضا فلا تنقصوها، و أمسک عن أشياء لم يمسک عنها نسيانا بل رحمه

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۳۶-۲۳۷.

من اللّه لكم فاقبلوها و لا تكلفوها. الحلال بيّن و الحرام بيّن و الشبهات بين ذلك، فمن ترك ما اشتبه عليه فهو لما استبان له أترك، و المعاصی حمی اللّه، فمن رتع حولها يوشک أن يقع فيها.. و من حام حول الحمی وقع فيه»(۱)!.

و تعوّد أن يوزّع كل مال يجيئه و لا يبقی منه شيئا فی بيت المال.. و بعد أن يفرغ من توزيع المال يذهب إلی بيت المال فيكنسه، و يصلّی فيه..

و كان سبب ابتعاد بعض الصحابه عنه، و التمرّد عليه من قبلهم فيما بعد هو رفضه أن يفضّلهم علی غيرهم من المسلمين.. فقد روی أنه جاءه مال كثير من الخراج، فقال الإمام علی عليه السّلام: «اعدلوا فيه بين المسلمين جميعا، و لا تفضّلوا أحدا علی أحد لقرابه أو لسابقه». و كان قد جعل عمار بن ياسر علی بيت المال.

فدفع عمار و مساعدوه إلی كل واحد ثلاثه دنانير، لم يفرّقوا بين عربی و لا أعجمی، فجاء طلحه و الزبير، فسألا عمّارا و مساعديه: «ليس هكذا كان يعطينا عمر! فهذا منكم أم أمر صاحبكم»؟.

قال عمّار: «هكذا أمرنا أمير المؤمنين».

۱- علی إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۳۸.

فمضـيا إليه، فوجداه قائما فى الشـمس، و معه أجيره، و قد أمسك كل منهما بأدوات الزراعه، و هو يغرس نخلا. فقالا له: «يا أمير المؤمنين ألا ترى أن ترتفع بنا إلى الظلّ»؟.

فجاءهما حيث أويا إلى الظل، فقالا: «إنّا أتينا إلى عمّالك على قسمه هذا الفىء فأعطوا كلّ واحد منّا مثل ما أعطوا سائر الناس».

قال: «و ما تريدان»؟.

قالا: «ليس كذلك كان يعطينا عمر».

قال الإمام: «فما كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يعطيكما»؟.

فسكتا.. فقال: «أ ليس كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقسّم بالسويه بين المسلمين من غير زياده»؟. فسكتا. قال: «أسنّه رسول اللّه أولى بالاتّباع أم سنّه عمر»؟.

قالا: «بل سنّه رسول اللّه. و لكن يا أمير المؤمنين لنا سابقه و غناء (نفع) و قرابه فإن رأيت ألّا تسوينا بالناس فافعل».

قال: «سابقتكما أسبق أم سابقتى؟ و قرابتكما أم قرابتى؟ و غناؤكما أعظم أم غنائى»؟.

قالا: «بل أنت يا أمير المؤمنين أعظم غناء و قرابتك أقرب و سابقتك أسبق».

ص: ۱۴۰

قال: «فو اللّه ما أنا و أجيرى هذا فى هذا المال إلاّ بمنزله واحده».

قالا: «جئنا لهذا و لغيره فأنت تحرمنا حقوقنا»!.

فقال لهما: «ألا- تخبرانى أى شىء لكما فيه حق دفعتكما عنه؟ أم أى قسم استأثرت عليكما به؟ أم أى حقّ رفعه إلى أحد من المسلمين ضعفت عنه أم جهلته، أم أخطأت بابه، و اللّه ما كانت لى فى الخلافه رغبه، و لا فى الولايه إربه (حاجه)، و لكنكم دعوتمونى إليها، و حملتونى عليها، فلما أفضت إلىّ نظرت إلى كتاب اللّه و ما وضع لنا، و أمرنا بالحكم به فاتبعته، و ما استسن النبى صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فاقتديته، فلم أحتج فى ذلك إلى رأيكما، و لا رأى غيركما، و لا وقع حكم جهلته، فأستشير كما و إخوانى المسلمين، و لو كان ذلك لم أرغب عنكما و لا عن غيركما».

و أما ما ذكرتما من أمر الأسوه (التسويه بين المسلمين فى قسمه الأموال) فإن ذلك أمر لم أحكم فيه برأيى، و لا وليته هوى منى، بل وجدت أنا و أنتما ما جاء به رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قد فرغ منه، فلم أحتج إليكما فيما قد فرغ اللّه من قسمه، و أمضى فيه حكمه، فليس لكما و اللّه عندى و لا- لغيركما فى هذا عتبى، أخذ اللّه بقلوبنا و قلوبكم إلى الحق، و ألهمنا و إياكم الصبر.

رحم اللّه من رأى حقا فأعان عليه أو رأى جورا فردّه، و كان عونا بالحق على صاحبه»(۱).

و انصرفا عنه مغضبين، و توجّس فى نفسه خيفه منهما، و هجس فى نفسه خاطرا أفزعه أيمكن أن ينقضا البيعه؟ و يلحقا بمعاويه؟!.

و أمر بأن يحتشد الناس فى مسجد رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم، ثم خطب الناس فقال:

«أيها الناس إنكم بايعتمونى على ما بويع عليه من كان قبلى، و إنما الخيار للناس قبل أن يبايعوا، فإن بايعوا فلا خيار لهم، و إن على الإمام الاستقامه و على الرعيّه التسليم، و هذه بيعه عامه من رغب عنها، رغب عن دين الإسلام و اتّبع غير سبيل أهل هذا الدين»(۲)!!

و فرح المساكين و الفقراء و عامه الناس فرحا عظيما بالتسويه فى القسمه، و بما أحياه أمير المؤمنين من سنّه الرسول فى هذا الأمر.. و فرح الموالى خاصه، و لكن بعض العرب داخل نفوسهم شیء من هذا الأسلوب فى توزيع المال!

و لكن الإمام لم يعبأ بذلك و بقى يساوى بين الناس حتى

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۱۶.
۲- المصدر السابق.

مع أقرب الصحابه إليه. فقد روى أنه لمّا قام سهل بن حنيف فأخذ بيد عبده فقال: يا أمير المؤمنين قد أعتقت هذا الغلام، فأعطاه على عليه السّلام ثلاثه دنانير مثل ما أعطى سهل بن حنيف.

و سأله بعض مواليه مالا فقال: يخرج عطائى فأقاسمكه.

فقال: لا أكتفى بذلك..

و خرج إلى معاويه فوصله، فكتب إلى أمير المؤمنين يخبره بما أصاب من المال.

فكتب إليه أمير المؤمنين عليه السّلام: أمّا بعد فإنّ ما فى يدك من المال قد كان له أهل قبلك، و هو سائر إلى أهل من بعدك، فإنّما لك ما مهّدت لنفسك، فآثر نفسك على أحوج ولدك، فإنّما أنت جامع لأحد رجلين: إمّا رجل عمل فيه بطاعه اللّه فسعد بما شقيت، و إمّا رجل عمل فيه بمعصيه اللّه فشقى بما جمعت له، و ليس من هذين أحد بأهل أن تؤثره على نفسك، و لا تبرد له على ظهرك، فارج لمن مضى رحمه اللّه، وثق لمن بقى برزق اللّه(۱).

***

لقد اتخذ موقفا حازما ضد التفرقه، حتى بالنسبه إلى أولاده، فقد روى أنه دخلت عليه أخته أم هانىء بنت أبى

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۱۴.

طالب، فدفع إليها عشرين درهما، فسألت أم هانیء مولاتها الفارسیه: «کم دفع إلیک أمیر المؤمنین»؟

فقالت: «عشرین درهما».

فطلبت من أخیها أن ینصفها فیمیّزها فقال لها: «یا أختاه انصرفی رحمک اللّه. ما وجدنا فی کتاب اللّه فضلا لآل إسماعیل علی آل إسحاق»(۱)!.

و جاءه ذات مره، أخوه عقیل یطالبه بالمزید، فکان موقفه أشدّ و أعنف. و ها هو أمیر المؤمنین یروی الحادث..

یقول علیه السّلام:

«و اللّه لقد رأیت عقیلا، و قد أملق (افتقر) حتی استماحنی (استعطانی) من برّکم (قمحکم) صاعا، و رأیت صبیانه شعّث الشعور غبّر الألوان من فقرهم، کأنّما سوّدت وجوههم بالعظلم (نبات یصبغ به) و عاودنی مؤکدا، و کرّر علیّ القول مرددا، فأصغیت إلیه سمعی، فظن أنی أبیعه دینی، و اتبع قیاده مفارقا طریقتی، فأحمیت له حدیده، ثم أدنیتها من جسمه لیعتبر بها، فضجّ ضجیج ذی دنف (مرض) من ألمها و کاد أن یحترق من میسمها (مکواتها)..

فقلت له: «ثکلتک الثواکل یا عقیل!. أتئنّ من حدیده

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۳۷.

أحماها إنسانها للعبه، و تجرّنی إلی نار سجرها جبارها لغضبه؟!

أتئنّ من الأذی، و لا تئنّ من لظی»؟!(۱).

و کما کان یرفض تفضیل أحد من قراباته علی الآخرین، کان علیه السّلام یرفض أن یفضّله الآخرون، فیقدمون له الهدایا، و ما شابه ذلک لکسبه إلی جانبهم..

و یری فی ذلک رشوه سافله و یرفضها بأشدّ ما یکون..

یقول علیه السّلام: «.. و أعجب من ذلک طارق طرقنا بملفوفه (حلوی) فی وعائها، و معجونه شنئتها، کأنما عجنت بریق حیه، أو قیئها.. فقلت: أصله، أم زکاه، أم صدقه؟ فذلک محرّم علینا أهل البیت.

فقال: «لا ذا، و لا ذاک، و لکنّها هدیه»!.

فقلت: «هبلتک الهبول (ثکلتک الثواکل) أعن دین اللّه أتیتنی لتخدعنی؟ أمختبط أنت، أم ذو جنّه، أم تهجر»؟(۲).

و جاءته امرأتان فقالتا: «یا أمیر المؤمنین، نحن امرأتان مسکینتان». فقال لهما: «قد وجب حقکما علینا و علی کل ذی سعه من المسلمین إن کنتما صادقتین». فلما تبیّن له صدقهما

۱- تذکره الخواص: ص ۱۵۵.

۲- الأمالی للصدوق: ص ۳۶۹.

قال لأحد أصحابه: «انطلق بهما إلى السوق فاشتر لكلّ واحده منهما طعاما و ثلاثه أثواب، و اعط كل واحده منهما من عطائى مائه درهم».

فلما ولّتا عادت إحداهما فقالت: «يا أمير المؤمنين بما فضلّك اللّه به و شرّفك»؟.

فقاطعها و قال: «و بماذا فضّلنى اللّه و شرّفنى»؟. قالت:

«برسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم».

قال: «صدقت، و ما أنت»؟.

قالت: «امرأه من العرب و هذه من الموالى أ فلا فضّلتنى عنها»؟.

فقال: «قرأت ما بين الدّفتين فلم أجد لولد إسماعيل (العرب) على ولد إسحق فضلا و لا جناح بعوضه»(۱).

و بعد أيام جاءه خراج جديد، فقال: «أيها الناس إن آدم لم يلد عبدا و لم يلد أمه، و إن الناس كلهم أحرار، فمن كان له بلاء فصبر فى الخير فلا يمنّ به على اللّه عزّ و جلّ، ألا و قد حضر شىء و نحن مسوّون فيه بين الأسود و الأحمر».

و لقد استغل أعداء الإمام و مناوئوه، مساواته للجميع فى إثاره من شملتهم مساواته فبدأ معاويه مثلا بتوزيع الأموال

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۷.

لشراء الضمائر، حتى من بين قاده جيش الإمام.. و كان منهم واحد اسمه «خالد بن معمّر» و كان من قاده رهط من الفرسان و قد زحف إلى معسكر الشام حتى كاد أن يفضى إلى سرداق معاويه و يزيل قبّته العاليه، فإذا بمعاويه يهرب منهزما و يختفى.. ليرسل إلى خالد يسأله ألاّ يتقدم بعد، و ألا يغامر بحياته. فما عساه يكسب من علىّ»؟!.

إن معاويه ليعده بأن يولّيه خراسان إن هو توقف عن الزحف!! و إن معاويه ليهدى خالدا من التبر ما لا يستطيع أن يحصل على ذرّه منه من أبى تراب!!

و يتوقف خالد عن الزحف!!

و هكذا كان معاويه يملك مال اللّه يوزّعه على من يبيع ضميره.

أما الإمام علىّ فما عساه يملك؟!!

إنه لا يملك غير العدل فى القسمه بين الناس!!

ما يملك إلاّ التقوى، و ما عساها تجدى مع الرجال الّذين يصطنعهم معاويه، من الّذين قال عنهم هو نفسه: «إنهم لا يعرفون غير المال»(۱). و لكنه لن يتراجع عن الحق، و لا يتجاوز العدل.

۱- على إمام المتّقين: ج ۲.

و لقد ذكر الّذين جاؤوا من الشام أن معاويه قد اصطنع أهل الشام جميعا، و كلهم حديث عهد بالإسلام، و كلهم لا يعرف إلّا معاويه، و ما يغدقه معاويه، ثم إنه ليصطنع رؤساء القبائل العربيه، فيجزل لهم فى العطاء أضعافا مضاعفه؛ من أجل ذلك نكث الولاه الّذين خافوا الإمام على ما كسبوه بغير حق و فروا إلى معاويه!

فقال أصحاب الإمام له: «يا أمير المؤمنين أعط هذه الأموال، و فضّل هؤلاء الأشراف من العرب و من قريش على الموالى و العجم، و استمل من تخاف خلافه من الناس».

فقال لهم متعجبا منكرا: «أتأمروننى أن أطلب النصر بالجور فيمن وليت عليه؟!.. لو كان المال لى لسويت بينهم، فكيف و إنما المال مال اللّه؟!.. ألا و إن إعطاء المال فى غير حقه تبذير و إسراف، و هو يرفع صاحبه فى الدنيا، و يضعه فى الآخره، و يكرمه فى الناس، و يهينه عند اللّه و لم يضع امرؤ ماله فى غير حقه، و لا عند غير أهله إلّا حرمه اللّه شكرهم و كان لغيره ودّهم، فإن زلّت به النعل يوما فاحتاج إلى خدمتهم فشر خدين و ألأم خليل!.. إنه لا يسعنا أن نعطى أحدا أكثر من حقّه.. إن هذا المال ليس لى و ليس لكم، و لكنه مال اللّه يقسم بين الناس بالسويه فلا فضل لأحد على أحد»(۱).

ص:۱۴۸

۱- المجالس: ص ۹۵.

فقال أحدهم: «یا أمیر المؤمنین أنت تنصف الوضیع من الشریف، فلیس للشریف عندک فضل منزله علی الوضیع، فضجّت طائفه ممّن معک من الحق إذ عملوا به، و اغتموا من العدل إذ صاروا فیه، و رأوا صنائع معاویه من أهل الغنی فباعوا أنفسهم و أکثرهم یشتری الباطل. فإن تبذل المال یملّ إلیک أعناق الرجال و یستخلص ودهم».

فردّ الإمام: «أما ما ذکرت من عملنا و مسیرتنا بالعدل فإن اللّه عزّ و جلّ یقول: مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ فَعَلَیْها وَ ما رَبُّکَ بِظَلّامٍ لِلْعَبِیدِ (۱). و أنا من أن أکون مقصرا فیما ذکرت أخوف. و أما ما ذکرت أن الحق ثقل علیهم ففارقونا، فعلم اللّه أنهم لم یفارقونا عن جور، و لا لجأوا إذا فارقونا إلی عدل! و أما ما ذکرت من بذل الأموال و اصطناع الرجال فإنه لا یسعنا أن نؤتی أحدا من المال فوق حقّه».

***

یقول فضیل بن الجعد، و قد کان من المعاصرین للإمام:

آکد الأسباب کان فی تقاعد العرب عن أمیر المؤمنین علیه السّلام أمر المال، فإنه لم یکن یفضّل شریفا علی مشروف و لا عربیّا علی عجمیّ، و لا یصانع الرؤساء و أمراء القبائل کما یصنع

۱- سوره فصلت، الآیه: ۴۶.

الملوک، و لا يستميل أحدا إلى نفسه، و كان معاويه بخلاف ذلک، فترک النّاس عليّا و التحقوا بمعاويه، فشكا على عليه السّلام إلى الأشتر تخاذل أصحابه و فرار بعضهم إلى معاويه.

فقال الأشتر: يا أمير المؤمنين إنّا قاتلنا أهل البصره بأهل الكوفه و أهل الشام بأهل البصره و أهل الكوفه و رأى الناس واحد و قد اختلفوا بعد و تعادوا، و ضعفت النيّه و قلّ العدد، و أنت تأخذهم بالعدل و تعمل فيهم بالحق، و تنصف الوضيع من الشّريف، فليس للشّريف عندک فضل منزله، فضجّت طائفه ممّن معک من الحق إذ عموا به، و اغتمّوا من العدل إذ صاروا فيه، و رأوا صنائع معاويه عند أهل الغناء و الشّرف، فتاقت أنفس النّاس إلى الدّنيا، و قلّ من ليس للدّنيا بصاحب، و أكثرهم يحتوى الحقّ و يشترى الباطل، و يؤثر الدّنيا.

فإن تبذل المال يا أمير المؤمنين تملّ إليک أعناق الرجال، و تصفو نصيحتهم، و يستخلص ودّهم، صنع اللّه لک يا أمير المؤمنين، و كبت أعداءک و فضّ جمعهم و أوهن كيدهم، و شتّت أمورهم إِنَّهُ بِما يَعْمَلُونَ خَبِيرٌ (١).

فقال على عليه السّلام: «أمّا ما ذكرت من عملنا و سيرتنا بالعدل فإنّ اللّه عزّ و جلّ يقول: مَنْ عَمِلَ صالِحاً فَلِنَفْسِهِ وَ مَنْ أَساءَ

١- سوره هود، الآيه: ١١١.

فَعَلَيْها وَ ما رَبُّكَ بِظَلاّمٍ لِلْعَبِيدِ (۱) و أنا من أن أكون مقصّرا فيما ذكرت أخوف؛ و أمّا ما ذكرت من أنّ الحق ثقيل عليهم ففارقونا بذلك فقد علم اللّه أنّهم لم يفارقونا من جور، و لا لجأوا إذ فارقونا إلى عدل، و لم يلتمسوا إلاّ دنيا زائله عنهم كانوا قد فارقوها، و ليسألنّ يوم القيامه: للدّنيا أرادوا أم للّه عملوا؛ و أمّا ما ذكرت من بذل الأموال، و اصطناع الرّجال فإنّه لا يسعنا أن نوفى أحدا من الفىء أكثر من حقّه، و قد قال اللّه سبحانه و قوله الحقّ: كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللّهِ وَ اللّهُ مَعَ الصّابِرِينَ (۲).

و قد بعث اللّه محمدا صلّى اللّه عليه و آله و سلّم وحده و كثّره بعد القلّه و أعزّ فئته بعد الذلّه، و إن يردّ اللّه أن يولّينا هذا الأمر يذلّل لنا صعبه، و يسهّل لنا حزنه، و أنا قابل من رأيك ما كان للّه عزّ و جلّ رضى و أنت من آمن النّاس عندى و أنصحهم لى و أوثقهم فى نفسى إن شاء اللّه»(۳).

تاسعا – مجازاه المسىء، و الإحسان إلى المحسنين:

بمقدار ما يجب الإحسان إلى المحسنين، تجب معاقبه

۱- سوره فصلت، الآيه: ۴۶.

۲- سوره البقره، الآيه: ۲۴۹.

۳- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۴-۱۳۵.

المسيئين. و الحاكم العادل هو الذى يحب الجمال بمقدار ما يكره القبح، و يقرّب الطيبين بمقدار ما يبّعد الخبثاء، و ينفر من الجور بمقدار ما يطلب العدل.

أمّا إذا لم يجاز المحسن على إحسانه، و لم يعاقب المسىء على إساءته، فإن المحسنين يزهدون فى إحسانهم، كما أن المسيئين يزيدون فى إساءتهم..

يقول الإمام على عليه السّلام: «و لا يكونن المحسن و المسىء عندك بمنزله سواء، فإنّ فى ذلك تزهيدا لأهل الإحسان، فى الإحسان، و تدريبا لأهل الإساءه على الإساءه، و الزم كلّا منهم ما ألزم نفسه(۱).

و قد روى: ثلاثه تجب على السلطان للخاصه و العامّه:

- «مكافأه المحسن بالإحسان ليزدادوا رغبه فيه».

«و تغمد ذنوب المسىء ليتوب و يرجع عن غيّه».

«و تألفهم جميعا بالإحسان و الإنصاف»(۲).

صحيح أن للحاكم أن يعفو عن المسىء، و لكن يجب أن يكون القانون واضحا فى أن للإساءه جزاءها العادل، كما أن للإحسان جائزته العادله..

ص:۱۵۲

۱- نهج البلاغه: الكتب، ص ۵۳.
۲- تحف العقول: ص ۲۳۵.

عاشرا – الاهتمام بعامه الناس دون الخاصه منهم:

فی کل مجتمع هنالک مجموعه من أهل الخاصه، و هم الّذین یمتلکون بعض القدرات و الطاقات و المواقع الاجتماعیه المرموقه.. و هم عاده قله قلیله، بینما الأکثریه من الناس، یعیشون فی مستوی أقل من الخاصه..

و مهمه الحاکم العادل أن یهتمّ بعامه الناس، لا بالخاصه.

کما أن من مهمته أن یبعد عن نفسه بطانه السوء، و التی تتکوّن هی الأخری کطبقه خاصه حول الحاکم، فتجره إلی مستنقع شهواتها و رغباتها، و تمنعه من التوجّه نحو العامه..

یقول الإمام علی علیه السّلام لمالک الأشتر حین ولّاه مصر: «إن للوالی خاصه و بطانه، فیهم استئثار و تطاول و قلّه إنصاف فی معامله، فاحسم ماده أولئک بقطع أسباب تلک الأحوال، و لا تقطعنّ لأحد من حاشیتک و حامتک قطیعه، و لا یطمّعن منک فی اعتقاد عقده، تضرّ بمن یلیها من الناس، فی شر، أو عمل مشترک، یحملون مؤونته علی غیرهم، فیکون مهنأ ذلک لهم دونک، و عیبه علیک فی الدنیا و الآخره»(۱).

و الحق، فإن إبعاد بطانه السوء ضروری للتواصل مع عامه الناس، إذ من غیر الممکن العمل لأجل الأکثریه، و العطاء

۱- نهج البلاغه: الکتب، ۵۳.

لهم، مع وجود مجموعه من المتزلفين و أصحاب المصالح الخاصه. و لذلك فلا بد من إبعادهم أولا، ثم التوجّه نحو الناس بالعطاء.

يقول الإمام على عليه السّلام لمالك الأشتر أيضا: «و ليكن أحبّ الأمور إليك أوسطها فى الحق، و أعمّها فى العدل، و أجمعها لرضى الرعيه فإن سخط العامه يجحف برضى الخاصه، و أن سخط الخاصه يغتفر مع رضى العامه. و ليس أحد من الرعيه أثقل على الوالى مؤونه فى الرخاء. و أقلّ معونه له فى البلاء، و أكره للإنصاف، و أسأل بالإلحاف، و أقلّ شكرا عند الإعطاء.

و أبطأ عذرا عند المنع، و أضعف صبرا عند ملمات الدّهر، من أهل الخاصه.

و إنما عماد الدين، و جماع المسلمين، و العدّه للأعداء:

العامه من الأمّه، فليكن صغوك لهم، و ميلك معهم، و ليكن أبعد رعيتك منك، و أشنأهم عندك، أطلبهم لمعاتب الناس»(۱).

الحادى عشر - التزام الحق فى جبايه الضرائب:

و قد أفردنا له فصلا خاصا لأهميته..

۱- المصدر السابق.

التشدد مع النفس

التشدد مع النفس..

و التشدّد مع الأقرباء..

و التشـدّد مع المسؤولين.. من سـمات حكّام العدل، كما أن التساهل مع الأقرباء و التراخى مع المسؤولين، و إعطاء النفس هواها، من سمات حكام الجور..

ذلك أن «السـلطه» عنـد حكّام العدل، فرصه للمزيد من الجهاد و العمل فى سبيل اللّه، و كسب رضاه، بينما هى عند حكّام الجور فرصه لإشباع الرغبات و الشهوات و التمتّع بالملذات..

فهى عند حكّام العدل مسؤوليه. و عند حكّام الجور ملهاه..

و إذا عرفنا أن أعدى أعداء الإنسان نفسه التى بين جنبيه، لأنها لَأَمّارَهٌ بِالسُّوءِ إِلاّ ما رَحِمَ رَبِّى (١) ، فإن أصحاب

١- سوره يوسف، الآيه: ٥٣.

الإيمان ينصبون العداء لها عند الاستغناء، و يتّهمونها عند الحكومات، و يعتبرون «الولايات مضامير الرجال»(١)..

بينما حكّام الجور يرون فيها المنى، و المبتغى و تحقيق الأمانى..

و فى الحق.. «إن النفس لأماره بالسوء و الفحشاء، فمن ائتمنها خانته، و من استنام إليها أهلكته، و من رضى عنها أوردته شرّ المورد»(٢) و المشكله هنا أن النفس «تتملّق تملّق المنافق، و تتصنّع بشيمه الصدّيق الموافق، حتى إذا خدعت و تمكّنت، تسلّطت تسلّط العدو، و تحكّمت تحكّم العتو فأوردت موارد السوء»(٣).

و من ثمّ، فإن ذروه الغايات لا ينالها إلّا ذوو التهذيب و المجاهدات(٤) الّذين يقاومون أهواءهم كما يقاومون أعداءهم، و يعتبرون جهاد النفس هو الجهاد الأكبر، و يعتبرون «أن أنصح الناس، أنصحهم لنفسه، و أطوعهم لربّه»(٥) بينما «من أهمل نفسه ضيّع أمره»(٦) ، و «من سامح نفسه فيما يحب

١- غرر الحكم و درر الكلم.

٢- غرر الحكم و درر الكلم.

٣- ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ١٣٠.

۴- غرر الحكم و درر الكلم.

۵- المصدر السابق.

۶- ميزان الحكمه: ج ١٠، ص ۵٨.

أتعبته فيما يكره»(۱) ، و لذلک فإن «صلاح النفس مجاهده الهوی»(۲).

ثم إنّ أولی الناس بمجاهده النفس، و التشدّد معها هم الحکّام، حیث تجد نفوسهم المجال واسعا للفساد و الإفساد..

یقول الإمام علی علیه السّلام: «من نصّب نفسه للناس إماما فلیبدأ بتعلیم نفسه قبل تعلیم غیره، و لیکن تأدیبه بسیرته قبل تأدیبه بلسانه، و معلّم نفسه و مؤدبها أحق بالإجلال من معلم الناس و مؤدبهم»(۳).

أمّا کیف یکون ذلک، فبمخالفه الهوی، ذلک أن «دواء النفس الصوم عن الهوی، و الحمیه عن لذّات الدّنیا(۴) فلا بدّ من اتّهام النفس، و مخالفتها، و الإدبار عنها لکی نصلحها..

یقول الإمام علی علیه السّلام: «اقبل علی نفسک بالإدبار عنها»(۵) أمّا «من لم یتدارک نفسه بإصلاحها أعضل داءه و أعیا شقاءه، و فقد الطبیب»(۶) و حینئذ کیف یمکن لمریض أن یعالج غیره؟ و کیف

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

۲- المصدر السابق.

۳- المستطرف: ج ۱، ص ۲۰.

۴- غرر الحکم و درر الکلم.

۵- میزان الحکمه: ج ۱۰، ص ۱۴۴.

۶- المصدر السابق: ص ۱۴۵.

یمکن لضال أن یهدی الناس؟ و «کیف یصلح غیره من لا یصلح نفسه و کیف ینصح غیره من یغشّ نفسه»(۱) ، و «کیف یعدل فی غیره من یظلم نفسه»(۲).

من هنا کان الإمام علی علیه السّلام یشدّد مع نفسه، خاصه فیما یرتبط بقضایا المال، و الجاه، و الطعام. فقد روی عن جعفر بن محمّد علیهما السّلام قال: ما اعتلج علی علی علیه السّلام أمران فی ذات اللّه تعالی إلاّ أخذ بأشدّهما، و لقد کان فی الکوفه یأکل من ماله بالمدینه(۳).

و جاءه غلامه قنبر ذات مره و قال له: «قم یا أمیر المؤمنین فقد خبأت لک خبیئا».

قال: و ما هو ویحک؟

قال: قم معی، فقام فانطلق به إلی بیته فإذا بغراره مملوءه من جامات ذهبا و فضّه، فقال: یا أمیر المؤمنین رأیتک لا تترک شیئا إلاّ قسمته فادّخرت لک هذا من بیت المال!

فقال علی علیه السّلام: «ویحک یا قنبر لقد أحببت أن تدخل بیتی نارا عظیمه؟!».

ثمّ سلّ سیفه و ضربها ضربات کثیره، فانتثرت من بین إناء

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

۲- المصدر السابق.

۳- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۷.

مقطوع نصفه و آخر ثلثه و نحو ذلک، ثم دعا بالنّاس فقال:

اقسموه بالحصص.

ثمّ قام إلی بیت المال فقسّم ما وجد فیه، ثمّ رأی فی البیت أبزار سمل (الإبره و الخیط) فقال: و لیقسّموا هذا، فقالوا: لا حاجه لنا فیه. فضحک و قال: لتأخذن شرّه مع خیره(۱).

و لقد کانت نفسه علیه السّلام، شأنه فی ذلک شأن غیره من الناس تتوق إلی الملذّات، و لکنه کان یجاهدها.. و هو القائل: «و لو شئت لاهتدیت الطریق إلی مصفّی هذا العسل و لباب هذا القمح، و نساج هذا القزّ و لکن هیهات أن یغلبنی هوای، و یقودنی جشعی إلی تخیّر الأطعمه، و لعلّ بالحجاز أو الیمامه من لا طمع له فی القرص، أو لا عهد له فی الشبع»(۲).

فکان یواسی شعبه، فیجوع نفسه، لعلّ بالحجاز أو الیمامه من لا طمع له فی قرص، أو لا عهد له فی شبع: و کان یأکل اللحم کل سنه مره فی عید الأضحی، و یقول: إنی أعلم أن الکل یأکلون اللحم فی هذا الیوم، فکان ترکه للّحم لمواساه المسلمین و سائر من فی بلاده(۳).

۱- المصدر السابق: ص ۱۳۵.

۲- روضه الواعظین: ص ۱۲۷.

۳- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۳۸.

و كان عليه السّلام إذا أعجبه شيء تركه، فقد اشترى ثوبا، فأعجبه فتصدّق به(۱).

و كـان عليه السّـلام يمتنع من أخـذ شـيء من بيت المال حتى يبيع سـيفه، و لا يكون له إلّا قميص واحـد فى وقت الغسل لا يجد غيره، و رأى عقيل بن عبد الرحمن الخولانىّ عليا عليه السّـلام جالسا على برذعه [ما يوضع على الحمار لركوبه] حمار مبتلّه، فقال لأهله فى ذلك، فقالت: لا تلومنّى فو اللّه ما يرى شيئا ينكره إلّا أخذه فطرحه فى بيت المال(۲).

و كان يصبر على الجوع، و لا يقبل أن ترتهن نفسه عند أحد.

و من ذلك ما روى: أن أمير المؤمنين مرّ بقصّاب فقال له:

يا أمير المؤمنين.. هذا اللحم سمين، اشتر منه..

فقال عليه السّلام: «ليس الثمن حاضرا».

فقال القصّاب: «أنا أصبر على الثمن، يا أمير المؤمنين».

فقال الإمام على عليه السّلام: «و أنا أصبر على اللحم»(۳).

و كان عليه السّلام يطعم الناس الخبز و اللحم، بينما كان هو يأكل الثريد بالزيت(۴).

۱- مسند الموصلّى.

۲- إحياء العلوم: للغزالى.

۳- لآلئ الأخبار: ص ۱۲۷.

۴- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۳۷.

التشدد مع الأقرباء

تحت عباءه الزعيم، يحاول أقرباؤه الحصول على مآربهم بأيه طريقه ممكنه، و يعتبرون حظوتهم لديه حقا من حقوقهم لا يجوز لأحد تنافسهم عليه.

و من جهته فإن الزعيم يميل بطبعه إلى قراباته، بحكم المحبه من جهه، و بحكم المعرفه و الصداقه من جهه أخرى، و لربّما يرى – بمرور الزمن – باطلهم حقا و حق غيرهم باطلا، فيمنحهم ما ليس لهم، و يعطيهم ما يمنعه عن الآخرين..

و هكذا تتحوّل عشيره الرّجل إلى طبقه تتحكّم فى مصائر البلاد، و تصبح قراباته آفه تأكل خيرات العباد، و يخسر الناس حقوقهم الاجتماعيه و السياسيه و الاقتصاديه لتحكم هؤلاء فيها، و احتكارهم لها..

فإذا لم يضع حكّام العدل، منذ البدايه حدّا لتصرفات القرابات فسرعان ما يبتلى بهم، محيطين به كإحاطه السوار

بالمعصم و يجرّونه ذات اليمين و ذات الشمال، حتى يوردونه موارد الهلاك و ينتهون بأمره إلى الدمار..

من هنا فقد وجدنا الأنبياء و الصالحين، يقفون بحزم أمام الأقرباء، و لا يسمحون لهم التعدّى على القانون، و يأخذونهم بالشدّه، لربما أكثر من غيرهم..

لقد قال أحدهم لقريب له: «إن الحسن من كل أحد حسن، و منک أحسن. و إن القبيح من كل أحد قبيح، و منک أقبح لقربک منّا».

و لقد روى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم فى الحديث القدسى فقال:

«يقول اللّه تعالى خلقت الجنّه لمن أطاعنى و لو كان عبدا حبشيا و خلقت النار لمن عصانى و لو كان سيدا قرشيا».

و قال لابنته فاطمه الزهراء عليهم السّلام: «يا بنيّه.. لا يخدعنّک الناس، يقولون ابنه محمد، فإنى لا أكفيك من اللّه شيئا».

و كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقدّم أقرباءه فى الحروب، و يتّقى بهم الموت عن صحابته..

يقول الإمام على عليه السّلام: «كان رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إذا احمرّ البأس (اشتدّ القتال)، و أحجم الناس، قدّم أهل بيته، فوقى بهم أصحابه حرّ السيوف و الأسنّه، فقتل عبيده بن الحارث يوم بدر، و قتل حمزه يوم أحد، و قتل جعفر يوم مؤته، و أراد من لو

شئت ذكرت اسمه مثل الذى أرادوا من الشهاده، و لكن آجالهم عجّلت، و منيّته أجّلت»(۱).

و لقد كان الإمام يوصى ولاته، و أصحابه ليس بعدم السماح للقرابات بتعدّى الحدود، بل بعدم الانشغال بالأهل و الأقرباء عن الواجبات و أمور العامه..

و يقول لأحدهم: «لا تجعلنّ أكثر شغلك بأهلك و ولدك، فإن يكن أهلك و ولدك من أولياء اللّه، فإن اللّه لا يضيّع أولياءه، و أن يكونوا أعداء اللّه، فما همّك و شغلك بأعداء اللّه»(۲).

و كم من مرّه منع الإمام أقربائه من الحصول على شىء بسيط من المال أو أى شىء يرجع إلى عامّه المسلمين..

من ذلك ما روى أنه خرج ابن للحسن بن علىّ عليه السّلام (حفيد الإمام) - و علىّ فى الرحبه، و عليه قميص خزّ و طوق من ذهب.

فقال: ابنى هذا؟

قالوا: نعم، فطلبه الإمام فشقّ القميص الذى عليه، و أخذ الطوق منه فجعله قطعا قطعا(۳).

و من ذلك ما روى أنه نزل بابنه الحسن ضيف، فاشترى الحسن خبزا و احتاج لإدام، فطلب من قنبر غلام أبيه أن يفتح

۱- العيون و المحاسن: ج ۲، ص ۷۶.

۲- ربيع الأبرار: ص ۳۱۱.

۳- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۰۴.

له زقا من زقاق عسل، جاءتهم هديه من اليمن، فأخذ منها ما أطعم به الضيف.

فلما جاء أمير المؤمنين، و طلب الزقاق ليفحصها قال:

«يا قنبر أظن أنه حدث بهذا الزق حدث»! فأخبره، فغضب و سأل الحسن: «ما حملك على أن أخذت منه قبل القسمه».

قال الحسن: «إن لنا فيه حقا فإذا أعطيناه رددناه».

قال الإمام: «و إن كان لك حق فليس لك أن تنتفع به قبل أن ينتفع المسلمون بحقوقهم».

ثم دفع إلى قنبر درهما، و قال: «اشتر به خير عسل تقدر عليه، ليقسم مع ما فى الزقاق».

قال الراوى: فكأنى أنظر إلى يدى على عليه السّلام على فم الزّق، و قنبر يقلّب العسل فيه ثم شدّه، و قال: «اللّهمّ اغفرها للحسن فإنه لا يعرف»(۱).

و روى أيضا أن عبد اللّه بن جعفر الطيّار، ابن أخيه، و صهره على ابنته زينب الكبرى عليهم السّلام. و كان رجلا صالحا، مؤمنا، من سادات بنى هاشم، كريما يطعم الناس و له سفره مفتوحه صيفا و شتاء، و ليلا و نهارا.

ضاقت عليه الدنيا ذات مره فجاء إلى عمّه أمير

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۱۲.

المؤمنین علیه السّلام و قال: یا أمیر المؤمنین لو أمرت لی بمعونه أو نفقه فو اللّه ما لی نفقه إلاّ أن أبیع دابّتی.

فقال علیه السّلام له: لا و اللّه ما أجد لک شیئا، إلا أن تأمر عمّک أن یسرق فیعطیک(۱) وروت إحدی زوجاته و هی أم عثمان فقالت: «جئت علیا و بین یدیه قرنفل مکتوب فی الرحبه، فقلت: یا أمیر المؤمنین هب لابنتی من هذا القرنفل قلاده، فقال: هاک ذا و نفذ بیده إلیّ درهما - فإنما هذا للمسلمین أولا، فاصبری حتی یأتنا حظّنا منه، فنهب لابنتک قلاده»(۲).

و روی أیضا أنه أتی بأترجّ، فذهب الحسن أو الحسین یتناول أترجّه، فنزعها الإمام من یده، ثمّ أمر به فقسّم بین الناس(۳).

و روی أنّ رجلا من خثعم رأی الحسن و الحسین علیهما السّلام یأکلان خبزا و بقلا و خلاّ فقلت لهما: أتأکلان من هذا و فی الرحبه ما فیها؟

فقالا: ما أغفلک عن أمیر المؤمنین علیه السّلام(۴).

و کان شدیدا فی مراقبه أهله، حتی لا یأخذوا أکثر مما

ص:۱۶۵

۱- شرح نهج البلاغه: ج ۱، ص ۲۱۵.
۲- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۱۲.
۳- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۱۳.
۴- المصدر السابق.

لهم من الحق، و قد روی فی ذلک «أن أمیر المؤمنین سمع صوت مقلی فی بیته، فنهض و هو یقول:

«فی ذمه علی بن أبی طالب مقلی الکراکر؟ (و هو صدر البعیر، و قیل إحدی نفثاته).

ففزع عیاله، و قالوا: یا أمیر المؤمنین، إنها امرأتک فلانه، نحر جزور فی حیّها، فأعطی لها نصیب منه..

فقال: «فکلوا هنیئا مریئا».

فقد خاف أن یکون ذلک من بیت المال، أو هدیّه من بعض الرعیّه، یمکن أن تستخدم کرشوه مثلا(۱).

و روی أیضا عن علیّ بن أبی رافع قال: کنت علی بیت مال علیّ بن أبی طالب علیه السّلام و کاتبه، و کان فی بیته عقد لؤلؤ کان قد أصابه یوم البصره فأرسلت إلیّ بنت علیّ بن أبی طالب علیه السّلام فقالت لی: بلغنی أنّ فی بیت مال أمیر المؤمنین عقد لؤلؤ و هو فی یدک، و أنا أحبّ أن تعیرنیه أتجمّل به فی أیام عید الأضحی.

فأرسلت إلیها و قلت: عاریه مضمونه یا ابنه أمیر المؤمنین.

۱- الاختصاص: ص ۱۵۴.

فقالت: نعم عاریه مضمونه مردوده بعد ثلاثه أیام، فدفعته إلیها.

ثم إنّ أمیر المؤمنین رآه علیها فعرفه، فقال لها: من أین صار إلیک هذا العقد؟

فقالت: استعرته من ابن أبی رافع، خازن بیت مال أمیر المؤمنین لأتزیّن به فی العید ثمّ أردّه.

فبعث إلیّ أمیر المؤمنین علیه السّلام فجئته فقال: أتخون المسلمین یا ابن أبی رافع؟

فقلت له: معاذ اللّه أن أخون المسلمین.

فقال: کیف أعرت بنت أمیر المؤمنین العقد الذی فی بیت مال المسلمین بغیر إذنی و رضاهم؟

فقلت: یا أمیر المؤمنین إنّها ابنتک، و سألتنی أن أعیرها إیّاه تتزیّن به، فأعرتها إیاه عاریه مضمونه مردوده، و ضمنته فی مالی و علیّ أن أردّه مسلّما إلی موضعه.

فقال: «ردّه من یومک، و إیّاک أن تعود لمثل هذا فتنالک عقوبتی، ثم أولی لابنتی لو کانت أخذت العقد علی غیر عاریه مضمونه مردوده لکانت إذن أوّل هاشمیه قطعت یدها فی سرقه».

فبلغ مقالته ابنته فقالت له: یا أمیر المؤمنین أنا ابنتک و بضعه منک فمن أحقّ بلبسه منّی؟

فقال لها أمیر المؤمنین علیه السّلام: «یا بنت علیّ بن أبی طالب لا تذهبی بنفسک عن الحقّ، أکلّ نساء المهاجرین تتزیّن فی هذا العید بمثل هذا»؟. و أضاف علیه السّلام:

«لیس إلی ذلک سبیل حتی لا تبقی امرأه من المسلمین إلاّ و لها مثل ما لک» فقبضته و رددته إلی موضعه(۱).

و روی أیضا: «أن علیّا علیه السّلام استعمل عمرو بن مسلمه علی أصبهان، فقدم و معه مال کثیر و زقاق فیها عسل و سمن فأرسلت إحدی بنات علی إلی عمرو تطلب منه سمنا و عسلا، فأرسل إلیها ظرف عسل و ظرف سمن.

فلما کان الغد خرج علی و أحضر المال و السمن و العسل، لیقسم فعدّ الزقاق فنقصت زقّین، فسأله عنهما فکتمه، و قال:

«نحن نحضرهما»، فعزم علیه ألاّ ذکرهما له فأخبره، فأرسل علیّ إلی ابنته فأخذ الزقّین منها فرآهما قد نقص منهما شیء فأمر التجّار بتقویم ما نقص منهما، فکان ثلاثه دراهم، فأرسل إلی ابنته فأخذها منها ثم قسّم الجمیع»(۲).

۱- تنبیه الخواطر: ج ۲، ص ۳-۴.

۲- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۳۴.

و جاءه عقیل – أخوه – فلمّا حضر العشاء فإذا هو خبز و ملح، فقال عقیل: لیس إلاّ ما أری؟

فقال: أو لیس هذا من نعمه اللّه و له الحمد کثیرا.

فقال: أعطنی ما أقضی به دینی و عجّل سراحی حتی أرحل عنک.

قال: فکم دینک یا أبا یزید؟

قال: مائه ألف درهم.

قال: لا ـ و اللّه ما هی عندی و لا أملکها، و لکن اصبر حتّی یخرج عطائی فأواسیکه و لو لا أنّه لا بدّ للعیال من شیء لأعطیتک کلّه.

فقال عقیل: بیت المال فی یدک و أنت تسوفنی إلی عطائک؟ و کم عطاؤک؟ و ما عساه یکون و لو أعطیتنیه کلّه؟

فقال: ما أنا و أنت فیه إلاّ بمنزله رجل من المسلمین، و مع إصرار عقیل، قال له أمیر المؤمنین: «تقیم إلی یوم الجمعه فأری فی ذلک فأقام عقیل عنده، فلمّا صلّی أمیر المؤمنین الجمعه قال لعقیل: ما تقول فیمن خان هؤلاء أجمعین؟

قال: بئس الرجل ذاک.

قال: فأنت تأمرنی أن أخون هؤلاء و أعطیک(۱).

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۱۱۶.

التشدّد مع المسؤولين

مراقبه المسؤولين فى الدوله..

و محاسبتهم على أقل انحراف..

و عزلهم، بسبب الفساد..

و التشدّد معهم فيما يرتبط بحقوق الناس..

و إصدار التعليمات اليوميه إليهم لمراعاه العامه..

مسؤوليه أساسيه من مسؤوليات حكّام العدل، ذلك أن الولاه، و أعوانهم يشكّلون من غير شكّ الوسيط بين الرأس فى المجتمع، و هو الحاكم، و بين الأعضاء، و هم الناس، و بصلاحهم يصلح الرأس، و يصلح الأعضاء، و بفسادهم ينتقل الفساد إليه، و إليهم..

و الذى يجب فعله فى هذا المجال أمران:

الأول - اختيار الولاه، من خيره أفراد المجتمع.

الثانی – الاستمرار معهم فیما سبق، من المراقبه و المحاسبه و التوجیه الدائم..

و لا یجوز الاکتفاء، بأحدهما دون الآخر، فلا یصحّ انتخاب شخص جید لمسؤولیه الولایه، ثم ترکه اعتمادا علی ما فیه من الصفات الحسنه، لأنّ موقع المسؤولیه، قد تفسد الصالح کما أنه یزید الفاسد فسادا.. و الشیطان علی کل حال یتصیّد الرجال فی «الولایات و التی هی بالطبع مضامیر الرجال»(۱)..

من هنا کان لا بدّ من أن یکون الولاه.. الّذین یعیّنهم الحاکم متحلّین بالأخلاق الفاضله، بالإضافه إلی صفات الإیمان، و العقل، و العداله و غیرها..

فلا بدّ من الحذر – کل الحذر – قبل تعیین أی مسؤول، حتی لا تبتلی الأمه فیما بعد بوال تعجز عن تغییره..

فأول ما یجب علی الحاکم العادل فی هذا المجال، هو عزل الظالمین منهم، و اختیار أفضل الناس کمسؤولین فی الدوله.. و لا بدّ من الإحجام عن تعیین أی فرد بمجرد ظهور أول شک فی أمانته، أو حتی مجرّد رغبته فی أن یصبح مسؤولا.

۱- مجمع الأمثال: ج ۲، ص ۴۵۳.

و هذا ما فعله الإمام على علیه السّلام الذی قام بعزل الولاه الّذین رکبوا رقاب الناس، و استبدلوا بالحکم فی العهد السابق، وردّ ما أخذوه بغیر حق من أموال و ضیاع..

ثم رفض تعیین أی شخص یشکّ فی أمانته، حتی و إن کان من کبار الصحابه..

و قد ذکر المؤرخون فی هذا المجال أنه أتی طلحه و الزبیر أمیر المؤمنین فقالا: «هل تدری علام بایعناک یا أمیر المؤمنین»؟.

قال: «نعم. علی السمع و الطاعه. و علی ما بایعتم علیه الخلفاء من قبلی أبا بکر و عمر و عثمان».

فقالا: «و لکنا بایعناک علی أنّا شریکاک فی الأمر».

قال: «لا، و لکنکما شریکان فی القول و الاستقامه و العون».

فقال طلحه: «استعملنی علی البصره فأکون لک عدّه و قوه».

و قال الزبیر: «ولّنی الکوفه فأکون علی الخیل معک و علی عدوّک».

فقال الإمام علی: «حتی أنظر ذلک».

و کان ابن عباس حاضرا، فلما خرجا قال: «یا أمیر المؤمنین أعط طلحه و الزبیر ما یطلبان». فذکّره أمیر المؤمنین

بما تعلّمه من رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم أن الولايه لا تعطى لمن يطلبها و لا لمن يحرص عليها!

و لكن عبد اللّه بن عباس، و كان الإمام قد استوزره عاد يلحّ فى أمر طلحه و الزبير قائلا: «أرى أنهما أحبا الولايه، فإن كنت عازلا عاملى عثمان على البصره و الكوفه، فاستعمل بدلا منهما الزبير واليّا على البصره، و طلحه على الكوفه».

فغضب الإمام على، و قال لوزيره: «ويحك يا عبد اللّه بن عباس: إن العراقين بهما الرجال و الأموال، و متى تملّكا رقاب الناس يستميلا السفيه بالطمع؛ و يضربا الضعيف بالبلاء، و يقويا على القوى بالسلطان! و لو لا ما ظهر لى من حرصهما على الولايه، لكان لى فيهما رأى و لو كنت مستعملا أحدا لضرّه أو نفعه لاستعملت معاويه على الشام».

فقال ابن عباس: «يا أمير المؤمنين، إن معاويه و أصحابه و عصبته و أقرباءه من بنى أميه أهل دنيا! إن أبقيتهم فى مناصبهم و أبقيت فى أيديهم أموالهم و ضياعهم، فلن يبالوا من ولى هذا الأمر! و إن تعزلهم، و تستردّ منهم ما تحت أيديهم ليقولنّ:

أخذها بغير شورى، و هو الذى قتل صاحبنا، و لا آمن طلحه و الزبير أن ينضما إليهم»(۱).

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۳۰-۲۳۱.

و کما رفض تعیین طلحه و الزبیر نظرا لشکّه فی أمانتهما، و مراعاه حقوق الناس فقد رفض المساومه فی التعیینات مع أفراد آخرین کان یخشی منهم علی حکمه، فقد روی أنه جاء ثلاثه نفر من قریش، هم وجوه بنی أمیّه، و هم: مروان، و سعید بن العاص، و الولید بن عقبه، فقال الولید بن عقبه:

«إنک و ترتنا جمیعا: أما أنا فقتلت أبی صبرا یوم بدر، و أما سعید فقتلت أباه یوم بدر؛ و أما مروان فقد شتمت أباه و عبت علی عثمان حین ضمّه إلیه. و نحن إخوتک و نظراؤک من بنی عبد مناف فنبایعک علی أن تترک لنا ما أصبنا من إماره و ما فی أیدینا من أموال و ضیاع، و تقتل قتله صاحبنا».

فغضب الإمام علی من هذه المساومه، و أبی أن یعدهم شیء، و رفض بیعتهم و شروطها، و قال: «أما ما ذکرت یا ولید من و تری إیاکم فالحق و ترکم! و أما أن أضع عنکم ما فی أیدیکم فلیس لی أن أضع حق اللّه عنکم أو عن غیرکم، و أما إعفائی عمّا فی أیدیکم فما کان للّه و للمسلمین فالعدل یسعکم و أما قتلی قتله عثمان، فلو لزمنی قتلهم الیوم لقتلتهم بالأمس، و لکن لکم أن أحملکم علی کتاب اللّه و سنّه نبیه، فمن ضاق علیه الحق فالباطل علیه أضیق، و إن شئتم فالحقوا بملاحقکم».

فقال مروان: «بل نبایعک و نقیم معک فتری و نری»!..

و لکنهم فرّوا إلی مکه جمیعا..

فخرج الإمام إلى الناس يقول عن بنى أميّه: «و اللّه لا يزالون حتى لا يدعوا للّه محرما إلّا استحلّوه، و لا عقدا إلّا حلّوه! و حتى لا يبقى بيت مدر و لا وبر إلّا دخله ظلمهم (بيت مدر أى مبنى من الطوب أو الحجر أو نحوه، و بيت الوبر هو الخيمه)، و حتى يقوم الباكيان يبكيان: باك يبكى لدينه، و باك يبكى لدنياه. و حتى تكون نصره أحدكم من أحدهم كنصره العبد من سيده إذا شهد أطاعه، و إذا غاب اغتابه، و حتى يكون أعظمكم فيها عناء أحسنكم باللّه ظنّا، فإن أتاكم اللّه بعافيه فاقبلوا و إن ابتليتم فاصبروا، فإن العاقبه للمتّقين»(۱)..

***

و هكذا فإن على الحاكم العادل أن يكون حذرا فى تعيين الولاه، و أن يهتم بأخلاقهم، و حرصهم على إجراء العداله، كما يهتم بدينهم، فمثلا «لا ينبغى أن يكون الوالى على الفروج و الدماء و المغانم و الأحكام و إمامه المسلمين:

البخيل، فتكون فى أموالهم نهمته. و لا الجاهل فيضلّهم بجهله. و لا الجافى (الخشن) فيقطعهم بجفائه. و لا الهاتف للدّول (الظالم فى تقسيم الأموال) فيتّخذ قوما دون قوم. و لا

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۳۱-۲۳۲.

المرتشی فی الحکم، فیذهب بالحقوق، و یقف بها دون المقاطع، و لا المعطّل للسنّه فیهلک الأمّه»(۱).

و فی وصیته لمالک الأشتر یقول الإمام علی علیه السّلام: «فول من جنودک أنصحهم فی نفسک للّه و لرسوله، و لإمامک، و أتقاهم جیبا (طاهر الصدر و القلب) و أفضلهم حلما، ممّن یبطیء عن الغضب، و لیستریح إلی العذر و یرأف بالضعفاء، و ینبو عن الأقویاء، و ممّن لا یثیره العنف، و لا یقعد به الضعف. ثم ألصق بذوی المروءات و الأحساب، و أهل البیوتات الصالحه، و السوابق الحسنه، ثم أهل النجده و الشجاعه، و السخاء و السماحه.. فإنهم جماع من الکرم»(۲).

فالأخلاق الحسنه بمجملها شرط ضروری من شروط تعیین الولاه و المسؤولین علی الناس.. و لکن لا یمکن أن نستریح إلی الولایه و المسؤولین لمجرّد أنهم کانوا حین تعیینهم ممّن اجتمعت الشروط اللازمه فیهم، بل لا بدّ من المراقبه الدائمه، و المحاسبه المستمره..

و بمقدار ما یجب أن یکون الحاکم حسن الظن بالناس لا بدّ أن یکون حذرا مع المسؤولین.

۱- دعائم الإسلام: ص ۵۳۱.

۲- نهج البلاغه: الکتب، ۵۳.

و لقد كان الإمام على عليه السّلام ليسأل الناس عن حال الولاه، و يهتمّ بما يقولون عنهم، و يقرّر بناء على حكمهم، لأنه «إنما يستدلّ على الصالحين بما يجرى اللّه لهم على ألسن عباده»(۱).

بل و كان الإمام يسأل الناس عن أعوان الولاه، فمره سأل بعض الناس عن أعوان الولاه، فعلم أن الولاه لا يحاسبونهم فقال: «يجب على الوالى أن يتعهّد أموره، و يتفقّد أعوانه، حتى لا يخفى عليه إحسان محسن و لا إساءه مسىء، ثم لا يترك أحدهما بغير جزاء، فإنه إذا ترك أعوانه تهاون المحسن و اجترأ المسىء، و فسد الأمر»(۲). و كان عليه السّلام يتّهم المسؤولين و الأعوان، و يحذّر منهم، و يطلب تعيينهم أولا للامتحان و الاختبار، و يطالب بمراقبتهم سرا، و التجسّس عليهم، فى إجراء العدل، و أداء الأمانه. لأن المسؤولين إذا تركوا و شأنهم يظلمون الناس ثمّ يزينون الظلم و الفساد للحاكم..

يقول الإمام عليه السّلام لمالك الأشتر: ثم انظر فى أمور عمّالك، فاستعملهم اختبارا، و لا تولّهم محاباه (للميل إليهم) و أثره (بدون مشوره)، فإنهما جماع من شعب الجور و الخيانه.

«و توخّ منهم أهل التجربه و الحياء، من أهل البيوتات

ص:۱۷۷

۱- المصدر السابق.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۳.

الصالحه و القدم فی الإسلام المتقدمه، فإنهم أکرم أخلاقا، و أصحّ إعراضا، و أقلّ فی المطامع إشراقا، و أبلغ فی عواقب الأمور نظرا، ثم أسبغ علیهم الأرزاق، فإن ذلک قوّه لهم علی استصلاح أنفسهم، و غنی لهم عن تناول ما تحت أیدیهم، و حجّه علیهم، إن خالفوا أمرک، أو ثلموا أمانتک».

«ثمّ تفقّد أعمالهم. و ابعث العیون (الجواسیس) من أهل الصدق و الوفاء علیهم، فإن تعاهدک فی السرّ لأمورهم، حدوه لهم، علی استعمال الأمانه، و الرفق بالرّعیه»..

«و تحفّظ من الأعوان، فإن أحد منهم بسط یده إلی خیانه اجتمعت بها علیه عندک أخبار عیونک، اکتفیت بذلک شاهدا، فبسطت علیه العقوبه فی بدنه، و أخذته بما أصاب من عمله، ثم نصبته بمقام المذلّه، و رسمته بالخیانه، و قلّدته عار التهمه»(۱).

فبالإضافه إلی ضروره الاختیار الجید، لا بد من المراقبه الجیده، ثم إذا خان أحدهم، أو لم یراع الناس لا بد من عقابه عقابا شدیدا و عدم المسامحه معه.

کل هذا، فی الوقت الذی یجب المسامحه مع عامه الناس. أی إن المعادله الصحیحه للحکم العادل تقوم علی

۱- نهج البلاغه: الکتب، ص ۵۳.

مراعاه حاله العامه و المسامحه معهم من جهه، و التشدّد مع المسؤولين من جهه أخرى. و ليس العكس كما هو ديدن ولاه الجور!

و لقد كان الإمام يرى أن المناصب مسؤوليات، و ليست مغانم، و كان يؤكد هذا المعنى للمسؤولين دائما.. فقد كتب لأحدهم يقول له:

«إن عملك ليس لك بطعمه، و لكنه فی عنقك أمانه، و أنت مسترعى لمن فوقك، ليس لك أن تفتات فی رعيه و لا تخاطر إلّا بوثيقه، و فی يديک مال من مال اللّه عزّ و جلّ، و أنت من خزانه حتى تسلّمه إلىّ»(۱).

كان رقيبا على سير الولاه، حريصا على عدلهم بين الناس، و أدائهم للأمانه التی فی أعناقهم للمستضعفين منهم.

شديدا عليهم إذا خانوا، أو ظلموا..

كتب إلى أحد ولاته بعد أن عرف بخيانته يقول له:

«أمّا بعد.. فإنی كنت أشركتك فی أمانتی، و جعلتك شعاری و بطانتی، و لم يكن رجل من أهلی أوثق منک فی نفسی لمواساتی، و مؤازرتی و أداء الأمانه إلیّ، فلما رأيت الزمان على ابن عمّک قد كلب، و العدوّ قد حرب، و أمانه الناس قد

۱- عيون الأخبار: ج ۱، ص ۱۵۱.

خزيت، و هـذه الأمّه قـد نكثت، و شـغرت: قلبت لابن عمّك ظهر المجن. ففارقته مع الفارقين، و خـذلته مع الخاذلين، و خنته مع الخائنين، فلا ابن عمك آسيت، و لا الأمانه أدّيت!

«و كأنك لم تكن اللّه تريد بجهادك، و كأنك لم تكن على بيّنه من ربك»؟.

«و كأنّك إنما كنت تكيد هذه الأمّه عن دنياهم، و تنوى غرّتهم عن فيئهم؟.. فلما أمكنتك الشدّه فى خيانه الأمّه أسـرعت الكره، و عـاجلت الـوثبه، و اختطفت مـا قـدرت عليه من أمـوالهم المصونه لأرـاملهم، و أيتـامهم، اختطـاف الـذئب الأـزل داميه المعزى الكسيره، فحملته إلى الحجاز رحيب الصدر بحمله، غير متأثم من أخذه، كأنك - لا أبا لغيرك - حدرت إلى أهلك تراثك من أبيك و أمك؟!».

«فسبحان اللّه! أما تؤمن بالمعاد؟ أو ما تخاف نقاش الحساب»؟.

«أيهـا المعـدود - كـان - عنـدنا من أولى الألباب، كيف تسـيغ شـرابا و طعاما، و أنت تعلم أنك تأكل حراما، و تشـرب حراما، و تبتاع الإماء، و تنكـح النساء من أموال اليتامى و المساكين، و المؤمنين و المجاهـدين، الّذين أفاء اللّه عليهم هذه الأموال، و أحرز بهم هذه البلاد»..

«فاتّق اللّه، و اردد إلى هؤلاء أموالهم، فإنّک إن لم تفعل، ثم أمكننى اللّه منک لأعذرنّ إلى اللّه فيک، و لأضربنّک بسيفى الذى ما ضربت به أحدا إلّا دخل النار»..

«و و اللّه، لو أن الحسن و الحسين فعلا مثل الذى فعلت، ما كانت لهما عندى هواده و لا ظفرا منّى بإراده، حتى آخذ الحق منهما، و أزيح الباطل عن مظلمتهما»!.

«و أقسم باللّه رب العالمين ما يسرّنى أن ما أخذته من أموالهم حلال لى، أتركه ميراثا لمن بعدى.. فضح رويدا، فكأنک قد بلغت المدى، و دفنت تحت الثرى، و عرضت عليک أعمالک بالمحلّ الذى ينادى الظالم فيه بالحسره، و يتمنى المضيع فيه الرجعه، ولات حين مناص»(۱).

و لقد كان موقف الإمام الشديد هذا مع عمّاله، قد دفع بعضهم إلى الهروب منه و الالتحاق بأهل الغدر عند معاويه، إلّا أن الإمام لم يكن يأبه لذلک و يقول: «و اللّه لا أراهن فى دينى». و كان عليه السّلام يضع بموقفه هذا منهجا للحكّام من أهل العدل..

لقد عاتب أحدهم على استئثاره بالأموال التى هى للمسلمين، فكتب إليه عامله:

۱- رجال الكشى: ص ۵۸، و نهج البلاغه: الكتب، ص ۴۱.

«أما بعد، فقد بلغنى كتابک عن الذى أصبت من بيت المال، و لعمرى إن حقّى فى بيت مال اللّه أكثر من الذى أخذت، و السّلام».

فكتب إليه على: «أما بعد، فإن العجب كل العجب منک، إذ ترى لنفسک فى بيت مال اللّه أكثر مما لرجل من المسلمين!! و قد أفلحت إن كان تمنّيک الباطل و ادعاؤک ما لا يكون ينجّيک من الإثم، و يحلّ لک ما حرّم اللّه عليك: عمرك اللّه! إنک لأنت البعيد (يعنى البعيد عن الصواب)، قد بلغنى أنک اتخذت مكه وطنا، و ضربت بها عطنا (مرابض الغنم و الإبل و الأنعام) تشترى المولدات من المدينه و الطائف، و تختارهن على عينک، و تعطى بهنّ مال غيرک».

فكتب إليه ذلک العامل: «و اللّه، لئن لم تدعن من أساطيرک، لأحملنّ المال إلى معاويه يقاتلک به»(۱) و كان يهتم بأقل مخالفه، و يعاتب على أقل تجاوز، و يحاسب أصغر زلّه.

من ذلک ما روى أنّ شريح بن الحارث قاضى أمير المؤمنين عليه السّلام اشترى على عهده دارا بثمانين دينارا. فبلغه ذلک فاستدعاه و قال له: «بلغنى أنّک ابتعت دارا بثمانين دينارا و كتبت لها كتابا و أشهدت فيه شهودا؟».

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۵۱.

فقال له شریح: قد کان ذلک یا أمیر المؤمنین.

فنظر إلیه نظر المغضب ثم قال: «یا شریح أما إنّه سیأتیک من لا ینظر فی کتابک، و لا یسألک عن بیّنتک، حتی یخرجک منها شاخصا، و یسلّمک إلی قبرک خالصا، فانظر یا شریح لا تکون ابتعت هذه الدار من غیر مالک أو نقدت الثمن من غیر حلالک، فإذا أنت قد خسرت دار الدنیا و دار الآخره.

أما إنّک لو کنت أتیتنی عند شرائک ما اشتریت لکتبت لک کتابا علی هذه النسخه فلم ترغب فی شراء هذه الدار بدرهم فما فوق.

و النسخه هذه: هذا ما اشتری عبد ذلیل من میّت قد أزعج للرحیل.. اشتری منه دارا، من دار الغرور من جانب الفانین و خطّه الهالکین.

و تجمع هذه الدار حدود أربعه: الحدّ الأول - ینتهی إلی دواعی الآفات، و الحدّ الثانی - ینتهی إلی دواعی المصیبات، و الحدّ الثالث - ینتهی إلی الهوی المردی، و الحدّ الرابع - ینتهی إلی الشیطان المغوی و فیه یشرع باب هذه الدّار، اشتری هذا المغترّ بالأمل من هذا المزعج بالأجل، هذه الدار بالخروج من عزّ القناعه و الدخول فی ذلّ الطلب و الضراعه، فما أدرک هذا المشتری فیما اشتری من درک، فعلی مبلبل

ص:۱۸۳

أجسام الملوک، و سالب نفوس الجبابره، و مزیل ملک الفراعنه مثل کسری و قیصر، و تبع و حمیر، و من جمع المال علی المال فأکثر، و من بنی و شیّد و زخرف و نجّد، و ادّخر و اعتقد، و نظر بزعمه للولد، إشخاصهم جمیعا إلی موقف العرض و الحساب و موضع الثواب و العقاب: إذا وقع الأمر بفصل القضاء وَ خَسِرَ هُنالِکَ الْمُبْطِلُونَ (۱).. شهد علی ذلک العقل إذا خرج من أسر الهوی و سلم من علائق الدنیا(۲).

و حینما سمع الإمام علیه السّلام أن أحد أخلص عماله، و هو عثمان بن حنیف قد دعی إلی ولیمه قوم من أهل البصره الأغنیاء، فلبّی الدعوه، کتب إلیه رساله مفصّله جدا، یعاتبه علی ذلک عتابا شدیدا، و ینصحه أن لا یعود لمثل ذلک، ما دام الفقراء و المعوزون لا یجدون مثل ذلک، و قد جاء فی مقدمه تلک الرساله ما یلی:

«أما بعد، یا ابن حنیف، فقد بلغنی أنّ رجلا من فتیه أهل البصره دعاک إلی مأدبه فأسرعت إلیها، یستطاب لک الألوان، و تنقل إلیک الجفان، و ما ظننت أنّک تجیب إلی طعام قوم عائلهم مجفوّ و غنیّهم مدعوّ، فانظر إلی ما تقضمه من هذا

۱- سوره غافر، الآیه: ۷۸.

۲- دستور معالم الحکم: للقصاعی، ص ۱۳۵.

المقضم، فما اشتبه علیک علمه فالفظه، و ما أیقنت بطیب وجوهه فنل منه، فاتّق اللّه یا ابن حنیف و لتکفک أقراصک لیکون من النار خلاصک»(۱) لقد کان کثیر الکتابه إلی عماله، ینصحهم من جهه، و یوجههم من جهه أخری، و یحاسبهم علی أخطائهم من جهه ثالثه، کل ذلک بروح دینیه، تذکّرهم الآخره، و محاسبه اللّه یوم القیامه..

فقد کتب لأحد ولاته یقول: «أما بعد، فإن دهاقین بلدک شکوا منک غلظه و قسوه، و احتقارا و جفوه.. و لهم فی ذمّتنا عهد، فامزج لهم بین التقریب و الإدناء، و الإبعاد و الإقصاء إن شاء اللّه»(۲).

و کتب لثالث: «بلغنی أنک تعمر دنیاک بآخرتک، و تصل عشیرتک بقطیعه دینک، لئن کان الذی بلغنی عنک حقا، لجمل أهلک و شسع نعلک خیر منک، و من کان بصفاتک فلیس بأهل أن یشرک فی أمانه، أو یؤمن علی جبایه، فأقبل إلیّ حین یصل إلیک کتابی هذا إن شاء اللّه»(۳).

و کتب لرابع: «بلغنی عنک أمر إن کنت فعلته فقد أسخطت إلهک، و أغضبت إمامک، أنک تقسم فی المسلمین الذی حازته

۱- ربیع الأبرار: ص ۲۱۶.

۲- التاریخ: لابن واضح، ج ۲، ص ۱۹.

۳- أنساب الأشراف: ج ۲، ص ۱۳.

رماحهم و خیولهم، و أریقت علیه دماؤهم، فیمن اعتامک (اختارک) من أعراب قومک.. لئن کان ذلک حقا، لتجدنّ بک علیّ هوانا، و لتخفن عندی میزانا. فلا تستهن بحق ربک، و لا تصلح دنیاک بمحق آخرتک، فتکون من الأخسرین أعمالا».

ألا و إن حق من قبلک و قبلنا من المسلمین فی قسمه هذا الفیء سواء، یردّون عندی علیه و یصدرون عنه(۱).

و کتب لعامل غیره: «أمّا بعد، فقد بلغنی عنک أمر إن کنت فعلته فقد أسخطت ربک، و عصیت إمامک و أخزیت أمانتک بلغنی أنّک جرّدت الأرض، فأخذت ما تحت قدمیک، و أکلت ما تحت یدیک، فارفع إلیّ حسابک و اعلم أن حساب اللّه أعظم من حساب الناس و السّلام»(۲).

و کتب لجمیع عماله علی أهل البلاد المفتوحه (أهل البلاد المفتوحه هم الموالی): «انظروا فی حال تشتتهم و تفرّقهم، لیالی کانت الملوک و الأکاسره و الأباطره أربابا لهم فترکوهم عاله مساکین»(۳)!

و کتب إلی أحد عماله: «أترجو أن یعطیک اللّه أجر المتواضعین و أنت من المتکبرین؟!، أتطمع و أنت متمرّغ فی

۱- نهج البلاغه: الکتب، ص ۴۳.

۲- العقد الفرید: ج ۴، ص ۳۵۵.

۳- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۳۵.

النعيم، تستأثر فيه على الجار المسكين و الضعيف الفقير و الأرمله و اليتيم، أن يجب لك أجر الصالحين المتصدّقين؟ فماذا لو أكلت طعامك مره و أطعمت الفقير الجائع مره؟! إنما المرء يجزى بما أسلف، و السّلام»(۱).

و كتب إلى آخر: «أمّا بعد فلا يكن حظّك فى ولايتک مالا تستفيده، و لا غيظا تشتفيه، و لكن إماته باطل و إحياء حقّ»(۲).

***

إن الإمام كان يهتم بالنظام، و بأدواته، و منها الجيش، و لكن ليس على حساب الناس، فكان يوصى الجيش بالناس خيرا، و يطلب من الناس مجازاه من يسىء إليهم من الجيش..

لقد سيّر جيشا إلى أحد المناطق، و كتب إلى أمراء بلاده التى سيمرّ بها الجند كتابا كان قد تعوّد أن يرسله كلّما سيّر جندا: «من عبد اللّه علىّ أمير المؤمنين إلى من مرّ به الجيش من جباه الضرائب و عمّال البلاد: أما بعد، فإنى سيّرت جنودا هى مارّه بكم إن شاء اللّه، و قد أوصيتهم بما يجب عليهم من كفّ الأذى، و صرف الشذى (الشر). و أنا أبرأ إليكم و إلى ذمّتكم من معره (أذى) الجيش إلّا من جوعه المضطرّ الذى لا

۱- أنساب الأشراف: ج ۲، ص ۱۶۹.
۲- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۸.

يجد عنها مذهبا إلى شبعه فنكلوا (عاقبوا) من تناول منهم شيئا ظلما عن ظلمهم، و كفّوا أيدى سفهائكم عن مضارتهم و التعرّض لهم فيما استثنيناه منهم،.. و أنا بين أظهر الجيش فارفعوا إلىّ مظالمكم، و ما عراكم مما يغلبكم أمرهم، و ما لا تطيقون دفعه إلاّ باللّه، و بى، فأنا أغيّره بمعونه اللّه، إن شاء اللّه(۱).

و هكذا كان الإمام حريصا على حمايه حقوق كل فرد من أفراد الرعيه، و على ضبط الأمور، و لكنه كان لحقوق الناس أكثر حرصا من حقوق العمال و الولاه، و أفراد الجيش، فقد بيّن للناس الحدود التى رسمها للجيش حتى لا يتعدّوه، و سمح لهم التنكيل بأفراد الجيش الّذين قد يخالفون أوامره بحقّهم، و لم يكشف بذلك بل طالبهم بأن يكتبوا إليه مظالمهم و ما قد يغلبون عليه، و وعدهم بأن يقف إلى جانبهم، و يغيّر ما يجب تغييره من أمر الجيش إذا تعرّضوا للناس بظلم.

و لقد بلغ من حرصه على الناس، أنه عزل قاضيه أبا الأسود الدؤلى مع علمه و عدالته و فضله، و علله بأنه يعلو صوته صوت الخصمين، فإنه لما عزل أبا الأسود جاءه، و قال يا أمير المؤمنين: لم عزلتنى و ما خنت و ما جنيت.

۱- كتاب صفين: لنصر بن مزاحم، ص ۱۲۵.

فقال علیه السّلام: «نعم ما خنت و ما جنیت، و لکن صوتک یعلو صوت الخصمین»(۱).

و کان علیه السّلام ربّما یؤلّب العلماء علی الأمراء الّذین یظلمون الناس. فقد روی أنه «جاءه بعض الموالی من أهل الکوفه یشکون الولاه و أعوانهم، فقال لهم: «و أین علماؤکم؟! لقد أخذ اللّه علی العلماء ألاّ یقرّوا ظالما و لا یسکتوا عن مظلوم»(۲)...

۱- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۳۲.

۲- علی إمام المتّقین: ج ۲، ص ۳۲.

مواجهه المتكبرين بالحزم

يولـد الطاغوت، كما يولـد غيره، على الفطره، و لكنه يتمرّد عليها فيما بعـد حينما يسـلك الطريق الحرام، و لا يجـد من يقف فى وجهه، و يثنيه عن طغيانه.

و إذا كـانت «كل نفس أضـمرت ما أضـمر فرعون»(١) ، كمـا يقول الحـديث الشـريف فـإن إمكانيه أن يتحوّل أى شـخص إلى طـاغوت، أمر وارد و طبيعى، إذا توفّرت له الظروف الموضوعيه.. إنمـا ضـمانه منع الطغيان هى فى مواجهه المجتمع و المسؤولين فيه من أهل الحل و العقد، لكلّ من تسوّل له نفسه ذلك، قبل أن يستفحل أمره، و يحصل على الأزلام و الجلاوزه..

و بدايه الطغيان هو الكبر.. و الاعتزاز بالنفس.. و تحقير الآخرين، ف «الكبر أن تغمص الناس، و تسفه الحق»(٢) و هو

ص:١٩٠

١- راجع كتب الحديث.

٢- بحار الأنوار: ج ٧٣، ص ٢١٧.

يظهر فی البوادر الأولی علی الشخص کطریقه مشیه، أو کلامه مع الناس، و تعامله مع العامه. فقد مرّ رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علی جماعه فقال: «علی م اجتمعتم؟ فقالوا: یا رسول اللّه هذا مجنون یصرع، فاجتمعنا علیه.

فقال صلّی اللّه علیه و آله و سلّم: «لیس هذا بمجنون و لکنه المبتلی» و أضاف:

«ألا أخبرکم بالمجنون حق الجنون؟» قالوا: بلی یا رسول اللّه! فقال: «المتبختر فی مشیه، الناظر فی عطفیه، المحرّک بمنکبیه، یتمنّی علی اللّه جنّته و هو یعصیه، الذی لا یؤمن شرّه، و لا یرجی خیره، فذلک المجنون، و هذا المبتلی»(۱).

فمن تبختر فی مشیه و نظر فی عطفیه، و حرّک منکبیه، فهو متکبّر لا بدّ من الحذر منه.. و الاجتماع ضده و الابتعاد عنه..

ف «إیاکم و الکبر، فإن الکبر یکون فی الرجل و أن علیه العباءه» (۲)(سائر) فلا بدّ من کشفه فی مراحله الأولی، و منع تفاقمه، لأن «الکبر رأس الطغیان، و معصیه الرحمن»(۳).

لقد کان الإمام یرفض مهادنه الطغاه، و التغاضی عن المتکبرین، مهما کلّفه من أمر، فکم کان فی غنی عن

۱- بحار الأنوار: ج ۷۳، ج ۲۳۳.

۲- کنز العمّال: خ ۷۷۳۵.

۳- غرر الحکم و درر الکلم.

المشاكل، و الحروب التى خاضها لو قبل السكوت عن المتكبرين، و التغاضى عنهم..

و لقد دخل عليه المغيره، بعد مبايعته بالخلافه. فقال له:

يـا أمير المؤمنين إن لک عنـدى نصـيحه. قال: «و ما هى»؟ فقال: «إن أردت أن يسـتقيم لک الأمر فاسـتعمل طلحه على الكوفه، و الزبير على البصـره، و ابعث لمعـاويه بعهـده على الشـام حـتى تلزمه طاعتـک، فـإذا اسـتقرّت لـک الخلافـه فـادرأهم كيف شـئت برأيک».

فقال على: «أما طلحه و الزبير فسأرى رأيى فيهما، و أما معاويه فلا يرانى اللّه مسـتعملا له و لا مستعينا به ما دام على حاله، و لكنى أدعوه إلى الدخول فيما دخل فيه المسلمون، فإن أبى حاكمته إلى اللّه تعالى».

فانصـرف المغيره عن الإمام مغضـبا لما لم يقبل منه النصـيحه. ثم أصبح فجاءه قائلا: «يا أمير المؤمنين، نظرت فيما قلت بالأمس و ما جاوبتنى به، فوجدت أنک قد وفّقت للخير و طلبت الحق».

و انصـرف فلقيه الحسن بن على عليه السّـلام و هو خـارج، فسأل أباه عمّا قال المغيره، قال على: «أتانى أمس بكـذا، و أتانى اليوم بكذا».

قال الحسن: «نصحک و اللّه أمس، و خدعک اليوم».

ص:۱۹۲

فقال له على: «إن أقررت معاويه على ما فى يده كنت متّخذ المضلّين عضدا، و لا يرانى اللّه كذلك أبدا».

و قال المغيره فى ذلك:

نصحت عليّا فى ابن هند نصيحه فردّت فلا يسمع لها الدهر ثانيه

و قلت له: أرسل إليه بعهده على الشام حتى يستقيم معاويه

و يعلم أهل الشام أن قد ملكته فأم ابن هند بعد ذلك هاويه

و تحكم فيه ما تريد فإنه لداهيه - فارفق به - و ابن داهيه

فلم يقبل النصح الذى جئته به و كانت له تلك النصيحه كافيه

***

و قال له عبد اللّه بن العباس رضى اللّه عنه: «يا أمير المؤمنين أنا أشير عليك أن تثبّت معاويه وحده فإن فيه جرأه، فإن بايع لك فعلىّ أن أقلعه من منزله».

فقال على: «و اللّه لا أعطيه إلاّ السيف» ثم تمثّل بقول الأعشى:

و ما ميته إن مهّا غير عاجز بعار إذا ما غالت النفس غولها

فقال عبد اللّه بن عباس: «يا أمير المؤمنين أنت رجل شجاع: أما و اللّه لئن أطعتنى لأصدرنّهم بعد ورد، و لأتركنّهم ينظرون فى دبر الأمور لا يعرفون ما كان وجهها، فى غير نقصان عليك و لا إثم لك».

و لكن الإمام رفض أن يكيد كما يكيد معاويه.

فلما رآه ابن عباس سيعالج المكر بشجاعه الصراحه و نبالتها، و لن يردّ على الكيد بالكيد قال له: «أطعنى، و الحق بمالك بينبع، و اغلق بابك عليك، فإن العرب تجول جوله تضطرب و لا تجد غيرك. فإنك و اللّه لئن نهضت مع هؤلاء اليوم ليحملنّك الناس دم عثمان غدا»!.

قال الإمام: «تشير علىّ و أرى. فإذا عصيتك فأطعنى».

قال: «افعل، إن أيسر ما لك عند الطاعه».

فقال الإمام: «تسير إلى الشام فقد ولّيتها».

فقال ابن عباس: «ما هذا برأى، معاويه رجل من بنى أميه، و هو ابن عم عثمان و عامله، و لست آمن أن يضرب عنقى بعثمان. و إن أدنى ما هو صانع أن يحبسنى فيتحكّم علىّ لقرابتى منك. إن كل ما حمل عليك حمل علىّ، و لكن اكتب إلى معاويه فمنّه وعده».

ص:۱۹۴

فقال الإمام: «لا و اللّه لا كان هذا أبدا».

و عزل أمير المؤمنين عمّال عثمان.. لم يثبّت منهم غير أبى موسى الأشعرى على الكوفه.. فولّى على البصره عثمان بن حنيف الأنصارى، و أخاه سهل بن حنيف الأنصارى على الشام. و قيس بن سعد بن عباده الأنصارى على مصر..

و فرح الأنصار بهذا الاختيار..

و بعث عبيد اللّه بن العباس أخا عبد اللّه بن العباس إلى اليمن..

فأما عامل عثمان على البصره و هو ابن خاله عبد اللّه بن عامر فقد أخذ ما فى بيت المال و فرّ به إلى مكه حيث كان بنو أميه الّذين فرّوا من المدينه ينتظرون!

و وافاهم عامل عثمان على اليمن أبو يعلى بن أميه و معه ما نهبه من بيت المال، و هو مال كثير و نحو ستمائه بعير، و توافى عليهم فى مكه من خلعهم علىّ من عمال عثمان. كلّ منهم بما نهبه من بيت مال ولايته!!

و أرسل أبو موسى الأشعرى بيعه أهل الكوفه، كما أرسل قيس بن سعد بن عباده بيعه أهل مصر، إلاّ قليلا لزموا قريه فى إقليم البحيره اسمها خربتّا و اعتزلوا فيها.. فتركهم قيس آمنين..

أما سهل بن حنيف الذى ولّاه الإمام على الشام فقد لقيه

جماعه من فرسان الشام بتبوک بین وادی القری و الشام، فهددوه بالقتل إن هو دخل الشام، و ردّوه إلی المدینه.

فلما عاد إلی المدینه دعا علیّ کبار الصحابه و فیهم طلحه و الزبیر فقال: «إن الأمر الذی کنت أحذّرکم منه قد وقع..

و إنها فتنه کالنار، کلما سعّرت ازدادت اضطراما و استثارت» فقال طلحه و الزبیر: «ائذن لنا نخرج من المدینه، فأما أن نکاثر و إما أن تدعنا». فقال: «سأمسک الأمر ما استمسک، فإذا لم أجد بدّا فآخر الدواء الکیّ»(۱).

إن مواجهه المتکبرین، واجب شرعی مهما کلّف الأمر، لأن المواجهه وحدها هی التی تنفع معهم، و هی وحدها تمنع المجتمع من نموّ الطغیان فیه.

و فی ذلک یجب أن لا نهادن، و لا تأخذنا لومه لائم.

یقول الإمام علی علیه السّلام: «و لعمری، ما علیّ من قتال من خالف الحق، و خابط الغی من ادهان، و لا إیهان، فاتقوا اللّه عباد اللّه، و فرّوا إلی اللّه من اللّه، و امضوا فی الذی نهجه لکم، و قوموا بما عصبه لکم، فعلیّ ضامن لفلجکم آجلا، إن لم تمنحوه عاجلا»(۲).

ص:۱۹۶

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۴۰-۲۴۳.
۲- النهایه: ج ۳، ص ۲۴۴.

الاحتياط فى إراقه الدماء

إراقه الـدماء، من عـاده الطغـاه، لاـ من شـيمه المصـلحين فى الحياه. ذلک أن المصـلح يريـد الناس أحياء ليقوم بإصـلاحهم، فإذا أماتهم فما يصلح حينئذ؟

أمّا الطغاه فملهاتهم القتل، و ديدنهم الفساد، و لذتهم التنكيل.. و لربّما يعتبرون ذلک وسيله لتقويه سلطانهم.

غير أن للحياه البشـريه قدسيّتها التى لا تدانيها قدسيه أخرى، فقد خلق اللّه الأرض، و الشمس، و القمر للإنسان فهو أغلى من هذه جميعا، و لذلک فلا يجوز سفک دمه، و التوسّل بقتله من غير أن يكون ذلک فى مصلحه الحياه نفسها..

يقول ربّنـا: مِنْ أَجْـلِ ذلِـکَ کَتَبْنا عَلى بَنِی إِسْـرائِيلَ أَنَّهُ مَنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسادٍ فِی الْأَرْضِ فَکَأَنَّما قَتَلَ النّاسَ جَمِيعاً وَ مَنْ أَحْياها فَکَأَنَّما أَحْيَا النّاسَ جَمِيعاً (۱).

ص:۱۹۷

۱- سوره المائده، الآيه: ۳۲.

و لقد عيّر اللّه بنى إسرائيل لأنهم كانوا يسفكون الدماء، بعد أن كان قد أخذ منهم المواثيق أن لا يفعلوا ذلك فقال سبحانه:

وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَكُمْ لا تَسْفِكُونَ دِماءَكُمْ وَ لا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَ أَنْتُمْ تَشْهَدُونَ (۸۴) ثُمَّ أَنْتُمْ هؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَ تُخْرِجُونَ فَرِيقاً مِنْكُمْ مِنْ دِيارِهِمْ تَظاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالْإِثْمِ وَ الْعُدْوانِ وَ إِنْ يَأْتُوكُمْ أُسارى تُفادُوهُمْ وَ هُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْراجُهُمْ أَ فَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتابِ وَ تَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ (۱).

و لا شک أنّ من یتجرأ علی قتل الناس، هو طاغ زنیم ذلک أن: «أعتی الناس من قتل غیر قاتله، أو ضرب غیر ضاربه»(۲).

إن القتل لأمر عظيم عند اللّه، «فلو أن السماء و الأرض اجتمعوا على قتل رجل مسلم لعذبهم اللّه بلا عدد و لا حساب»(۳) ، بل إن «من أعان على قتل مؤمن بشطر كلمه، لقى اللّه يوم القيامه مكتوبا بين عينيه: آيس من رحمه اللّه»(۴). حتى «إن الرجل ليدفع عن باب الجنّه أن ينظر إليها بمحجمه من دم

ص:۱۹۸

۱- سوره البقره، الآيتان: ۸۴-۸۵.

۲- الأمالی: للمفید، ص ۱۲۶.

۳- کنز العمال: خ ۳۹۹۵۲.

۴- میزان الحکمه: ج ۸، ص ۴۱.

يريقه من مسلم بغير حق»(۱) ، و هكذا فإن «زوال الدنيا أهون على اللّه من دم يسفك بغير حق»(۲).

و قد أوحى اللّه إلى موسى بن عمران: «أن يا موسى.. قل للملأ من بنى إسرائيل: إياكم و قتل النفس الحرام بغير حق، فإن من قتل منكم نفسا فى الدنيا، قتلته مائه ألف قتله مثل قتل صاحبه»(۳).

من هنا كان من وصايا أمير المؤمنين عليه السّلام للناس أن: «من استطاع منكم أن يلقى اللّه تعالى و هو نقىّ الراحه من دماء المسلمين و أموالهم، سليم اللسان من أعراضهم، فليفعل(۴).

و لربما يظن البعض أن عليّا الذى دخل الحرب و لمّا يبلغ العشرين، و استمر يخوض المعارك، حتى ذرف على السبعين كانت الدماء بالنسبه إليه سهله، و سفكها أمرا عاديا، غير أن قليلا من التدقيق يكشف عن ورع شديد عند الإمام فى سفك الدماء.. فهو الذى كاد أن يخسر معارك عديده لأنه رفض أن يبدأ مناوئيه بقتال..

ففى معركه الجمل مثلا ناشد الإمام كلّا من عائشه و طلحه

ص:۱۹۹

۱- كنز العمّال: خ ۳۹۹۲۱.
۲- الترغيب و الترهيب: ج ۳، ص ۳۹۶.
۳- الوسائل: ج ۱۹، ص ۶.
۴- نهج البلاغه: الخطب، ص ۱۷۶.

و الزبير أكثر من مره أن يحقنوا الـدماء، بالرغم من أنهم بـدأوا ذلك، و كانت دعوته إلى حقن الدماء قد تكررت «حتى أوشـك أصحابه أن يسأموا، و حتى خشوا أن يظن عدوّهم بهم الضعف»(۱).

و عـاد يكرر: «لاـ تبـدأوا أنتم بالقتـال! لاـ ترموا بسـهم، و لا تطعنوا برمـح، و لا تضـربوا بسـيف، و اعـذروا». و امتثل أصـحابه لما يسمعون.

لكم يشقّ على الإمام أن يرى مسلما يرفع السيف فى وجه أخيه، أو عربيا يقتل عربيا!!.. كل هذا بشع و آثم وزرى!! و سيفتح باب الخلاـف بين المسـلمين، و تـأتى عصور كقطع الليـل المظلمه.. ظلمـات من فوقهـا ظلمات، فإذا الواحـد منهم يشـرب دم أخيه، و يقتات بأشـلائه، و إذا الإنسان الـذى شـرّفه اللّه، و خلقه على صورته، و جعله خليفته فى الأرض، قـد أصـبح إمّا وحشا مفترسا، أو فريسه ممزقه!!

***

و أوشك بعض أصحاب عائشه أن يلقوا السلاح، و إذ بسهم يقتل أحد أصحاب على.. فيقول الإمام: «اللّهمّ

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۷۶.

فاشهد!.. لا ترموا بسهم و لا تطعنوا برمح و لا تضربوا بسيف.. و اعذروا»(۱).

و يقتل من أصحاب الإمام رجل ثان و ثالث، و الإمام يصبر و يصابر و يحتسب و يقول لأصحابه: «اعذروا إلى القوم».

و يكلف أحد فتيانه بأن يرفع القرآن الكريم و يدعو أصحاب عائشه إلى كتاب اللّه، فتنهال السهام على الفتى، و يسقط صريعا يخضب دمه كتاب اللّه.

و تتوالى السهام، فيقول محمد بن أبى بكر: «إلى متى نعذر يا أمير المؤمنين؟! لقد و اللّه أعذرنا و أعذرت، و إنهم ليرموننا بالسهام، و يقتلوننا رجلا رجلا، و اللّه لتأذنن لنا فى لقاء القوم أو لتنصرفنّ قبل أن تقتلنا سهامهم و نحن ننظر»!.

و نظر الإمام فوجد السهام تنهمر على أصحابه، فأعطى الرايه ابنه محمد ابن الحنفيه، و أذن بالقتال، و اندفع إلى الأعداء صائحا فى رجاله: «تقدّموا»...

***

و بالرغم من أن معركه الجمل كانت معركه شرسه، و غير سهله فإن الإمام كان يؤثر انسحاب المقاتلين من أصحابه على

۱- المصدر السابق: ص ۲۷۷.

تزايد عددهم و الذى كان يؤدّى بلا شك إلى زياده إراقه الدماء من كلا الطرفين..

و قد روى أن «المغيره» قال للإمام:

«اختر منى واحده من اثنتين: إما أن أقاتل معك بأربعه آلاف رجل، و إما أن أكفّ عنك عشره آلاف سيف».

فقال الإمام: «اكفف عنا عشره آلاف سيف».

فنادى المغيره حلفاءه من معسكر عائشه، و قومه من جيش على، فلم يبق أحد إلّا أجابه، و اعتزل بهم، فلما انتهى القتال، بايعوا كلهم عليّا..(۱).

و فى معركه صفّين استبطأ أصحابه إذنه لهم فى القتال، حتى أن بعضهم اتهمه عليه السّلام بأنه يخشى الموت.. فقال لهم:

«أمّا قولكم: أكل ذلك كراهيه للموت؟ فو اللّه ما أبالى دخلت إلى الموت، أو خرج الموت إلىّ، و أمّا قولكم شكّا فى أهل الشام فو اللّه ما دفعت الحرب يوما إلّا و أنا أطمع أن تلحق بى طائفه فتهتدى بى، و تعشو إلى ضوئى، و ذلك أحبّ إلىّ من أن أقتلها على ضلالها، و إن كانت تبوء بآثامها(۲).

فهو إذن مصلح يريد هدايه الناس، حتى الأعداء، و لا

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۷۶.

۲- نهج البلاغه: الخطب، ص ۵۵.

يريد قتلهم، و إن كانوا يستحقون ذلك.. «و لقد أجمع الرواه و المؤرخون أن عليا كان يأنف القتال إلّا إذا حمل عليه، فكان يسعى أن يسوّى الأمور مع أخصامه و من يبادره بالعداوه على وجوه سليمه تحقن الدم و تحول دون النزال»(۱).

نعم حينما تقع الواقعه، و يحاول أهل الشر أن يهلكوا الحرث و النسل، فإن الإمام كان يقاتلهم من غير هواده، و هذا هو القصاص العادل بحق الّذين يحاربون اللّه و رسوله و يسعون فى الأرض فسادا.

فالسيف هو جواب السيف.

و القتل هو جزاء القتل.

و لكن إراقه الدماء أمر آخر.. فالقتال لأجل مبادىء العدل، و الحق، و الحريه، و استتباب الأمن يختلف عن القتل لأجل تقويه السلطه مثلا، و لذلک فإن الإمام كان يوصى ولاته بالتورّع عن إراقه الدماء فيقول لمالک الأشتر، حين ولّاه مصر:

«إياک و الدماء و سفكها بغير حلّها، فإنه ليس شىء أدنى لنقمه، و لا أعظم تبعه، و لا أحرى بزوال نعمه، و انقطاع مدّه من سفک الدماء بغير حقها، و اللّه سبحانه مبتدىء بالحكم بين العباد، فيما تسافكوا من الدماء يوم القيامه، فلا تقوّين سلطانک

۱- على و حقوق الإنسان: ص ۸۲.

بسفک دم حرام، فإن ذلک ممّا یضعفه و یوهنه، بل یزیله و ینقله، و لا عذر لک عند اللّه و لا عندی فی قتل العمد، لأن فیه قود البدن، و إن ابتلیت بخطأ و أفرط علیک سوطک، أو سیفک أو یدک بالعقوبه، فإنّ فی الوکزه فما فوقها مقتله فلا تطمحنّ بک نخوه سلطانک عن أن تؤدّی إلی أولیاء المقتول حقهم»(۱).

فلم یکتف الإمام بنصیحه والیه حول إراقه الدماء، و مواعظته فی ذلک و تذکیره بیوم الحساب، بل و أعلمه أن سفک الدماء یوهن السلطان، و یأتی بعکس النتائج التی قد یرجوها الحاکمون من ذلک، ثم هدّده بأنه لا عذر له، إن قتل نفسا عن عمد، و سیقتصّ منه بلا مبالاه لوجاهته و مقامه «لأن فیه القود» و القصاص، و ذکّره بأنّ فی قتل الخطأ أیضا الدیّه التی یجب أن یعطیها لأهل المقتول مع الاعتذار إلیهم و الاعتراف بخطئه..

لقد کان الإمام یری: «أن لکل دم ثائرا(۲) ، و أن هذا الثأر سوف یؤخذ به إن عاجلا أو آجلا، فلا یجوز الشرع فی إراقه الدم».

و حتی مع الأعداء، إذا لم تکن هنالک الضروره القصوی فلم یکن الإمام یریق دماءهم. و قد روی عن یزید بن بلال، قال: «شهدت مع علیّ علیه السّلام «صفّین» فکان إذا أتی له بالأسیر

۱- نهج البلاغه: الکتب، ص ۵۳.

۲- المصدر السابق: الخطب، ص ۱۰۵

قال: «لن أقتلك صبرا، إنى أخاف اللّه ربّ العالمين» و كان يأخذ سلاحه و يحلّفه أن لا يقاتله، و يعطيه أربعه دراهم»(۱).

و طلب علیه السّلام من أصحابه بصفّين، أن يطلبوا من اللّه حقن دماء الطرفين بقولهم: «اللّهمّ احقن دماءنا و دماءهم»(۲).

و أوصى أقرباءه و أصحابه، أن لا يسفكوا الدماء باسم الثأر من أجله، و ذلك بعد أن ضربه ابن ملجم.. و قال:

«يا بنى عبد المطّلب.. لا ألفيّنكم تخوضون دماء المسلمين خوضا، تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بى إلّا قاتلى»(۳). و حسب ما ذكره بعض المحققين فإن الإمام لم يقتل من الّذين هم فى بلاده الواسعه، الّذين أجرموا أكثر من مائه شخص فى مده حكمه البالغ زهاء خمس سنوات (باستثناء الّذين قتلوا فى معاركه الثلاثه)(۴).

و كان علیه السّلام يقول لولده الحسن علیه السّلام: «لا تدعون إلى مبارزه، فإن دعيت إليها فأجب، فإن الداعى إليها باغ و الباغى مصروع»(۵).

۱- كنز العمال: خ ۳۱۷۰۳.

۲- نهج البلاغه: الخطب، ص ۲۰۶.

۳- المصدر السابق: الكتب، ص ۴۷.

۴- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۵۰.

۵- نهج البلاغه: الحكم، ص ۲۳۳.

إنصاف العدو

تظهر أخلاق الرجال الحقيقيه فى التعامل مع العدوّ، أكثر مما تظهر فى التعامل مع الصديق. إذ من الطبيعى أن يتعامل المرء مع أصدقائه بالعدل و الإنصاف. و لكن ماذا عن الأعداء؟

كثيرون هم الّذين يسمحون لأنفسهم، فى التعامل مع العدوّ، ما لا يسمحون لها فى التعامل مع الصديق، فكأن الأمر حينما يتعلّق بالمناوئين يجوز فيه ما لا يجوز فى غيره، من التنكيل، و البطش، و الافتراء، و الدسّ، و الوقيعه، و الفتك. و الغدر..

بينما «أعدل الناس من أنصف من ظلمه»(۱) ، كما أن «أجور الناس من ظلم من أنصفه»(۲).

فالالتزام بقواعد السلوك الإنسانى، إنما تكون له قيمته،

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- المصدر السابق.

إذا كان نابعا من القدره على تجاهلها، لا من الضعف، و الاضطرار إلى ذلك.. من هنا فإن «أعدل الناس من أنصف عن قوّه»(۱) ، ذلك أنّ «أعدى عدوّ للمرء غضبه و شهوته فمن ملكهما علت درجته، و بلغ غايته»(۲).

فالذى يملك غضبه مع عدوّه، و يتجاوز هواه فيه، و لا يظلم من له هوى فى ظلمه، هو صاحب الخلق الرفيع حقا..

أما من يصبّ غضبه على من يعاديه، و لا يرعى فيه إلّا و لا ذمّه، فلا يمكن اعتباره من الملتزمين بالأخلاق، لأنه ينطلق حينئذ من الحقد، أو الغضب و كلاهما من الأخلاق الذميمه..

إن أصحاب الرسالات يختلفون عن غيرهم، فى أنّهم ينظرون إلى العدوّ باعتباره من يجب إصلاحه، و لذلك فإن لمعاداتهم حدودا، و لقتالهم حدودا و هم يرغبون فى الدرجه الأولى إصلاح العدوّ لا القضاء عليه.

يقول الإمام على عليه السّلام: «الاستصلاح للأعداء بحسن المقال، و جميل الأفعال، أهون من ملاقاتهم و مغالبتهم بمضيض القتال»(۳).

۱- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۸۸.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- المصدر السابق.

و علی کل حال فإنّ أهمّ ما یجب التمتّع به هو العدل مع العدوّ، و عدم الانجرار وراء الغضب، فی مواجهته..

یقول الإمام فی وصیه له إلی ولده الحسن علیه السّلام: «أوصیک بتقوی اللّه فی الغنی و الفقر.. و بالعدل علی الصدیق و العدوّ»(۱).

و فی وصیه أخری یقول: «أوصیک یا بنی بالصلاه عند وقتها.. و العدل فی الرضی و الغضب»(۲).

و نعم کلام اللّه الذی یقول: وَ لا یَجْرِمَنَّکُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلی أَلاّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوی (۳).

فلو افترضنا أن العدوّ لا یلتزم بأصول العدل، فإنّ علینا أن نلتزم بها حیث إن ذلک جزء من احترامنا لقیمنا و تعالیم دیننا. فلا تجاوز للعدل حتی مع العدوّ، و لا تنازل عن الأخلاق حتی فی مواجهه من یدوس علیها ف «کفی بنصر اللّه لک، أن تری عدوّک یعمل بمعاصی اللّه فیک»(۴).

***

لقد أوصی النبی صلّی اللّه علیه و آله و سلّم علیّا ذات مره فقال:

۱- بحار الأنوار: ج ۷۷، ص ۲۳۶.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۲، ص ۲۰۳.

۳- سوره المائده، الآیه: ۸.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۱۳۶.

ينبغى للمؤمن أن تكون فيه ستّ خصال:

«وقور عند الهزاهز».

«صبور عند البلاء».

«شكور عند الرخاء».

«لا يتحامل على الأصدقاء».

«و لا يظلم الأعداء».

«الناس منه فى راحه».

«و بدنه منه فى تعب».

فكانت هذه الوصيّه، منهج الإمام فى الحياه، فلم يتزلزل فى مواجهه العدو، و لا تزعزع عند البلاء، و لم ينس الشكر عند الرخاء، و لا تحامل على صديق، و لم يظلم عدوّا. و كان بدنه منه فى تعب لزهده و تقواه، و شدّه تتمرّه فى ذات اللّه، و الناس كانوا منه فى راحه لعدله و إنصافه.

و قد وضع الإمام، بكلامه و مواقفه أصول التعامل مع العدوّ، و ذلك فى النقاط التاليه:

أولا - لا مواجهه مع العدوّ إلّا بعد إتمام الحجّه عليه لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَهٍ وَ يَحْيى مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَهٍ (١).

ففى كل مواجهه بينه و بين عدوّه، كان يدعوه إلى الحق،

١- سوره الأنفال، الآيه: ۴۲.

و يطلب منه الأوبه إلى الرشد، ابتداء من عمرو بن ودّ العامرى، و انتهاء بمعاويه بن أبى سفيان.. و مرورا بطلحه و الزبير و عائشه و عمرو بن العاص، و غيرهم من مناوئيه و أعدائه..

فلقد دعا، قبيل معركه الجمل كلاّ ـ من طلحه و الزبير، لكى يناقشهما، و يتمّ الحجّه عليهما، فخرج الزبير على فرسه فى عدّه الحرب، فقال الإمام: «أما إنه لأحرى الرجلين إن ذكّر باللّه أن يذّكر»!.

و خرج طلحه، فخرج إليهما على، فدنا منهما فقال:

«لعمرى لقد أعددتما سلاحا و خيلا و رجالا!! لا تكونا كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَها مِنْ بَعْدِ قُوَّهٍ أَنْكاثاً (۱)! ألم أكن أخاكما فى دينكما تحرّمان دمى و أحرّم دماءكما: فهل من حدث أحل دمى»؟!. فقال طلحه: «الانتظار على دم عثمان».

فدهمت المراره قلب الإمام.. أهو طلحه الذى يقول هذا أمام الناس، و ما من أحد يجهل أنه قد حرّض على قتل عثمان؟!..

قال الإمام و وجهه تغشاه ابتسامه ساخره مشفقه: «يا طلحه! أهو أنت من يطلب دم عثمان؟! فلعن اللّه قتله عثمان!

۱- سوره النحل، الآيه: ۹۲.

يا طلحه، أتيت بامرأه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم تقاتل بها، و خبّأت امرأتک فی البیت!».

و أضاف: «إنکما ممن أرادنی و بایعنی، فإن کنتما بایعتمانی طائعین فارجعا و توبا إلی اللّه من قریب، و إن کنتما بایعتمانی کارهین، فقد جعلتما لی علیکما السبیل، بإظهارکما الطاعه، و إسرارکما المعصیه».

«و لعمری ما کنتما بأحق المهاجرین بالتقیه و الکتمان، و إن دفعکما هذا الأمر من قبل أن تدخلا فیه کان أوسع علیکما، من خروجکما منه، بعد إقرارکما به».

«و قد زعمتما أنی قتلت عثمان، فبینی و بینکما من تخلّف عنّی و عنکما من أهل المدینه، ثم یلزم کل امریء بقدر ما احتمل، فارجعا أیها الشیخان عن رأیکما فإن الآن أعظم (ما یترتّب علی رجوعکما) العار، من قبل أن یجتمع العار و النار».

و قال لهما أیضا: «استحلفا عائشه بحق اللّه و بحق رسوله علی خصال أن تصدّق فیها: هل تعلم رجلا من قریش أولی منی باللّه و رسوله؟ و إسلامی قبل کافّه الناس أجمعین؟ و کفایتی رسول اللّه کفار العرب بسیفی و رمحی، و علی براءتی من دم

عثمان، و على أنى لم أستكره أحدا على بيعه، و على أنّى لم أكن أحسن قولا فى عثمان منكما»(۱).

إن الحجّه الوحيده التى التجأ إليها مناوئو الإمام لتبرير تمرّدهم عليه كانت التهمه بالمشاركه، أو السكوت على مقتل عثمان، و كان الإمام فى ذلك الأبرأ منهم جميعا. و كانوا يعرفون هذا الأمر جيدا. غير أن الإمام لم يشأ أن يبقى لهم عذرا يوم القيامه، و لذلك ما فتئ يتبرأ من قتل عثمان، و يلقى عليهم الحجّه تلو الحجّه، ليكونوا على بيّنه من أمرهم، و تكون معذره للإمام عند اللّه يوم يلقاه.

يقول عليه السّلام فى رساله له إلى معاويه: «أما بعد.. فإن اللّه سبحانه قد جعل الدّنيا لما بعدها، و ابتلى فيها أهلها، ليعلم أيّهم أحسن عملا، و لسنا للدنيا خلقنا، و لا بالسعى فيها أمرنا، و إنّما وضعنا فيها لنبتلى بها. و قد ابتلانى اللّه بك، و ابتلاك بى، فجعل أحدنا حجّه على الآخر، فعدوت على الدّنيا بتأويل القرآن، فطلبتنى بما لم تجن يدى و لا لسانى، و عصيته أنت و أهل الشام بى، و ألبّ عالمكم جاهلكم، و قائمكم قاعدكم. فاتّق اللّه فى نفسك، و نازع الشيطان قيّادك، و اصرف إلى الآخره وجهك، فهى طريقنا و طريقك.

۱- الإمامه و السياسه: ج ۱، ص ۷۰.

و احذر أن يصيبك اللّه منه بعاجل قارعه تمسّ الأصل، و تقطع الدابر»(۱).

و كما فعل مع طلحه و الزبير و معاويه فعل مع الخوارج، أتمّ الحجّه عليهم أكثر من مرّه، و كان مما قال لهم فى إحداها: «.. ألم تعلموا أنى نهيتكم عن الحكومه (التحكيم)، و أخبرتكم أن طلب القوم إياها منكم دهن و مكيده لكم، و نبّأتكم أن القوم ليسوا بأصحاب دين و لا قرآن، و أنى أعرف بهم منكم، عرفتهم أطفالا و رجالا، فهم أهل المكر و الغدر، و إنكم إن فارقتم رأيى جانبتم الحزم، فعصيتمونى، حتى أقررت بأن حكّمت، فلما فعلت شرطت و استوثقت، فأخذت على محكمين أن يحييا ما أحيا القرآن، و أن يميتا ما أمات القرآن، فاختلفا و خالفا حكم الكتاب و السّنّه، فنبذنا أمرهما، و نحن على أمرنا الأوّل. فما الذى بكم، و من أين أتيتم؟.

يا هؤلاء.. إن أنفسكم قد سوّلت لكم فراق هذه الحكومه التى أنتم ابتدأتموها، و سألتموها و أنا لها كاره، فأبيتم علىّ إباء المخالفين، و عدلتم عنّى عدول النكداء العاصين حتى صرفت رأيى إلى رأيكم.. فلم آت لا أبا لكم حراما، و اللّه ما خبلتكم عن أموركم، و لا أخفيت شيئا من هذا الأمر عنكم..

۱- الطراز: ج ۲، ص ۳۹۳.

فبيّنوا لنا بماذا تستحلّون قتالنا و الخروج عن جماعتنا، أن تضعوا أسيافكم على عواتقكم، ثم تستعرضون الناس تضربون رقابهم، و تسفكون دماءهم إن هذا لهو الخسران المبين»(۱).

و أضاف عليه السّلام: «فإن أبيتم إلّا أن تزعموا أنى أخطأت و ضللت، فلم تضلّلون عامّه أمه محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بضلالى، و تأخذونهم بخطئى، و تكفّرونهم بذنوبى، سيوفكم على عواتقكم تضعونها مواضع البرّ و السقم، و تخلطون من أذنب بمن لم يذنب، و قد علمتم أن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رجم الزانى المحصن، ثم صلّى عليه، ثم ورّثه أهله. و قتل صلّى اللّه عليه و آله و سلّم القاتل و ورّث ميراثه أهله. و قطع السارق و جلد الزانى غير المحصن، ثم قسّم عليهما من الفىء و نكحا المسلمات، فأخذهم رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بذنوبهم، و أقام حق اللّه فيهم، و لم يمنعهم سهمهم من الإسلام، و لم يخرج أسماءهم من بين أهله.. ثم أنتم شرار الناس، و من رمى به الشيطان مراميه، و ضرب به تيهه، و سيهلك فىّ صنفان: محبّ مفرط يذهب به الحب إلى غير الحق، و مبغض مفرط يذهب به البغض إلى غير الحق، و خير الناس فىّ حالا النّمط الأوسط فالزموه..»(۲).

۱- تاريخ الطبرى: ج ۵، ص ۸۵.

۲- معدن الجواهر: للكراجكى، ص ۲۲۶.

و هكـذا كان الإمام لا يقاتل أحـدا إلّا بعـد إتمام الحجّه عليه، و لم يكن يسـتخفّ بعدوّه من أن يكلّمه، و ينبذ إليه على سواء.. و قد قال عليه السّلام فى ذلك قولا صريحا، و بيّن طريقته بشكل لا لبس فيه، و ذلك حينما جاء رجل فقال: «يا أمير المؤمنين: فى أصحابك رجال قد خشيت أن يفارقوك فما ترى فيهم»؟.

فقـال عليه السّلام: «إنى لا آخـذ على التهمه، و لا أعاقب على الظنّ، و لا أقاتل إلّا من قاتلنى، و ناصـبنى و أظهر لى العـداوه، و لست مقـاتله حتى أدعوه، و أعـذر إليه، فـإن تـاب و رجع إلينا قبلنا منه، و هو أخونا، و إن أبى إلّا الاعتزام على حربنا اسـتعنا عليه اللّه، و ناجزناه»(۱).

***

ثانيا - ردّ التهديد بمثله، و قبول طلب الصلح بمثله أيضا.

فلا يجوز التنازل لتهديدات العدوّ، كما لا يجوز ردّ الصلح معه..

فلا ضعف أمام الأعداء، و لا تحامل عليهم.

أمّا عن قبول طلب الصـلح فيقول الإمام عليه السّلام فى عهده إلى مالك الأشتر: «و لا تدفعنّ صلحا دعاك إليه عدوّك، و للّه فيه رضا، فإن فى الصلح دعه لجنودك، و راحه من همومك، و أمنا

۱- الإمام القائد: ص ۱۹۱.

لبلادک، و لکنّ الحذر کل الحذر من عدوّک بعد صلحه، فإن العدوّ ربما قارب لیتغفّل»(۱).

و أما عن رد التهدید بمثله، فنجد نموذجا له فی الرساله التالیه التی أرسلها الإمام إلی معاویه، ردّا علی رساله یتهدّد فیها الإمام بالحرب..

«یا معاویه إن الدنیا مشغله عن غیرها، و لم یصب صاحبها منها شیئا إلاّ فتحت له حرصا علیها، و لن یستغنی صاحبها بما نال فیها عمّا لم یبلغه منها، و من وراء ذلک فراق ما جمع، و نقض ما أبرم! و لو اعتبرت بما مضی، حفظت ما بقی.

و أما تمییزک بین الشام و البصره و ذکرک طلحه و الزبیر رحمهما اللّه، فلعمری ما الأمر إلاّ واحد! و أما ولوعک بی فی أمر عثمان فو اللّه ما قلت ذلک عن حق العیان، و لا عن یقین الخبر. و أما فضلی فی الإسلام، و قرابتی من رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم، و شرفی فی قریش، فلعمری لو استطعت دفعه لدفعته!.

و أقسم باللّه أنه لو لا بعض الاستبقاء، لوصلت إلیک منی قوارع تقرع العظم و تهلس اللحم (أی تذیبه).

و اعلم أن الشیطان قد ثبطک عن أن تراجع أحسن أمورک، و تأذن لمقال نصیحتک. فکیف أنت صانع إذا انکشفت عنک

۱- نهج البلاغه: الکتب، ص ۵۳.

جلاليب ما أنت فيه من دنيا قد تبهّجت بزينتها، و خدعت بلذتها، و قادتک فاتبعتها، و أمرتک فأطعتها؟. خذ أهبّه الحساب، و شمّر لما نزل بک، و لا تمکّن الغواه من سمعک، فإنک مترف قد أخذ الشیطان منک مأخذه، و بلغ فیک أمله، و جری منک مجری الروح و الدم!..

و متی کنتم یا معاویه ساسه الرعیه، و ولاه أمر الأمه، بغیر قدم سابق، و لا شرف باسق. و نعوذ باللّه من لزوم سوابق الشقاء!؟ أحذرک أن تکون متمادیا فی غره الأمنیه، مختلف العلانیه و السریره.

و قد دعوت إلی الحرب فدع الناس جانبا، و اخرج إلیّ، و اعف الفریقین من القتال، لیعلم أیّنا المرین عن قلبه، المغطّی علی بصره، فأنا أبو حسن قاتل جدّک عتبه و خالک الولید و أخیک حنظله شدخا یوم بدر، و ذلک السیف معی، و بذلک القلب ألقی عدوی! ما استبدلت دنیا، و لا استحدثت نجیا، و إنی لعلی المنهاج الذی ترکتموه طائعین، و دخلتم فیه کارهین!

یا معاویه کان رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم إذا احمرّ البأس، و أحجم الناس، قدم أهل بیته، فوقی بهم أصحابه حرّ الأسنّه و السیوف فقتل ابن عمه عبیده بن الحارث یوم بدر، و قتل حمزه یوم

أحد، و قتل جعفر بن أبى طالب يوم مؤته، و أراد من شئت ذكرت اسمه مثل الّذين أرادوا من الشهاده، (يعنى نفسه) و لكن آجالهم عجلت، و منيتهم أجلت فيا عجبا للدهر إذ صرت يقرن بى من لم يسع بقدمى، و لم تكن له كسابقتى!

لقد خبأ الدهر لنا منك عجبا! فارجع إلى معرفه ما لا تعذر بجهالته، لقد ابتلانى اللّه بك، و ابتلاك اللّه بى، و أرى نفسك قد أولجتك شرا، و أقحمتك غيّا، و أوردتك المهالك، و أوعرت عليك المسالك، فاتّق اللّه فى نفسك، و نازع الشيطان قيادّك، و اصرف إلى الآخره وجهك، فهى طريقنا و طريقك، فانزع عن غيّك و شقاقك».

«أما إصرارك على أنه ليس لى و لأصحابى عندك إلّا السيف، فلقد أضحكت بعد استعبار! و متى ألفيت بنى عبد المطلب عن الأعداء ناكلين، و بالسيف مخوّفين!؟..

فسيطلبك من تطلب، و يقرب منك ما تستبعد.

و أنا مرقل (مسرع) نحوك فى جحفل من المهاجرين و الأنصار، و التابعين لهم بإحسان، شديد زحامهم، ساطع قتالهم، متسربلين سربال الموت، أحب اللقاء إليهم لقاء ربهم، قد صحبتهم ذريه بدريه، و سيوف هاشميه، قد عرفت مواقع نصالها فى أخيك و خالك و جدك و أهلك (و ما هى من

الظالمين ببعيد).. و السّلام لأهله. السّلام على من اتّبع الهدى»(۱).

إن الردّ على تهديدات العدوّ، لا تعنى ظلمه، بل هو العدل بعينه لأنّ العدل أساسا لا يتجزّأ، فإذا اعتدى أحد عليه، و بدأ يرعد و يزبد ليخوّف أهل الحق فلا بدّ من ردّه بالشكل المناسب له..

و لقد ردّ الإمام، فى رساله أخرى، تهديدات معاويه، بفضحه و فضح بنى أميّه فى الجاهليه و الإسلام.. فقال له فيها:

«.. إنك لذهّاب فى التيه، روّاغ عن القصد، ألا ترى - غير مخبر لك و لكن بنعمه اللّه أحدّث - إن قوما استشهدوا فى سبيل اللّه تعالى من المهاجرين و الأنصار، و لكلّ فضل حتى إذا استشهد شهيدنا قيل: «سيّد الشهداء» و خصّه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بسبعين تكبيره عند صلاته عليه، أو لا ترى أن قوما قطّعت أيديهم فى سبيل اللّه - و لكل فضل - حتى إذا فعل بواحدنا ما فعل بواحدهم قيل: «الطيّار فى الجنه ذو الجناحين»، و لو لا ما نهى اللّه عنه من تزكيه المرء نفسه، لذكر ذاكر فضائل جمّه، تعرفها قلوب المؤمنين، و لا تمجّها آذان السامعين، فدع عنك

۱- صبح الأعشى: ج ۱، ص ۲۲۹.

من مالت به الرّميه، فإنّا صنائع ربّنا، و الناس بعد صنائع لنا..

لم يمنعنا قديم عزّنا، و لا عادى طولنا على قومك أن خلطناكم بأنفسنا فنكحنا و أنكحنا فعل الأكفاء، و لستم هناك. و أنى يكون ذلك و منّا النبى، و منكم المكذّب! و منّا أسد اللّه و منكم أسد الأحلاف! و منّا سيدا شباب أهل الجنه، و منكم صبيه النار! و منّا خير نساء العالمين، و منكم حمّاله الحطب، فى كثير مما لنا عليكم..»(١).

«فإنى أولى (أحلف) لك باللّه إليه غير فاجره، لئن جمعتنى و إيّاك جوامع الأقدار لا أزال بباحتك حتى يحكم اللّه بيننا، و هو خير الحاكمين»(٢).

ثالثا - الالتزام بمبادىء الفروسيه، و أصول الأخلاق، فى القتال، و الصلح معا. أمّا فى القتال مع البغاه فقد أمر الإمام بما يلى:

١ - منع قتل الجرحى.

٢ - منع تعقيب الفارين.

٣ - منع الكشف عن العورات.

٤ - منع التمثيل بالقتلى.

١- نهايه الإرب: ج ٧، ص ٢٣٣.

٢- نهج البلاغه: الكتب، ۵۵.

۵ - منع هتک الأستار.

۶ - منع توزیع أموال الأعداء، إلّا ما کان فی معسکرهم.

۷ - اعتبار من یلقی سلاحه آمنا، و کذلک من یمتنع عن المشارکه فی القتال.

لقد خطب الإمام فی رجاله قبل معرکه الجمل، فقال: «یا أیها الناس إذا هزمتموهم فلا تجهزوا علی جریح، و لا تتبعوا مولیا، و لا تطلبوا مدبرا، و لا تکشفوا عوره، و لا تمثلوا بقتیل، و لا تهتکوا سترا، و لا تفرّقوا شیئا من أموالهم إلّا ما تجدونه فی عسکرهم من سلاح أو کراع (الدواب) أو عبد أو أمه، و ما سوی ذلک فهو میراث لورثتهم. و من ألقی سلاحه فهو آمن، و من أغلق بابه فهو آمن».

و أمّا فی الصلح، و حالات السّلام مع العدو، فقد أمر الإمام بما یلی:

۱ - الالتزام ببنود الصلح، و عدم مخالفتها.

۲ - الابتعاد عن الغدر و الفتک و نقض العهود.

۳ - مراعاه الأمانه، و الابتعاد عن الإدغال و المدالسه.

۴ - عدم المطالبه بفسخ العهود بغیر الحق.

یقول علیه السّلام فی عهده إلی الأشتر: «.. إن عقدت بینک و بین

عدوّک عقده، أو ألبسته منک ذمّه، فحطّ عهدک بالوفاء، و ارع ذمّتک بالأمانه، و اجعل نفسک جنّه دون ما أعطیت، فإنّه لیس من فرائض اللّه شیء، الناس أشدّ علیه اجتماعا، مع تفرّق أهوائهم و تشتت آرائهم من تعظیم الوفاء بالعهود، و قد لزم ذلک المشرکون فیما بینهم دون المسلمین لما استوبلوا من عواقب الغدر، فلا تغدرنّ بذمّتک، و لا تخیّسن بعهدک، و لا تختلن عدوّک، فإنّه لا یجترىء علی اللّه إلّا جاهل شقیّ. و قد جعل اللّه عهده و ذمّته أمنا أفضاه بین العباد برحمته، و حریما یسکنون إلی منعته، و یستفیضون إلی جواره، فلا إدغال، و لا مدالسه، و لا خداع فیه»(۱).

***

رابعا: تجنب إیذاء العوائل، من النساء و الأطفال: فلا ذنب لهم، و لا یجوز بأی حال من الأحوال التعرّض لهم، و تهییجهم.

و قد روی أن بعض النسوه فی حروب الإمام علی علیه السّلام بدأن یسببن أصحابه و یسبونه و کان بعض أصحابه قد حاول أن ینال من النسوه اللائی سببنه فقال: «لا تؤذوا النساء و إن شتمن أعراضکم و سببن أمراءکم و صلحاءکم، فالنساء ضعیفات، و لقد کنّا ننهی عنهن و هنّ مشرکات، و کان الرجل لیضرب

۱- نهج البلاغه: الکتب، ۵۳.

المرأه بالهراوه، فيعيّر بها هو و ولده من بعده، كان هذا و هنّ مشركات، فكيف و هنّ مؤمنات؟!

لقد حاربنا الرجال فحاربناهم، و أما النساء و الذراری فلا سبيل لنا عليهم، لأنهنّ مسلمات، و فی دار هجره، فليس لكم عليهن سبيل.

فأما ما أجلبوا عليكم به و استعانوا به على حربكم، و ضمّه عسكرهم و حواه فهو لكم، و ما كان فی دورهم فهو ميراث على فرائض اللّه لذراريهم فليكن هذا سنّه لمن يأتی من بعدنا»(۱).

و روی أنه قيل لعلی عليه السّلام بعد معركه الجمل: إن رجلين وقفا على باب عائشه يغلظان لها القول. فأمر الإمام بهما فجلد كل واحد منهما ثمانين جلده(۲)!.

خامسا - تحريم سبی النساء و الذراری فی الحروب مع المسلمين:

روی أنه حينما تراءی الجمعان و اقتربا فی قبيل معركه الجمل قال الأحنف بن قيس لعلی عليه السّلام و كان قد بايعه بالمدينه: «إن قومنا بالبصره يزعمون أنك إن ظفرت عليهم قتلت رجالهم و سبيت نساءهم»! فقال عليه السّلام: «ما مثلی يخاف

۱- مروج الذهب: ج ۲، ص ۷۳۱.

۲- علی إمام المتّقين: ج ۱، ص ۲۸۴.

هذا منه! و هل يحلّ هذا إلاّ لمن تولّى و كفر؟ و هم قوم مسلمون»؟!.

و بعد الحرب، و انتصار الإمام منع عليه السّلام أصحابه أن يسبوا النساء و الذرارى و قال: «ليس على الموجودين سبى و لا يغنم من أموال إلاّ ما قاتلوا به أو عليه، فدعوا ما لا تعرفون.

و الزموا ما تؤمرون»!. فراجعوه، و أكثروا عليه فقال ضيّقا بهم: «هاتوا أسهمكم و اضربوا أيها المؤمنون على أمّكم عائشه، أيكم يأخذها»؟!.

فنزعوا قائلين: «نستغفر اللّه».

فتنفّس الصعداء قائلا: «و أنا أستغفر اللّه»(۱).

***

سادسا - معالجه الجرحى من الأعداء:

حينما يجرح أحد أفراد العدو، و يقع فى الأسر، فلا بدّ من معالجته، لأنه حينئذ ليس عدوا، بل هو أسير.. و للأسرى احترامهم، و حقوقهم..

و قد كان الإمام علىّ يراعى تلك الحقوق، و يحترم الأسرى، و من ذلك ما روى أنه عليه السّلام دعا الإمام إليه محمد بن

۱- المصدر السابق: ص ۲۶۸.

أبی بکر فقال: «انظر هل وصل إلی أم المؤمنین شیء من مکروه»؟(۱).

فجاءها فضرب الهودج بیده فقالت: «من أنت»!.

قال: «أقرب الناس منک قرابه، و أبغضهم إلیک! أنا محمد أخوک! یقول لک أمیر المؤمنین هل أصابک شیء»؟

قالت: «ما أصابنی إلّا سهم لم یضرّنی».

فقال لها: «أما سمعت الرسول یقول: علیّ مع الحق، و الحق مع علیّ؟ ثم خرجت تقاتلینه».

قالت: «فلیغفر اللّه لی»!.

و قال لها عمّار بن یاسر: «أین أنت الیوم یا أم المؤمنین و العهد الذی عهد إلیک»؟

فقالت: «إنک و اللّه قوّال بالحق»!(۲).

***

ثم إن أمیر المؤمنین لم یکتف بالتعامل الإنسانی العادل، مع أعدائه، بل إنّه أضاف العنصر الأخلاقی إلیه، فلم یرض مثلا أن یسبّ أعداءه، أو یتّهموا بما لیس فیهم.. فقد روی أن الإمام بعد معرکه الجمل لم یقل فی أعدائه إلّا «أنهم ذاقوا

۱- الکامل فی التاریخ: ج ۳، ص ۱۳۳.
۲- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۲۸۱.

وبال أمرهم» و حدث أن رجلا- من أصحابه وثب فقال متقرّبا للإمام متوددا إليه: «أى و اللّه يا أمير المؤمنين الحمد للّه الذى نصرك على الباغين الظالمين الكافرين المشركين».

فقال له الإمام غاضبا: «ثكلتك أمك! ما أقواك بالباطل، و أجرأك على أن تقول ما لا تعلم! ليس القوم كما تقول!.. لو كانوا كافرين مشركين، لسبينا نساءهم، و غنمنا أموالهم، و لما صاهرناهم و لا أورثناهم»(۱). و هكذا رفض أن ينعتوا بما ليس فيهم، و ينسبوا إلى الكفر و هم منه براء.

ثم إنه عليه السّلام اهتمّ بقتلى أعدائه، كما اهتم بأصحابه، فصلى على القتلى من الجانبين، و بكى أعداءه كما بكى أحبّائه.

فقد روى سفيان الثورى فقال: «لما انقضى يوم الجمل خرج على بن أبى طالب فى ليله ذلك اليوم و معه مولاه و بيده شمعه يتصفّح وجوه القتلى، حتى وقف على طلحه بن عبيد اللّه فى بطن واد متعفرا، فجعل يمسح الغبار عن وجهه و يقول:

أعزز علىّ يا أبا محمد أن أراك متعفرا تحت نجوم السماء و فى بطون الأوديه، إنّا للّه و إنّا إليه راجعون»(۲).

۱- المصدر السابق: ص ۲۹۳.

۲- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۳۳۸.

و أضاف: لقد كنت كارها لهذا.. أنت و اللّه كما قال القائل:

فتى كان يدنيه الغنى من صديقه إذا هو ما استغنى و يبعده الفقر

كأن الثريا علقت فى يمينه و فى خده الشعرى، و فى الآخر البدر

و وجد الإمام جثمان محمد بن طلحه فقال: «أما و اللّه لقد قتلك برّك بأبيك! رحمك اللّه يا محمد.. لقد كنت فى العباده مجتهدا»(۱).

***

و كان عليه السّلام يقبل الحق فى الأمور الصغيره كما يقبله فى الأمور الكبيره، و كان يقبل من عدوّه الحق الذى له، كما يقبل من أصحابه ذلك..

فقد قبل أن تمحى من اسمه لقب «أمير المؤمنين» و هو اللّقب الذى منحه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم له فى حياته، لأن عدوّه رفض الاعتراف بكونه أميرا للمؤمنين، و ذلك فى كتابه وثيقه التحكيم فى حرب صفّين، فقد روى، أنه عليه السّلام، و بحضور جمع من الطرفين، فيهم عمرو بن العاص، أخذ يملى وثيقه

۱- المصدر السابق.

التحكيم، فأملى عليه السّلام: «بسم اللّه الرحمن الرحيم، هذا ما تقاضى عليه أمير المؤمنين..» فقال عمرو للكاتب: «بل اكتب اسمه و اسم أبيه، هو أميركم و ليس أميرنا».

فقال الأحنف للإمام: «لا تمح اسم أمير المؤمنين فإنى أتخوّف إن محوتها ألّا ترجع إليك أبدا».

فقال الإمام: «اللّه أكبر! سنه بسنّه! و اللّه إنى لكاتب رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يوم الحديبيه، فكتبت: محمد رسول اللّه، فقال سهيل بن عمر مبعوث كفار قريش إلى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: لو كنت رسول اللّه لاتّبعناك، و لكن اكتب اسمك و اسم أبيك.

فأمرنى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم بمحوه، فقلت: لا أستطيع! فقال: يا علىّ إنى لرسول اللّه، و إنى لمحمد بن عبد اللّه، و لن يمحو عنّى الرساله كتابى إليهم من محمد بن عبد اللّه. و إنك ستدعى إلى مثلها فتجيب!».

فقلت لسهيل بن عمرو مبعوث كفار قريش: إنه لرسول اللّه و إن رغم أنفك.

فقال رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «يا على اكتب محمد بن عبد اللّه.

إن لك مثلها ستعطيها و أنت مضطهد»!.

و سكت علىّ ثم أضاف: «فاليوم أكتبها إلى أبنائهم كما كتبها رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلى آبائهم سنه و مثلا».

ص:۲۲۸

فقال عمرو: «سبحان اللّه، تشبّهنا بالكفّار و نحن مؤمنون»؟!، و أضاف: «لا يجمع بينی و بينک مجلس أبدا بعد هذا اليوم».

فقال له الإمام: «و إنی لأرجو أن يطهّر اللّه عزّ و جلّ مجلسی منک و من أشباهک»(۱).

و لقد ظهر عدل الإمام كأروع ما يكون مع قاتله عبد الرحمن بن ملجم قبل أن يرتكب جريمته، و بعدها أيضا..

فلقد كان الإمام يتنبأ بأنه سيتعرّض لعمليه اغتيال علی يد ابن ملجم، و كان كلّما رآه يقول:

أريد حياته، و يريد قتلی عذيرک من خليلک من مراد(۲)

و لقد صرّح لبعض أصحابه، بأنه يتوقع أن يغتاله ابن ملجم، فقيل له: «يا أمير المؤمنين.. دعنا نقتله..».

فقال: «أترون أن أقتل رجلا لم يصنع بی شيئا»(۳).

كان ذلک قبل أن يرتكب الرجل جريمته.. أمّا بعد أن اغتال الإمام بسيف مسموم، ضربه و هو عليه السّلام فی محراب عبادته، و الصلاه بين شفتيه، ضربه قال عنها: «إنها لو كانت بأهل مصر جميعا لأتت عليهم»؟؟.

۱- تاريخ الطبری: ج ۵، ص ۵۴-۵۵.

۲- الاستيعاب: ج ۳، ص ۱۲۷.

۳- الطبقات الكبری: ج ۳، ص ۳۴.

فقد أخذوه إلى الإمام مخفورا، فنظر فى وجهه مليا، ثم قال و كأنه عليه السّلام يذكره بماضى عطاياه له:

«أبئس الإمام كنت لك»؟

فقال المرادى - الذى كان مدفوعا، فى عمله الجبان ذاك بحقد الخوارج و غرام قطام -:

«أفأنت تنقذ من فى النار، يا على؟!»(١).

فأمر الإمام أن يؤخذ معه إلى داره، و أوصى به خيرا فقال:

«أطيبوا طعامه، و لينوا فراشه»(٢)!.

و كان عليه السّلام كلّما شرب اللبن، الذى أوصى به الطبيب لدفع السم يبقى منه نصفه، و يقول لولده:

«أطعموه أسيركم..»، و يقصد ابن ملجم(٣).

حتى إذا جيء له فى أواخر لحظات حياته، بشربه قليله فشربها كلها، قال:

«اعلموا، أن هذا آخر رزقى من الدّنيا، و قد شربت الجميع، و لم يبق لأسيركم..».

ثم التفت إلى ولده الحسن عليه السّلام، و قال:

١- عليّ من المهد إلى اللّحد.

٢- مقاتل الطالبيين: ص ٣٨.

٣- المعمرون و الوصايا: ص ١٤٩.

«بحقى عليك يا بنى، الّا ما سقيته مثل ما شربت..».

و أضاف: «يا بنىّ، أنت ولىّ الأمر من بعدى، و ولىّ دمى، فإن عفوت فلك، و إن قتلت فضربه مكان ضربه..»(۱).

و التفت إلى من كان معه فى الحجره فقال:

«يا بنى عبد المطّلب، لا ألفينّكم تخوضون دماء المسلمين خوضا تقولون: قتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ بى إلّا قاتلى.

انظروا إذا أنا متّ من ضربتى هذه، فاضربوه ضربه بضربه، و لا يمثّل بالرجل، فإنى سمعت رسول اللّه يقول: «إيّاكم و المثله، و لو بالكلب العقور..»(۲).

و أضاف: «ارفقوا به، و أطعموه مما تأكلون، و اسقوه مما تشربون»(۳).

۱- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۴۸.

۲- المعارف: ج ۲، ص ۱۷۸.

۳- غزوات أمير المؤمنين: ص ۲۲۵.

العفو مع الاقتدار

الأهم من الانتصار هو العفو مع الاقتدار.

فالانتصار عمليه ماديه، تتحدّد بالزمان و المكان، أمّا العفو فهو عمل إنسانى عظيم يستعصى على الحدود، و يتجاوز الزمان لأن «العفو زكاه الظفر»(۱).

و الحقيقه فإن «أولى الناس بالعفو، أقدرهم على العقوبه»(۲). بينما «قله العفو، أقبح العيوب و التسرّع إلى الانتقام أعظم الذنوب»(۳) ، و لا شك أن «شر الناس من لا يعفو عن زلّه، و لا يستر العوره»(۴) ، و حتما فإن «من لم يحسن العفو أساء بالانتقام»(۵).

ص:۲۳۲

۱- نهج البلاغه: الحكم، ۲۱۱.

۲- شرح نهج البلاغه: ج ۱۸، ص ۱۸۳.

۳- غرر الحكم و درر الكلم.

۴- المصدر السابق.

۵- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۳۷۰.

و هکذا فإن «العفو تاج المکارم»(۱).

بالإضافه إلی «أن اللّه تعالی عفوّ یحب العفو»(۲) ، و قد ذخر للعافین ثوابا عظیما «فإذا کان یوم القیامه ینادی مناد یسمعه أهل الحشر»، فیقول: «أین أهل الفضل؟ فیقوم عنق من الناس، فتستقبلهم الملائکه»، فیقولون: «ما فضلکم هذا الذی نودیتم به»؟ فیقولون: «کنّا یجهل علینا فی الدنیا فنحلم. و یساء إلینا فنعفو». فینادی مناد من اللّه تعالی: «صدق عبادی خلّوا سبیلهم، لیدخلوا الجنه بغیر حساب»(۳).

و قد یظن بعض الحکّام أنّ الانتقام یمدّه بالسلطان أکثر من العفو، لأنه یظن أن فی العفو ضعفا. غیر أنّ التاریخ یثبت أن «عفو الملک أبقی للملک»(۴) ، و «العفو لا یزید العبد إلاّ عزا»(۵) ، بل إنه من «حق من ساءک أن تعفو عنه، و إن علمت أن العفو یضرّ انتصرت». قال اللّه تعالی: وَ لَمَنِ انْتَصَرَ بَعْدَ ظُلْمِهِ فَأُولئِکَ ما عَلَیْهِمْ مِنْ سَبِیلٍ (۴۱)(۶)(۷).

***

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

۲- کنز العمّال، خ ۷۰۰۵.

۳- الفقه: الاجتماع، ص ۵۴۵.

۴- الوسائل: ج ۸ ص ۵۱۹.

۵- کنز العمّال: خ ۷۰۱۲.

۶- سوره الشوری، الآیه: ۴۱.

۷- بحار الأنوار: ج ۷۴، ص ۹.

لقد كان الإمام أمير المؤمنين يوصى كل واحد من أصحابه فيقول: «إذا قدرت على عدوّك، فاجعل العفو عنه شكرا للقدره عليه»(۱).

و يقول: «العفو أعظم الفضيلتين»(۲).

و يقول: «شيئان لا يوزن ثوابهما: العفو و العدل»(۳).

و يقول: «أحسن المكارم عفو المقتدر، وجود المفتقر»(۴)

و كان هو متخلقا بأخلاق اللّه عظيم العفو حسن التجاوز..

و لربما يظهر من كلام له قبل موته، أنه كان ينوى العفو عن قاتله «عبد الرحمن بن ملجم» فقد قال:

«إن ابق، فأنا ولىّ دمى، و إن أفن فالفناء ميعادى، و إن أعف فالعفو لى قربه، و هو لكم حسنه، فاعفوا، ألا تحبون أن يغفر اللّه لكم»(۵) ؟.

لقد انتصر الإمام فى بعض المعارک، فاستولى على كثير من أعدائه الّذين ظلموه و قاتلوه، فأسرهم، و لكن لم يقم بأيه

۱- لباب الآداب: ص ۳۳۵.
۲- غرر الحكم و درر الكلم.
۳- المصدر السابق.
۴- ميزان الحكمه: ج ۶، ص ۳۷۱.
۵- إثبات الوصيه: ص ۱۰۳.

تصفيات، أو حتى إلغاء مناصب مخالفيه، أو مصادره أموالهم، بل أطلق سراحهم و عفا عنهم و أعطاهم الأموال..

فلقد جیء إليه بموسى بن طلحه بن عبيد اللّه فقال له الإمام:

«قل: أستغفر اللّه و أتوب إليه ثلاث مرات». و لما قالها خلّی سبيله، و قال له: «اذهب حيث شئت، و ما وجدت لک فی عسكرنا من سلاح أو كراع فخذه، و اتّق اللّه فيما تستقبله من أمرک، و اجلس فی بيتک»(۱).

و كان عليه السّلام إذا أخذ أسيرا فی حروب الشام، أخذ سلاحه و دابّته، و استحلفه أن لا يعين عليه، و يتركه و شأنه(۲). و كان يفعل ذلک رجاء ثواب اللّه أ ليس هو القائل «ما المجاهد الشهيد فی سبيل اللّه بأعظم أجرا ممّن قدر فعفّ.. لكاد العفيف أن يكون ملكا من الملائكه»(۳).

و لقد ظهر عفوه عليه السّلام كأعظم ما يكون فی معركه الجمل، و هی من أخطر المعارک التی خاضها، لأنها فتحت عليه باب التمرّد، و أضعفت جبهته الداخليه، و لولاها لم تكن معركه صفّين و النهروان..

ص:۲۳۵

۱- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۱۷.
۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۵۰.
۳- نهج البلاغه: الحكم، ۴۷۴.

و قد قتل فی تلک المعرکه عشره آلاف، نصفهم کانوا من أصحابه و کانت «عائشه بنت أبی بکر» هی المحور، و هی المسؤوله عنها، مع کل من طلحه و الزبیر، و کان من المفترض أن الإمام حینما ینتصر علیهم، أن یضع السیف فی رقابهم، و ینکّل بمن تبقّی منهم لیغلق علی نفسه باب التمرّد و المعارضه.

و لکنه علیه السّلام لم یفعل..

بل صفح و عفا «فآمن الأسود و الأحمر»(۱) علی حدّ تعبیر الیعقوبی فی تاریخه.

و حینما واجه «عائشه» بادرته بقولها:

«ملکت فاسجح»، أی قدرت فاعفو.

فعفا عنها، فطلبت منه أن یعفو عن عبد اللّه بن الزبیر، و هو الذی دفع أبیه إلی التمرّد علی الإمام حتی قال علیه السّلام: «ما زال الزبیر رجلا منّا أهل البیت حتی نشأ ابنه المشؤوم عبد اللّه»(۲) ، و هو الذی کان یؤلّب الناس علی الإمام فی المعرکه و یقول عنه: «قد جاءکم الوغد اللئیم علی بن أبی

۱- تاریخ الیعقوبی: ج ۲، ص ۱۵۹.

۲- نهج البلاغه: الحکم، ص ۴۵۳.

طالب». تشفّعت له عائشه فقبل شفاعتها فيه، و لم يزد على قوله له: «اذهب فلا أرينّك»(١).

ثم أمر مناديه أن ينادى فى أقطار المعسكر:

«ألا لا يتّبع مولّ، و لا يجهز على جريح، و لا يقتل مستأسر. و من ألقى سلاحه فهو آمن، و من تحيّز إلى عسكرى فهو آمن»(٢).

و لم يأخذ الإمام أثقالهم، و لا ـ سبى ذراريهم، و لا ـ غنم شيئا من أموالهم، بل أبى إلّا العفو و الصفح، و قال: «مننت على أهل البصره، كما منّ رسول اللّه على أهل مكه»(٣).

ثم إن الإمام عمد إلى بيت المال فقسّم ما وجد فيه على الناس بالسواء، من دون أن يمنع أصحاب الجمل منه شيئا، كما سار إلى عائشه وزارها فى دار عبد اللّه بن خلف حيث كانت تقيم فيه، فأمرها بالانصراف إلى المدينه لتقرّ فى بيتها كما أمرها اللّه تعالى فى قوله: وَ قَرْنَ فِی بُیُوتِکُنَّ وَ لا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجاهِلِیَّهِ الْأُولی (۴).

و جهّزها الإمام بخير جهاز من مركب وزاد و متاع، و بعث

١- السبيل إلى إنهاض المسلمين: ص ۴۴١.

٢- المصدر السابق: ص ۴۴٢.

٣- المصدر السابق.

۴- سوره الأحزاب، الآيه: ٣٣.

معها کل من نجا ممّن خرج معها، إلّا من آثر البقاء فی البصره و انضم إلی الإمام.

و شیّعها الإمام علیّ أمیالا، و سرّح أبناءه معها یوما.. کل ذلک تکریما لها و إعزازا.

و اختار لها أربعین سیده من شریفات نساء البصره و مقاتلاتها، ألبسهنّ ملابس الرجال، و سلّحهن بالسیوف و الدروع، و أمرهنّ أن یلزمنها، و سیّر معها أخاها محمد بن أبی بکر، و کانت عائشه تظن طوال الطریق، أن تلک النسوه رجال، و لذلک کانت تتأفف قائله: «هتک علیّ ستری، و وکّل بی الرجال» و لکنهنّ لم یکشفن عن وجوههن إلّا بعد الوصول إلی المدینه، و حینئذ ألقین عمائمهنّ، و قلن لها:

«إنما نحن نسوه یا عائشه، و لم یهتک علیّ سترک، بل هتک سترک من أخرجک من دارک»(۱).

لقد کان الإمام عظیم العفو، و قد جعل الآیه الکریمه:

وَ جَزاءُ سَیِّئَهٍ سَیِّئَهٌ مِثْلُها فَمَنْ عَفا وَ أَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَی اللّهِ إِنَّهُ لا یُحِبُّ الظّالِمِینَ (۴۰)(۲). نصب عینیه فی کل موقف انتصر فیه علی عدوّه.

۱- علیّ من المهد إلی اللّحد.

۲- سوره الشوری، الآیه: ۴۰.

و من ذلک أنه بعد معرکه الجمل، و انتهاء ذیولها، و فیما کان یهمّ بالخروج، وقف علی فرسه و نادی فی أهل البصره قائلا:

«یا أهل البصره: دخلت بلادکم بأشمالی هذه و رحلی و راحلتی ها هی، فإن أنا خرجت منها بأکثر مما دخلت فإنی من الخائنین»(۱)!

و أضاف و هو یشیر إلی القمیص الذی علیه:

«یا أهل البصره.. ما تنقمون منی.. إن هذا من غزل أهلی»(۲).

فلم یکتف بأن عفا عنهم، و قسّم بینهم بیت المال، و نهی تعقیبهم، و إنما طلب منهم «وثیقه براءه» لنفسه أیضا»!

***

و من عفوه أیضا ما روی: أن رجلا- اسمه «لبید بن عطارد» التمیمی، کان مطلوبا من قبل الإمام، لما کان یبثّه من روح سلبیه و تثبیط للعزائم، فمرّ به الإمام فی «بنی أسد». فقام إلیه نعیم بن دجاجه الأسدیّ فأفلته، فبعث إلیه أمیر المؤمنین علیه السّلام فأتوه به، و أمر به أن یضرب فقال لبید للإمام:

۱- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۳۲۵.

۲- مناقب آل أبی طالب: ج ۱، ص ۳۰۵.

نعم و اللّه إن المقام معک لذلّ، و إنّ فراقک لکفر.

فلما سمع ذلک منه قال:

قد عفونا عنک إنّ اللّه عزّ و جلّ یقول: اِدْفَعْ بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ السَّیِّئَهَ (۱) أما قولک: إن المقام معک لذلّ فسیئه اکتسبتها، و أمّا قولک إن فراقک لکفر فحسنه اکتسبتها، فهذه بهذه(۲).

***

و من عفوه، ما روی عن رجل من مراد قال: کنت واقفا عند أمیر المؤمنین یوم البصره إذ أتاه ابن عباس بعد القتال فقال: «إن لی حاجه»، فقال علیه السّلام: «ما أعرفنی بالحاجه التی جئت فیها، تطلب الأمان لابن الحکم»؟.

فقال ابن عباس: «نعم، أرید أن تؤمنه»..

فقال علیه السّلام: «آمنته، و لکن اذهب و جئنی به و لا تجئنی به إلا ردیفا فإنه أذلّ له».

فجاء به ابن عباس ردفا خلفه کأنه قرد.

فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: أتبایع»؟.

قال: نعم، و فی النفس ما فیها.

۱- سوره المؤمنون، الآیه: ۹۶.

۲- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۴۹.

قال علیه السّلام: «اللّه أعلم بما فی القلوب»..

فلما بسط یده لیبایعه سحب کفه عن کف مروان فنترها قائلا:

«لا حاجه لی فیها، إنها کف یهودیه لو بایعنی بیده عشرین مرّه لنکث بإسته»، ثم قال علیه السّلام: هیه..! یا ابن الحکم خفت علی رأسک أن تقع فی هذه المعمعمه؟(۱)

***

و من عفوه علیه السّلام أنه «کان إذا أخذ أسیرا فی حروب الشام، صادر منه سلاحه، و دابّته، و استحلفه أن لا یعین علیه، و عفا عنه، و ترکه».

و من عفوه: و دعا علیه السّلام غلاما له مرارا فلم یجبه، فخرج فوجده علی باب البیت، فقال: ما حملک علی ترک إجابتی؟ قال: کسلت عن إجابتک و أمنت عقوبتک، فقال: الحمد للّه الذی جعلنی ممّن یأمنه خلقه، امض فأنت حرّ لوجه اللّه»(۲).

***

و هکذا فإن العفو عنده کان هو الأصل، لا العقوبه، إذ لم یکن علیه السّلام ینطلق من الحب، أو البغض الشخصی فی مواقفه،

۱- بحار الأنوار، ج ۴۱، ص ۲۹۸.

۲- المصدر السابق: ص ۵۰.

بل من القيم و المبادىء التى آمن بها و جاهد من أجلها، و كان يرى أن «العفو مع القدره جنّه من عذاب اللّه سبحانه»(۱) ، إذ «عند كمال القدره تظهر فضيله العفو»(۲) ، و إلا ما قيمه عفو ينطلق من عجز؟

يقول الإمام عليه السّلام: «متى أشفى غيظى إذا غضبت؟ أحين أعجز عن الانتقام فيقال لى: لو صبرت؟ أم حين أقدر عليه فقال لى: لو عفوت»(۳) ؟

و لكنه كان إذا قدر يعفو، بل إنه عفا عمّن بيّت النيّه لقتله و حاول، و لكنّه انكشف أمره، فاعتقل وجىء به إلى الإمام عليه السّلام فعفا عنه، و فيما يلى قصته:

«حاول معاويه بن أبى سفيان مرارا قتل أمير المؤمنين عليه السّلام فقد أسرّ إلى بعض خاصته أن من يقتل عليا، فله عشره آلاف دينار، و انبرى لذلك أحدهم، و لكنه تراجع فى اليوم التالى، معتذرا منه، و قال: «أسير إلى ابن عم رسول اللّه، و أبى ولديه، و أقتله؟. لا و اللّه.. لا أفعل»!

فزيّد معاويه الأجر، فجعله عشرين ألف دينار، فقبله أحدهم، و لكنه - هو الآخر - تراجع و امتنع.

۱- غرر الحكم و درر الكلم.

۲- المصدر السابق.

۳- نهج البلاغه: الحكم، ص ۱۹۴.

فزيّده إلى ثلاثين ألف، فقبل المهمه رجل من «حمير»، و خرج من الشام قاصدا الكوفه، فجاء حتى دخل على أمير المؤمنين فى الكوفه، و عليه ثياب السفر. فقال له الإمام:

«من أين الرجل»؟.

قال: «من الشام».

و كانت عند الإمام أخباره، فاستنطقه، فاعترف، فقال له الإمام:

«فما رأيك الآن؟ أتمضى إلى ما أمرت به؟ أم ماذا»؟

فقال الرجل: «لا.. و لكنى أنصرف».

فقال الإمام لقنبر:

«يا قنبر. أصلح راحلته، و هيىء له زاده، و أعطه نفقته»(۱)!

تلك كانت عينات من عفو الإمام مع أعدائه، و خصمائه أما مع الرعيّه، فكان لهم أبا رحيما، يعطف على صغيرهم و يواسى كبيرهم، و يعفو عن مذنبهم.

و كان يوصى ولاته بذلك أيضا.

هذا مالك الأشتر، يقول له فى عهده إليه، حين ولّاه مصر:

۱- السياسه من واقع الإسلام: ص ۱۷۱-۱۷۲.

«و أشعر قلبك الرحمه للرعيّه، و المحبّه لهم، و اللطف بهم، و لا تكوننّ عليهم سبعا ضاريا تغتنم أكلهم، فإنهم صنفان إما أخ لك فى الدين، أو نظير لك فى الخلق، يفرط منهم الزلل، و تعرض لهم العلل و يؤتى على أيديهم فى العمد و الخطأ، فأعطهم من عفوك و صفحك مثل الذى تحب و ترضى أن يعطيك اللّه من عفوه و صفحه، فإنك فوقهم و والى الأمر عليك فوقك و اللّه فوق من ولّاك. و قد استكفاك أمرهم، و ابتلاك بهم، و لا تنصبنّ نفسك لحرب اللّه فإنّه لا يد لك بنقمته، و لا غنى بك عن عفوه و رحمته. و لا تندمن على عفو.

و لا تبجحن بعقوبه، و لا تسرعنّ إلى بادره وجدت منها مندوحه»(۱).

إذن القاعده الأساسيه كانت عند الإمام: فَاصْفَحِ الصَّفْحَ الْجَمِيلَ (۲).

غير أن الإمام كان يستثنى منها أمرين:

الأول - العفو عن اللئيم.. و هم على كل حال قلّه قليله من أهل الذنوب. يقول الإمام عليه السّلام: «العفو يفسد من اللئيم، بقدر إصلاحه من الكريم»(۳).

۱- نهج البلاغه: الكتب، ۵۳.

۲- سوره الحجر، الآيه: ۸۵.

۳- الاحتجاج: ج ۷۸، ص ۹۳.

الثانی - العفو الذی یؤدی إلی وهن سلطان الإسلام، و ثلم الدین، یقول علیه السّلام: «جاز بالحسنه و تجاوز عن السیئه ما لم یکن ثلما فی الدین، أو وهنا فی سلطان الإسلام»(۱).

أما المیزان فی تشخیص ذلک فهو سیره الإمام نفسه، و ما فعله مع خصمائه، و أعدائه، أو مع عامه الناس..

۱- غرر الحکم و درر الکلم.

الرفق فی جبایه الخراج

موارد الدوله فی الإسـلام، لا تتعدّی الخراج، و الجزیه و بعض الحقوق الشرعیه، و ما قد تضطر إلیه فی حالات استثنائیه محدوده جدا.

و هـذه إذ تؤخـذ من النـاس، فلیس لکی تتحول الـدوله إلی جهـاز بـدیل عنهم، أو قیّم علیهم. فلیس الوالی إلاّ بمنزله الوالـد إلی أولاده الکبار، ینظم شؤونهم، و یرعی حقوق ضعیفهم، و یدافع عن مظلومهم.. و لیس بدیلا عنهم.

فالدوله لا تتورّط، بمواردها المحدوده، فی الزراعه، و التجاره، و الشؤون الأخری.. فذلک شأن الناس.

و إنما هی تضع القانون العادل، و تشرف علی تنفیذه.

و لعمری إن ذلک لا یتطلب موارد مالیه کثیره بأی شکل من الأشکال..

و القاعده الذهبیه، فی استیفاء ما للدوله علی الناس هی:

عداله فی التحصیل، و عداله فی التوزیع.. فبمقدار ما یجب الاهتمام باستیفاء الحق العام، فلا بد من التورّع عن مصادره حقوق الأفراد..

ف «أعظم الخطایا اقتطاع مال امرؤ مسلم بغیر حق»(۱) کما أن «شر الأموال ما لم یخرج منه حق اللّه سبحانه»(۲) و حق اللّه هنا هو حق الناس، بلا شک!

و علی کل حال، فإن للاستیفاء قیودا، و آدابا لا بد من مراعاتها فی التحصیل، حتی لا یتحوّل تحصیلها إلی سطوه للحکم، و مورد من موارد الظلم و التعدّی، کما هو شأن الظالمین، الّذین یظلمون الناس فی حقوق الدوله علیهم، و یظلمونهم فی توزیعها کذلک..

و الحق، فإن «الناس یستغنون إذا عدل بینهم، و تنزل السماء رزقها، و تخرج الأرض برکتها بإذن اللّه»(۳).

و تتطلب العداله هنا، أن یهتم الولاه بأمور الأرض، و أصحاب الأموال، و مصانعهم و معاملهم و مزارعهم، أکثر من اهتمامهم بالخراج نفسه.. فلا یجوز إرهاق أحد، و لا إتلاف أمواله باسم الصالح العام.

ص:۲۴۷

۱- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۵۵.
۲- غرر الحکم و درر الکلم.
۳- الصیاغه الجدیده: ص ۴۷۴.

يقول الإمام على عليه السّلام فى عهده إلى مالك الأشتر:

«.. و تفقّد أمر الخراج بما يصلح أهله، فإنّ فى صلاحه و صلاحهم، صلاحا لمن سواهم، و لا صلاح لمن سواهم إلّا بهم، لأن الناس كلّهم عيال على الخراج و أهله..».

«و ليكن نظرك فى عماره الأرض أبلغ من نظرك فى استجلاب الخراج، لأن ذلك لا يدرك إلّا بالعماره، و من طلب الخراج بغير عماره، أخرب البلاد، و أهلك العباد، و لم يستقم أمره إلّا قليلا.. و إنما يأتى خراب الأرض من اعواز أهلها، و إنما يعوز أهلها لأشراف أنفس الولاه على الجمع، و سوء ظنّهم بالبقاء، و قلّه انتفاعهم بالعبد»(۱).

إذن، فلا بد أن يكون الهدف ليس جبايه الخراج، بل إصلاح الأرض، و إغناء أهلها. بالرغم من أن نفسيه الولاه الضيقه الأفق تتوجّه نحو جمع الخراج..

ثم أنه لا بدّ و أن يراعى الولاه الأخلاق فى طريقه الاستيفاء فلا قيمه لمال يجمع بظلم و عدوان..

و لقد كان الإمام على عليه السّلام يوصى كل عامل يوليه على الخراج بقوله:

«لا تضربنّ رجلا سوطا فى جبايه درهم، و لا تتبعنّ لهم

۱- نهج البلاغه: الكتب، ۵۳.

رزقا، و لا كسوه شتاء و لا صيف و لا دابه يعملون عليها، و لا تقيمن رجلا قائما فى طلب درهم» فقال له أحد عمّاله: «يا أمير المؤمنين إذن أرجع إليك كما ذهبت من عندك»؟.

قال الإمام: «أمرنا نأخذ منهم الفضل (ما زاد عن الحاجه)»(۱).

عن رجل من ثقيف قال: استعملنى علىّ بن أبى طالب عليه السّلام على بانقيا و سواد من سواد الكوفه، فقال لى و الناس حضور: انظر خراجك فجدّ فيه، و لا تترک منه درهما، و إذا أردت أن تتوجّه إلى عملك فمرّ بى.

فأتيته فقال لى: «إنّ الذى سمعت منّى خدعه، إيّاک أن تضرب مسلما أو يهوديا أو نصرانيا فى درهم خراج، أو تبيع دابّه عمل فى درهم، فإنّما أمرنا أن نأخذ منهم العفو»(۲).

و روى أنه «بعث أمير المؤمنين عليه السّلام مصدّقا من الكوفه إلى باديتها، فقال: يا عبد اللّه انطلق و عليك بتقوى اللّه وحده لا شريك له، و لا تؤثرنّ دنياک على آخرتک، و كن حافظا لما ائتمنتك عليه، مراعيا لحقّ اللّه فيه، حتّى تأتى نادى بنى فلان،

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۴۰.
۲- فروع الكافى: ج ۳، ص ۵۴۰.

فإذا قدمت فانزل بمائهم من غير أن تخالط أبياتهم، ثم امض إليهم بسكينه و وقار حتّى تقوم بينهم فتسلّم عليهم.

ثم قل لهم: يا عباد اللّه أرسلنى إليكم ولىّ اللّه لآخذ منكم حقّ اللّه فى أموالكم، فهل للّه فى أموالكم من حقّ فتؤدّوه إلى وليّه؟

فإن قال لك قائل: لا فلا تراجعه، و إن أنعم لك منهم منعم فانطلق معه من غير أن تخيفه أو تعده إلاّ خيرا، فإذا أتيت ماله فلا تدخله إلاّ بإذنه فإنّ أكثره له، فقل: يا عبد اللّه أتأذن لى فى دخول مالك؟ فإن أذن لك فلا تدخل دخول متسلّط عليه فيه، و لا عنف به، فاصدع المال صدعين، ثمّ خيّره أى الصدعين شاء، فأيّهما اختار فلا تعرّض له، ثم اصدع الباقى صدعين، ثم خيّره فأيّهما اختار فلا تعرّض له و لا تزال كذلك حتّى يبقى ما فيه وفاء لحقّ اللّه تبارك و تعالى فى ماله، فإذا بقى ذلك فاقبض حقّ اللّه منه، و إن استقالك فأقله، ثم أخلطهما و اصنع مثل الذى صنعت أولا حتى تأخذ حقّ اللّه فى ماله، فإذا قبضته فلا توكل به إلاّ ناصحا شفيقا أمينا حفيظا، غير معنّف بشىء منها.

ثم اجلب كل ما اجتمع عندك من كلّ ناد إلينا نصيره حيث أمر اللّه عزّ و جلّ، فإذا انحدر فيها رسولك فأوعز إليه أن لا

يحول بين ناقه و بين فصيلها، و لا يفرّق بينهما، و لا يمصرنّ لبنها فيضرّ ذلک بفصيلها، و لا يجهد بها ركوبا، و ليعدل بينهنّ فى ذلک، و ليوردهنّ كلّ ماء يمرّ به، و لا يعدل بهنّ عن نبت الأرض إلى جوادّ طريق فى الساعه التى فيها تريح و تغبق، و ليرفق بهن جهده حتى يأتينا بإذن اللّه سحاحا سمانا غير متعبات و لا مجهدات، فنقسّمهنّ بإذن اللّه على كتاب اللّه و سنّه نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم على أولياء اللّه فإنّ ذلک أعظم لأجرک و أقرب لرشدک، ينظر اللّه إليها و إليک و إلى جهدک و نصيحتک لمن بعثک و بعثت فى حاجته، فإنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم قال: ما ينظر اللّه إلى ولىّ له يجهد نفسه بالطاعه و النصيحه له و لإمامه إلاّ كان معنا فى الرفيق الأعلى»(۱).

إن مراعاه حقوق الناس، كمراعاه حقوق الدوله، واجب شرعى و إنسانى فالدوله و الناس يكمل أحدهما الآخر، و ليس كل واحد منهم عدوا، أو منافسا للثانى، و لا بدّ من أن يراعى كل واحد منهما الثانى. و هنا الدوله أكثر مسؤوليه، لأنها الأقوى، فهى المطالبه أولا بمراعاه حقوق الناس.

***

و كما فى أمر الخراج، كذلک فى أمر الجزيه من غير

۱- المصدر السابق: ص ۵۳۶-۵۳۸.

المسلمین، الّذین وضع عنهم أداء الحقوق، و فی المقابل کان علیهم أداء الجزیه، إزاء الخدمات التی تقدم لهم ضمن حدود الدوله فی الإسلام، فلا بدّ من مراعاه حقوق الأفراد، و الامتناع عن أخذ ما یرهقهم..

فلقد کان أمیر المؤمنین یأخذ منهم الشیء القلیل، و «قلّه الضرائب هذه کانت السبب وراء أن حکم المسلمین کان أحب إلی أهل الذمه من حکم بنی دینهم فإن الجزیه التی تؤخذ من الکفّار قلیله جدا(۱).

و من ذلک ما روی عن مصعب بن یزید الأنصاری، قال:

استعملنی أمیر المؤمنین علی بن أبی طالب علیه السّلام علی أربعه رساتیق، و أمرنی أن أضع علی کل جریب زرع غلیظ: درهما و نصفا. و علی کل جریب وسط: درهما. و علی کل جریب زرع رقیق: ثلثی درهم. و علی کل جریب کرم: عشره دراهم.

و علی کل جریب نخل: عشره دراهم. و علی کل جریب البساتین التی تجمع النخل و الشجر: عشره دراهم».

«و أمرنی أن ألقی کل نخل شاذ عن القری (بعید عنها) لمارّه الطریق و ابن السبیل، و لا آخذ منه شیء».

«و أمرنی أن أضع علی الدهاقین الّذین یرکبون البراذین،

۱- الصیاغه الجدیده: ص ۴۷۳.

و يتختّمون بالـذهب على كـل رجـل منهم: ثمـانى و أربعين درهمـا، و على أوسـاطهم من التجـار على كـل رجـل منهم: أربع و عشرين درهما، و على فقرائهم: اثنى عشر درهما على كل واحد منهم»(۱).

و إذا أخـذنا بعين الاعتبار أن كل ذلک، إنما هو فى العام الواحد و ليس فى الشـهر أو الأسـبوع، تبيّن كم كان قليلا، و هو كل ما كان ليجيبه أمير المؤمنين من أهل الذمّه..

و حينمـا نضـيف إلى ذلـک العـداله فى التوزيع، و عـدم احتكـار الـدوله للخراج و الجزيـه و الحقـوق تظهر العـداله فى الحكم الإسلامى.

۱- المصدر السابق: ص ۴۷۴.

الاهتمام الشخصی بالأیتام

لا یکتب النجاح لمجتمع إلاّ إذا کان متماسکا..

و لا یکون المجتمع متماسکا، إلاّ إذا حصل فیه من لا معین له و لا معیل، کالأرمل و الیتیم، الرعایه اللاّزمه و الاهتمام الکبیر.

فالمجتمع الذی لا یضیع فیه الیتیم و الأرمل، مکتوب له النجاح، و التقدّم و الازدهار.

أما المجتمع الذی یضیع فیه الیتیم و الأرمل، و تهضم فیه حقوقهم، فإن عاقبته إلی بوار. لیس لأن اللّه یرزق العباد بضعفائهم فحسب – کما یقول رسول اللّه –، بل لأن فقدان التکافل الاجتماعی، و التراحم الإنسانی یؤدّی – إن عاجلا أو آجلا – إلی تفکّک المجتمع و انهیاره.

فالیتیم – إذن – عنصر «شدّ» للمجتمع إذا تمّت رعایته.

و هو عنصر «فکّ» له إذا فقد الرعایه.

ص:۲۵۴

و لـذلك فإن كل القيم الروحيه، و المثل الأخلاقيه، تدعو إلى الاهتمام بمن يفتقد الاهتمام.. و إلى الرعايه لمن يفتقد الرعايه.. و إلى العطاء لمن يحتاجه.. و إلى التربيه لمن ليس له مربّى. و أى شـخص أكثر من اليتيم هو بحاجه إلى ذلك؟ و أى عنصر أكثر من الأرمل يحتاج إلى العطاء و الرعايه؟

و إذا افترضنا أن القيم الأخلاقيه، فى مجتمع ما، تعرّضت للإهمال و الانتقاص فهل تستطيع القوانين أن تسدّ الخلل؟

فمثلاـ لو لم يجد الأيتام من يرعاهم و يربيهم، و يرزع فيهم حب الناس، ثم تحوّلوا فيما بعد إلى مجرمين و قتله، أفهل تكفى العقوبات لدرء المجتمع أخطار الجرائم؟

لقد ثبت بما لا يدع مجالا للشكّ أنّ الإجرام ينمو فى أوساط المهملين فى طفولتهم، كما أنّ العلماء و العباقره، و العظماء هم من ذوى الأصول الحسنه ممّن كانوا فى رعايه جيده فى عهد الطفوله..

فاليتيم الذى يجد العطف و الحنان الّلازمين، سيعطى للناس فيما بعد أفضل ما يمكن لإنسان أن يعطيه..

أ لم يكن رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يتيما و قد تكفّله أبو طالب، و رعاه أفضل رعايه و هو صغير، ثم وقف معه وقفه الأبطال

حينما نزل عليه الوحی، و تعرّض للظلم و العدوان من كفّار قريش؟

إن رعايه الأيتام، عدل الإحسان إلی الوالدين، و هما واجبان كعباده اللّه وَ إِذْ أَخَذْنا مِيثاقَ بَنِی إِسْرائِيلَ لا تَعْبُدُونَ إِلَّا اللّهَ وَ بِالْوالِدَيْنِ إِحْساناً وَ ذِی الْقُرْبی وَ الْيَتامی وَ الْمَساكِينِ وَ قُولُوا لِلنّاسِ حُسْناً (۱).

و كما يحتاج اليتيم إلی الرعايه و الإحسان، فهو بحاجه إلی الحفاظ علی أمواله و أملاكه، لو كان له ذلك وَ لا تَقْرَبُوا مالَ الْيَتِيمِ إِلّا بِالَّتِی هِیَ أَحْسَنُ حَتّی يَبْلُغَ أَشُدَّهُ (۲). كما هو بحاجه إلی أن لا يتعرّض لظلم، أو عدوان: وَ آتُوا الْيَتامی أَمْوالَهُمْ وَ لا تَتَبَدَّلُوا الْخَبِيثَ بِالطَّيِّبِ وَ لا تَأْكُلُوا أَمْوالَهُمْ إِلی أَمْوالِكُمْ إِنَّهُ كانَ حُوباً كَبِيراً (۳) ، إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوالَ الْيَتامی ظُلْماً إِنَّما يَأْكُلُونَ فِی بُطُونِهِمْ ناراً وَ سَيَصْلَوْنَ سَعِيراً (۱۰)(۴).

و ليس أفضل من الإنفاق علی الأيتام، فمن كان غنيا وَ آتَی الْمالَ عَلی حُبِّهِ ذَوِی الْقُرْبی وَ الْيَتامی وَ الْمَساكِينَ (۵) ،

۱- سوره البقره، الآيه: ۸۳.

۲- سوره الأنعام، الآيه: ۱۵۲.

۳- سوره النساء، الآيه: ۲.

۴- سوره النساء، الآيه: ۱۰.

۵- سوره البقره، الآيه: ۱۷۷.

فإنه أجرا كبيرا، ذلك لأن ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ وَ الْأَقْرَبِينَ وَ الْيَتامی (۱).

و لليتيم حقوق واجبه على أعناق ذوى اليسر، و المجاهدين فى سبيل اللّه، فلهم حصتهم من الغنيمه كما أن لهم حصتهم فى أموال الأغنياء وَ اعْلَمُوا أَنَّما غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْ ءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَ لِلرَّسُولِ وَ لِذِی الْقُرْبی وَ الْيَتامی (۲).

ثم إن الأيتام منطقه الخطر، وَ إِنْ خِفْتُمْ أَلاّ تُقْسِطُوا فِی الْيَتامی فَانْكِحُوا ما طابَ لَكُمْ مِنَ النِّساءِ (۳).

و كما يجب على ولاه الأمر أن يتعهّدوا الأيتام و الأرامل، فإن ذلك واجب أيضا على أحاد الناس كذلك.

يقول الإمام على عليه السّلام: «اللّه، اللّه فى الأيتام، فلا تغبّوا أفواههم، و لا يضيّعوا بحضرتكم، فقد سمعت رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم يقول: من عال يتيما حتى يستغنى، أوجب اللّه عزّ و جلّ له الجنّه، كما أوجب لآكل مال اليتيم النار»(۴).

و قد كان الإمام يوصى ولاته بقوله: «تعهّد أهل اليتيم و ذوى الرّقه فى السنّ ممّن لا حيله له، و لا ينصب للمسأله

۱- سوره البقره، الآيه: ۲۱۵.

۲- سوره الأنفال، الآيه: ۴۱.

۳- سوره النساء، الآيه: ۳.

۴- فروع الكافى: ج ۷، ص ۵۱.

نفسه، و ذلک علی الولاه ثقیل، و الحق کله ثقیل، و قد یخفّفه اللّه علی أقوام طلبوا العافیه فصبّروا أنفسهم، و وثقوا بصدق موعود اللّه لهم»(۱).

و کان الإمام علیه السّلام یتعهّد شخصیا الأیتام، و الأرامل، و یقوم بخدمتهم..

فقد روی: «أن علیا علیه السّلام کان یدعو الیتامی فیطعمهم العسل، حتی قال بعض أصحابه: لوددت أنی کنت یتیما، و کان ذلک منه اقتداء برسول اللّه، حیث کان الرسول صلّی اللّه علیه و آله و سلّم لا تخلو داره علی صغرها من یتیم، و کان یقول: «خیر بیوتکم بیت فیه یتیم». و یقول: «أنا و الیتیم کهاتین فی الجنّه» - و یشیر إلی السبابه و الوسطی من أصابعه» -(۲).

أ لیس الإمام هو القائل: «ما من مؤمن و لا مؤمنه یضع یده علی رأس یتیم إلاّ کتب اللّه له بکل شعره مرّت یده علیها حسنه»(۳). و القائل: «أحسنوا فی عقب غیرکم، تحسنوا فی أعقابکم»(۴).

۱- نهج البلاغه: الکتاب، ص ۵۳.
۲- السبیل إلی إنهاض المسلمین: ص ۴۳۵.
۳- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۳.
۴- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۴.

اعتماد لغه الرحمه فی القضاء

الاحتکام إلی الشرع و العقل و الخلق الإنسانی الرفیع فی حلّ المشاکل السیاسیه، و القضایا الاجتماعیه، بدل الاحتکام إلی الأهواء، و دوافع الحب و البغض الشخصیین، کان دیدن بطل العقل و القلب و الضمیر: علی بن أبی طالب علیه السّلام..

فلقد واجهت الإمام، الکثیر من المشاکل الاجتماعیه و المسائل القضائیه المعقّده، التی لم تواجه أحدا من قبل، و کان یحتکم فی حلّها إلی الأصول التی التزم بها فی مواجهه المشاکل السیاسیه، و هی «الشرع» و «العقل» و «الأخلاق».

و لکم أعیت المشاکل الخلفاء الّذین عاصرهم، فحلّها لهم فی إطار الشرع، بکل سهوله و یسر حتی قال أبو بکر أکثر من مرّه: «لا أبقانی اللّه لمعضله لیس لها أبو الحسن»، و قال

عمر بن الخطاب: «لو لا علیّ لهلک عمر»؟ و قال عثمان بن عفّان أیضا: «لو لا علیّ لهلک عثمان»(۱).

و لکم وضع الإمام، فی حل تلک المشاکل، أسسا راسخه أصبحت - فیما بعد - مصدرا من مصادر التشریع.

و لکن أثارت طریقته، من کوامن الخیر، فی نفوس الناس، وردعت العصاه، و أهل الفساد من دون استعمال القوه و العسف؟.

و علی کل حال فإن «الرّوح الإنسانیه هی قوام الأحکام التی أصدرها الإمام فی مختلف المجالات - کما یقول العقّاد -»(۲).

و إلیکم نماذج من أحکامه و قضایاه فی شتّی الأمور، و هی نماذج تکشف لیس فقط عن علم الإمام، و فهمه العمیق لأحکام الشرع فحسب، بل عن أخلاقه العظیمه أیضا..

۱- «الغدیر»: للأمینی، ج ۸، ص ۲۱۴.

۲- عبقریه الإمام علی: ص ۱۷۱.

لا حكم على من لا يعرف الحكم

إن أحكام العقوبات هى للردع، فإذا لم يكن مرتكب المعصيه عالما بأوامر الشريعه فلا يجوز عقابه.. هذا ما كان يقوله الإمام. فقد رفعت امرأه إلى عمر بن الخطاب قد زنت.

فسألها عن ذلك. فقال فى يسر: «نعم يا أمير المؤمنين».

و أعادت ذلك و أيّدته، كأنها لم تقترف ذنبا!. و علىّ يسمع و يتأمل!..

فقال على عليه السّلام: «إنها لتستهلّ به استهلال من لا يعلم أنه حرام».

فأعلماها بحرمه الزنا، و درأ عنها الحدّ(۱).

***

و فى عهد أبى بكر، شرب رجل الخمر، فرفع إلى الخليفه فقال له: «أشربت خمرا»؟.

۱- على إمام المتّقين: ص ۱۰۸.

قال: نعم.

قال: و لم و هی محرّمه؟

فقال الرجل: إنی أسلمت و حسن إسلامی و منزلی بین ظهرانی قوم یشربون الخمر و یستحلّونها و لو علمت أنّها حرام اجتنبتها.
فالتفت أبو بکر إلی عمر فقال: ما تقول فی أمر هذا الرجل؟

فقال عمر: معضله و لیس لها إلّا أبو الحسن.

فقال أبو بکر: ادع لنا علیّا: فقال عمر: یؤتی الحکم فی بیته، فقاما و الرجل معهما و من حضرهما من الناس حتّی أتوا أمیر المؤمنین علیه السّلام، فأخبراه بقصّه الرجل و قصّ الرجل قصّته.

فقال الإمام: ابعثوا معه من یدور به علی مجالس المهاجرین و الأنصار من کان تلا علیه آیه التحریم فلیشهد علیه، ففعلوا ذلک فلم یشهد علیه أحد بأنّه قرأ علیه آیه التحریم، فخلّی عنه و قال له: إن شربت بعدها أقمنا علیک الحدّ(۱).

۱- فروع الکافی: ج ۷، ص ۲۱۶-۲۱۷.

إلغاء الحدّ مع الاضطرار

قد يضطر الإنسان إلى ارتكاب المعصيه، و حينئذ فلا حدّ عليه.. هكذا كان حكم الإمام على عليه السّلام، فقد أفتى بأن كل من يستكره على ذنب، يعفى من العقاب، و يعاقب من أكرهه..

فإذا اضطر أجير على السرقه لأنه لم يجد ما يأكله، لم تقطع يده، و إنما قطعت يد الذى استأجره و لم يعطه أجره، فهو الذى أكرهه على السرقه.. أو بالقليل وجب عليه التعويض مضعفا!(١)..

و قد روى فى ذلك أنّ امرأه شهد عليها الشهود أنّهم وجدوها فى بعض مياه العرب مع رجل يطأها ليس ببعل لها، و كانت ذات بعل فأمر عمر بن الخطاب برجمها بعد اعتراف الشهود عليها.

فقالت: اللّهمّ إنّك تعلم أنّى بريئه.

١- على إمام المتّقين: ج ١، ص ١٠٨.

فغضب عمر و قال: و تجرح الشهود أيضا؟

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: «ردّوها و اسألوها فلعلّ لها عذرا».

فردّت و سئلت عن حالها، فقالت:

كـان لأهلي إبل، فخرجت في إبل أهلي و حملت معي ماء، و لم يكن في إبل أهلي لبن، و خرج معي خليطنا و كان في إبله لبن، فنفد مائي فاستسقيته، فأبى أن يسقيني حتى أمكّنه من نفسي، فأبيت، فلمّا كادت نفسي تخرج أمكنته من نفسي كرها.

فقال أمير المؤمنين عليه السّلام: اللّه أكبر فَمَنِ اضْطُرَّ غَيْرَ باغٍ وَ لا عادٍ فَلا إِثْمَ عَلَيْهِ (۱).

فلما سمع ذلك عمر خلّى سبيلها(۲).

ص:۲۶۴

۱- سوره البقره، الآیه: ۱۷۳.

۲- الإرشاد - للمفيد - ص ۹۸-۹۹.

إثاره الوجدان و الضمير للتراجع عن الرجل

قد يرتكب الإنسان ذنبا، و يصرّ عليه، إلاّ أن ضميره يبقى حيا، يمكن إثارته، للردع عن الذنب، و التوبه من الاستمرار فيه هذا ما فعله الإمام على عليه السّلام فى الحادثه التاليه:

روى عن عاصم بن ضمره السلولىّ قال: سمعت غلاما بالمدينه و هو يقول: يا أحكم الحاكمين احكم بينى و بين أمّى.

فقال له عمر بن الخطّاب: يا غلام لم تدعو على أمّك؟

فقال يا أمير المؤمنين: إنّها حملتنى فى بطنها تسعا و أرضعتنى حولين كاملين، فلمّا ترعرعت و عرفت الخير من الشرّ و يمينى عن شمالى طردتنى و انتفت منّى، و زعمت أنّها لا تعرفنى.

فقال عمر: أين تكون الوالده؟

قال: فى سقيفه بنى فلان.

ص:۲۶۵

فقـال عمر: علیّ بأمّ الغلام: فأتوا بها مع أربعه إخوه لها و أربعین قسامه یشـهدون لها أنّها لا تعرف الصبی، و أنّ هـذا الغلام مـدّع ظلوم غشوم یرید أن یفضحها فی عشیرتها، و أن هذه جاریه من قریش لم تتزوّج قطّ، لأنّها بختام ربّها.

فقال عمر: یا غلام ما تقول؟

فقال: یا أمیر المؤمنین هذه و اللّه أمّی حملتنی فی بطنها تسعا و أرضـعتنی حولین کاملین، فلمّا ترعرعت و عرفت الخیر و الشرّ و یمینی من شمالی طردتنی و انتفت منّی، و زعمت أنها لا تعرفنی.

فقال عمر: یا هذه ما یقول الغلام؟

فقالت: یا أمیر المؤمنین و الـذی احتجب بالنور فلا عین تراه و حقّ محمّـد ما أعرفه و لا أدری من أیّ الناس هو، و إنّه غلام یرید أن یفضحنی فی عشیرتی، و أنا جاریه من قریش لم أتزوّج قطّ، و إنّی بخاتم ربّی.

فقال عمر: ألک شهود؟

فقالت: نعم هؤلاء، فتقـدّم الأربعون قسامه فشـهدوا عنـد عمر أنّ الغلام مدّع یرید أن یفضـحها فی عشـیرتها، و أنّ هذه جاریه من قریش لم تتزوّج قطّ، و أنّها بخاتم ربّها.

ص:۲۶۶

فقال عمر: خذوا بيد الغلام و انطلقوا به إلى السجن حتّى نسأل عن الشهود، فإن عدلت شهادتهم جلدته حدّ المفترى.

فأخذوا بيد الغلام و انطلقوا به إلى السجن فتلقّاهم أمير المؤمنين عليه السّلام فى بعض الطريق، فنادى الغلام: يا ابن عمّ رسول اللّه إنّى غلام مظلوم، فأعاد عليه الكلام الذى تكلّم به عمر، ثم قال: و هذا عمر قد أمر بى إلى السجن.

فقال علىّ عليه السّلام: ردّوه إلى عمر، فلمّا ردّوه قال لهم عمر:

أمرت به إلى السجن فرددتموه إلىّ؟

فقالوا: يا أمير المؤمنين أمرنا على بن أبى طالب أن نردّه إليك، فسمعناك تقول: أن لا تعصوا لعلىّ أمرا.

فبينا هم كذلك إذ أقبل على عليه السّلام فقال: علىّ بأمّ الغلام، فأتوا بها، فقال على عليه السّلام: يا غلام ما تقول؟ فأعاد الكلام على على عليه السّلام، فقال على عليه السّلام لعمر: أتأذن لى أن أقضى بينهم؟ فقال عمر: سبحان اللّه و كيف لا و قد سمعت المجتمع يقول:

أعلمكم على بن أبى طالب عليه السّلام؟

فقال علىّ للمرأه: يا هذه المرأه ألك شهود؟ قالت: نعم.

فتقدّم الأربعون قسامه فشهدوا بالشهاده الأولى.

فقال على عليه السّلام: لأقضينّ اليوم بينكم بقضيّه هى مرضاه الربّ من فوق عرشه، علّمنيها حبيبى رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

ص:۲۶۷

ثم قال لها: أ لک ولیّ؟ قالت: نعم هؤلاء إخوتی.

فقال لإخوتها أمری فیکم و فی أختکم جائز؟

قالوا: نعم یا ابن عمّ محمّد أمرک فینا و فی أختنا جائز.

فقال علی علیه السّلام: أشهد اللّه و أشهد من حضر من المسلمین أنّی قد زوّجت هذا الغلام من هذه الجاریه بأربعمائه درهم و النقد من مالی.

ثم نادی یا قنبر علیّ بالدراهم، فأتاه قنبر بها فصبّها فی ید الغلام، قال الإمام للغلام: خذها فصبّها فی حجر امرأتک، و لا تأتنا إلاّ و بک أثر العرس – یعنی الغسل –، فقام الغلام فصبّ الدراهم فی حجر المرأه ثمّ تلبّبها و قال لها: قومی.

فنادت المرأه: النار النار یا ابن عمّ محمّد أترید أن تزوّجنی من ولدی؟ هذا و اللّه ولدی زوّجنی إخوتی هجینا فولدت منه هذا، فلمّا ترعرع و شبّ أمرونی أن أنتفی منه و أطرده، و هذا و اللّه ولدی، و فؤادی یتغلّی أسفا علی ولدی، ثمّ أخذت بید الغلام و انطلقت، و نادی عمر: «لو لا علیّ لهلک عمر»(۱).

۱- التهذیب: ج ۲، ص ۹۲-۹۳.

اعتماد الحقائق العلميه فى المسائل القضائيه

مما لا شكّ فيه أن حياه الفرد، تتأثر بأعمال والديه، قوه و ضعفا. فالأطفال الّذين يولدون من زوجين شابّين يختلفون عن الأطفال الّذين يولدون من زوجين جاوزا مرحله الشباب إلى الشيخوخه(۱).

كما أن الأطفال الّذين يولدون من زوجين فى ريعان الشباب يعيشون، عاده، أطول من الّذين يولدون من زوجين يقتربان من مرحله الشيخوخه، و بذلك فاحتمال زياده مدى حياه الأبناء تقلّ تبعا لزياده الترتيب الميلادى للطفل، أى إن مدى حياه الطفل الأول، أكبر من مدى حياه الطفل الأخير،

ص:۲۶۹

۱- Baujat.P.-comment de PrePar a la Retraite ۱۹۶۳.

و نسبه الأطفال المشوّهين و المعتوهين، تزداد تبعا لزياده عمر الأم.. أيضا(۱).

و من هنا فإن الوهن يدبّ فی الطفل الذی یکون أحد أبویه طاعنا فی السن، أکثر من أترابه الّذین یکون آباؤهم فی ریعان الشباب.

و لقد استخدم الإمام علی علیه السّلام هذه الحقیقه لدرء الحدّ عن امرأه اتهمت بالزنی فی عهد عمر.

و إلیکم قصتها حسب نصها التاریخی:

أتی عمر بامرأه تزوجها شیخ، فلمّا أن واقعها مات علی بطنها، فجاءت بولد، فادّعی بنوه أنّها فجرت، و تشاهدوا علیها، فأمر بها عمر أن ترجم.

فمرّ بها علی علیه السّلام فقالت:

یا ابن عمّ رسول اللّه إننی لست بزانیه، ولی علی ذلک حجّه.

فقال: هاتی حجّتک، فدفعت إلیه کتابا فقرأه فقال:

هذه المرأه تعلمکم بیوم تزوّجها و یوم واقعها زوجها، و کیف کان جماعه لها، ردّوا المرأه.

۱- الأسس النفسیه للنموّ: ص ۶۵.

فلمّا كان من الغد دعا بصبيان أتراب و دعا بالصبىّ معهم، فقال لهم:

العبوا، حتّى إذا ألهـاهم اللعب فقـال لهم: اجلسوا، حتى إذا تمكّنوا صـاح بهم بـأن قوموا، فقـام الصبيـان و قـام الغلاـم فأتّكـأ على راحتيه، فدعا به علىّ عليه السّلام فورّثه من أبيه و جلد إخوته حدّ المفترى.

فقال له عمر: كيف صنعت؟

قال: عرفت ضعف الشيخ (أى أبوه) فى اتّكاء الغلام على راحتيه(١).

١- التهذيب: ج ٢، ص ٩٣.

التشدّد مع المحتالين و الذين يؤذون الناس

فی كل مجتمع هنالك من يرضى لنفسه بأن يعيش على الاحتيال و كسب المال عن طريق الدّجل، و الخديعه، و الفساد.

و كما يجب أن نكون رحماء مع الناس، فلا بـد أن نكون أشدّاء مع المحتالين، لأن التساهل مع أمثالهم يؤدّى إلى يأس المحسـن و تشجيع المسیء..

فلا بد من إيذاء، من يؤذى الناس، و الضرب بيد من حديد لكل من تسوّل له نفسه الاحتيال، و العيش على حساب الآخرين..

و هكذا كان الإمام(۱) على عليه السّلام و من ذلک ما روى أن

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۷۵.

رجلین، احتالا علی الناس، فأصابا منهم أموالا طائله و ذلک أن کل واحـد منهما کان یبیع الآخر علی أنه عبـد، ثم یهربان من بلد إلی بلد، یکرران الفعل نفسه، فحکم الإمام بقطع أیدیهما، لأنهما سارقان لأموال الناس!..

و من ذلک أیضا ما روی: إنّ رجلا قال لرجل - فی عهد أمیر المؤمنین علیه السّلام:

إنّی احتلمت بأمّک.

فرفعه إلی أمیر المؤمنین علیه السّلام قال: إنّ هذا افتری علی أمّی.

فقال له الإمام:

و ما قال لک؟

قال: زعم أنّه احتلم بأمّی.

فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: فی العـدل إن شئت أقمته لک فی الشـمس فاجلد ظلّه، فإنّ الحلم مثل الظلّ، و لکنّا سنضـربه حتّی لا یعود یؤذی المسلمین.

و فی روایه أخری أن الإمام ضربه ضربا وجیعا(۱).

***

إن إیذاء الناس، و إهانتهم، و الاحتیال علیهم أمور

۱- فروع الکافی: ج ۷، ص ۲۶۳.

محرّمه، و علیها العقاب فأعراض الناس محترمه، کما هی دماؤهم، و أموالهم.. وَ الَّذِینَ یُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِینَ وَ الْمُؤْمِناتِ بِغَیْرِ مَا اکْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتاناً وَ إِثْماً مُبِیناً (۱) ، فلا یحل لمسلم أن یروّع مؤمنا(۲). بل إن «من نظر إلی مؤمن نظره یخیفه بها أخافه اللّه تعالی یوم لا ظلّ إلاّ ظلّه»(۳). و «من أحزن مؤمنا ثم أعطاه الدّنیا لم یکن ذلک کفّارته و لم یؤجر علیه»(۴) لأن «المؤمن نفسه منه فی تعب و الناس منه فی راحه»(۵) ، بینما «أذلّ الناس من أهان الناس»(۶).

و لقد کان الإمام شدیدا مع من یؤذی.

و من ذلک ما روی: أن أمیر المؤمنین توضأ مع الناس فی میضأه المسجد، فزحمه رجل، فرمی به.

فأخذ الدره فضربه، ثم قال له: «لیس هذا لما صنعت بی، و لکن یجیء من هو أضعف منی فتفعل به مثل هذا فتضمن»(۷).

۱- سوره الأحزاب، الآیه: ۵۸.

۲- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۴۸.

۳- الوسائل: ج ۸، ص ۶۱۴.

۴- بحار الأنوار: ج ۷۵، ص ۱۵۰.

۵- المصدر السابق، ص ۵۳.

۶- بحار الأنوار: ج ۷۸، ص ۱۹۲.

۷- السیاسه من واقع الإسلام: ص ۱۷۹.

و من ذلک أیضا ما روی أن امرأه تزوّجت فی عصر الإمام، فلما کانت لیله زفافها أدخلت صدیقها مخدعها سرا، و دخل الزوج المخدع فوجد العشیق فاقتتلا، فقتل الزوج غریمه فقتلت المرأه زوجها. فقضی الإمام علیه السّلام حینما رفعت القضیه إلیه بقتل المرأه اقتصاصا لزوجها الذی قتلته، و قضی بإعطاء الدیّه لأهل العشیق علی المرأه، لأنها هی التی عرّضته لأن یقتله زوجها فهی المتسببه فی قتله، أما الزوج فإنما قتل غریمه دفاعا عن العرض. فهو قتل مشروع لا عقاب علیه و لا دیّه و لا تعویض(۱).

ص:۲۷۵

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۷۵.

الاقتصاص من الباطل

كان شديدا فى الاقتصاص من الباطل، و هو القائل:

«و أيم اللّه لأبقرنّ الباطل حتى أخرج الحق من خاصرته»(۱) فلم يكن يسمح لأحد أن يظلم أحدا ثمّ يهرب من القصاص..

و كان يتدخل فى أى صراع لينصر المظلوم، و ينتقم من الظالم..

من ذلک ما نقله الطبرى عن بعض الأسانيد حيث قال:

رأيت عليّا عليه السّلام خارجا من همدان، فرأى فتيين يقتتلان، ففرّق بينهما، ثم مضى فسمع صوتا: «يا غوثاه باللّه..» فخرج عليه السّلام يركض نحوه حتى سمعت خفق نعله، و هو يقول: «أتاک الغوث». فإذا رجل يلازم رجلا (يمسک به) فقال للإمام:

«يا أمير المؤمنين.. بعت هذا ثوبا بتسعه دراهم،

۱- نهج البلاغه: الخطب ۱۰۴.

و شرطت علیه ألّا یعطینی مغموزا و لا مقطوعا، فأتیته بهذه الدراهم یبدّلها لی فأبی، فلزمته، فلطمنی».

فقال الإمام لغریمه: «ابدله له».

ثم سأل المشتکی: «أین بیّنتک علی اللطمه»؟ فأتی الرجل بها.

فقال له الإمام: «دونک، فاقتص»!

قال المشتکی: «یا أمیر المؤمنین.. قد عفوت عنه».

فقال له الإمام: «إنّما أردت أن أحتاط فی حقک.

فاذهب».

و فیما کان الرجل یهمّ بالذهاب، رفع الإمام درّته، و بدأ یضرب غریمه تسع درّات.

فقال المشتکی: «یا أمیر المؤمنین، ألم أعف عنه».

قال الإمام علیه السّلام: «بلی.. و لکنک عفوت عن حق الرعیّه، و هذا حق الرّاعی»(۱).

ففی ظل دوله الحق، لا یجوز أن یلطم رجل صاحبه علی باطل ثم تحت الخوف منه، یعفو عنه، و لا یجد عقابا..

إن حق الراعی هنا أن یمنع وقوع مثل ذلک بتسع سیاط من درّته.

***

۱- عبقریه الإمام علی علیه السّلام، ص ۱۷۳.

و «من ذلک أیضا أن رجلا فرّ من رجل یرید قتله، فأمسکه له آخر حتی أدرکه فقتله، و کان بقربه رجل ینظر إلیهما، و هو یقدر علی إنقاذه، و لکنه وقف ینظر.

فأفتی الإمام علی علیه السّلام بأن یقتل القاتل، و یحبس الذی أمسک به حتی مکّن القاتل من قتله، حتی یموت، و تفقأ عین الناظر الذی وقف ینظر إلی الجریمه، و لم یمنع وقوعها و هو قادر علی ذلک بلا حرج!»(۱).

إن الظالم یجب أن یعاقب علی ظلمه، حتی لا یصاب المظلومون بالیأس، و یتشجّع الظالمون علی ظلمهم..

یقول الإمام علیه السّلام: «و أیم اللّه، لأنصفنّ المظلوم من ظالمه، و لأقودنّ الظالم بخزامته (شعره) حتی أورده مناهل الحق و إن کان کارها»(۲).

و یقول: «فلأنقّبن الباطل حتی یخرج الحق من جنبه»(۳).

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۷۵.

۲- الإرشاد: ص ۱۴۲.

۳- الخصائص: ص ۷۰.

ثلاث نساء و ثلاث قضايا

اشاره

كان الإمام على عليه السّلام يوصى بالنساء خيرا، و يقول: «إن المرأه ريحانه و ليست بقهرمانه»(۱).

و يقول: «و لا تهيجوا النساء بأذى و إن شتمن أعراضكم و سببن أمراءكم».

و يقول: «اللّه.. اللّه فى النساء، فإن آخر ما تكلّم به نبيّكم أن قال: «أوصيكم بالضعيفين: المرأه و اليتيم»(۲).

و كما يقول أحدهم: «كانت للإمام فطره الفارس المطبوع فى آداب الفروسيه، و منها التلطّف بالمرأه و الصفح عن عدوانها، فما انتقم قطّ من امرأه لأنها أساءت إليه، و لا غفل قط عن الوصيه بها فى موطن يستدعى هذه الوصيّه، بالرغم من

۱- نهج البلاغه: الكتب، ص ۳۱.

۲- الفتوح: ج ۳، ص ۴۴.

أن الإمام واجه حربا ضروسا من امرأه و هى عائشه، كما كانت حياته الغاليه مهرا لامرأه و هى قطام»(۱).

و لقد كانت مواقفه مع المرأه، مواقف متميّزه، متواضعه، معطاءه.

ثلاث نماذج من مواقفه مع المرأه

اشاره

و فيما يلى ثلاث نماذج منها:

الأولى - مع شاكيه.

و الثانيه - مع أرمله.

و الثالثه - مع زانيه.

أمّا الأولى اى

مع شاكيه

فتتلخّص، من أن امرأه شكت إلى الإمام أمر أحد ولاته الكبار، و هو والى صدقاته على الأهواز، و كانت تحت سلطته منطقه واسعه جدا، و بالرغم من أن ما اشتكت منه لا يعتبر فى أى منطق جريمه كبرى يعاقب عليها بالعزل من منصبه، إلّا أن الإمام لم يتردّد أبدا فى إصدار أمر العزل له، و قد سلّم كتاب عزله إلى نفس المرأه التى اشتكت منه، بعد أن اعتذر إلى اللّه تعالى من فعله..

و لنستمع إلى صاحبه الشكايه، و قد روت القصه لألدّ أعداء الإمام، و هو «معاويه»، و ذلك بعد مقتل الإمام و فيما يلى النص التاريخى:

ص:۲۸۰

۱- عبقريه الإمام على عليه السّلام: ص ۲۱۲.

«دخلت سوده بنت عماره الهمدانيّه على معاويه بعد موت علىّ، فجعل يؤنّبها على تحريضها عليه أيّام صفّين، و آل أمره إلى أن قال:

ما حاجتك؟

قالت: إنّ اللّه مسائلك عن أمرنا و ما افترض عليك من حقّنا، و لا يزال يقدم علينا من قبلك من يسمو بمكانك، و يبطش بقوّه سلطانك، فيحصدنا حصد السنبل، و يدوسنا دوس الحرمل، يسومنا الخسف، و يذيقنا الحتف، هذا «بسر بن أرطأه» قدم علينا فقتل رجالنا، و أخذ أموالنا، و لو لا الطاعه لكان فينا عزّ و منعه، فإن عزلته عنّا شكرناك و إلّا كفّرناك.

فقال معاويه: إيّاى تهدّدين بقومك يا سوده؟ لقد هممت أن أحملك على قتب أشوس فأردّك إليه فينّفذ فيك حكمه.

فأطرقت سوده ساعه، ثمّ قالت:

صلّى الإله على روح تضمّنها قبر فأصبح فيه العدل مدفونا

قد حالف الحقّ لا يبغى به بدلا فصار بالحقّ و الإيمان مقرونا

فقال معاويه:

من هذا يا سوده؟

قالت: هو و اللّه أمير المؤمنين علىّ بن أبى طالب.

و اللّه لقد جئته فی رجل کان قد ولّاه صدقاتنا فجار علینا، فصادفته قائما یصلّی، فلمّا رآنی انفتل من صلاته! ثمّ أقبل علیّ برحمه و رفق و رأفه و تعطّف. و قال:

ألک حاجه؟

قلت: نعم، فأخبرته الخبر، فبکی ثمّ قال:

اللّهمّ أنت الشاهد علیّ و علیهم، و أنّی لم آمرهم بظلم خلقک و لا بترک حقک، ثم أخرج قطعه جلد فکتب فیها:

«بسم اللّه الرحمن الرحیم، قَدْ جاءَتْکُمْ بَیِّنَهٌ مِنْ رَبِّکُمْ فَأَوْفُوا الْکَیْلَ وَ الْمِیزانَ وَ لا تَبْخَسُوا النّاسَ أَشْیاءَهُمْ وَ لا تُفْسِدُوا فِی الْأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِها ذلِکُمْ خَیْرٌ لَکُمْ إِنْ کُنْتُمْ مُؤْمِنِینَ (۱) ، فإذا قرأت کتابی هـذا فاحتفظ بما فی یدک من علمنا حتّی یقدم علیک من یقبضه منک، و السّلام».

ثم دفع الرقعه إلیّ، فو اللّه ما ختمها بطین و لا خزمها فجئت بالرّقعه إلی صاحبه فانصرف عنّا معزولا.

فقال معاویه: اکتبوا لها کما ترید، و اصرفوها إلی بلدها غیر شاکیه(۲).

۱- سوره الأعراف، الآیه: ۸۵.

۲- کشف الغمّه: ص ۵۰.

أما مع الأرمله:

فقد كان الإمام على عليه السّلام بالرغم من قوه شخصيته، و جلاله سلطانه، و عظمه مكانه، لا يتمالك نفسه أمام امرأه محتاجه، فيترك كل أموره ليرفع حاجتها و يسدّ عوزها، بل و يبكى إذا واجه موقفا من أمثال ذلك..

و كما وصفه «حريث» فقد كان على عليه السّلام بشره دائم، و ثغره باسم، غيّث لمن رغب، و غيّاث لمن ذهب، مآل الآمل، و ثمال الأرامل، يتعطّف على رعيته، و يتصرف للمحتاج على مشيته، و يكفيه مهجته»(۱).

و فيما يلى قصه امرأه أرمله، رآها الإمام صدفه فى الطريق و هى تحمل على كتفها قربه ماء، فهاله منظرها، فحمل عنها القربه، و بدأ يسألها عن أحوالها، و هى لم تكن تعرف الإمام شخصيا فسمع منها كلاما قاسيا، و لكنه لم يزدد إلّا تعطّفا عليها، و خدمه لها.

و لنستمع إلى النصّ التاريخى فى ذلك..

نظر على عليه السّلام إلى امرأه على كتفها قربه ماء، فأخذ منها القربه فحملها إلى موضعها. و سألها عن حالها فقالت:

بعث علىّ بن أبى طالب صاحبى إلى بعض الثغور فقتل،

۱- بحار الأنوار: ج ۴۱، ص ۵۲.

و ترک علیّ صبیانا یتامی، و لیس عندی شیء، فقد ألجأتنی الضروره إلی خدمه الناس.

فانصرف عنها الإمام علیه السّلام و بات لیلته قلقا، فلمّا أصبح حمل زنبیلا فیه طعام.

فقال بعضهم: أعطنی أحمله عنک.

فقال: من یحمل وزری عنّی یوم القیامه؟

فأتی و قرع الباب.

فقالت: من هذا؟

قال: أنا ذلک العبد الذی حمل معک القربه، فافتحی فإنّ معی شیئا للصبیان.

فقالت: رضی اللّه عنک و حکم بینی و بین علیّ بن أبی طالب!.

فدخل و قال:

إنّی أحببت اکتساب الثواب، فاختار بین أن تعجنین و تخبزین و بین أن تعلّلین الصبیان لأخبز أنا.

فقالت: أنا بالخبز أبصر و علیه أقدر، و لکن شأنک و الصبیان، فعلّلهم حتّی أفرغ من الخبز.

فعمدت إلی الدقیق فعجنته، و عمد علیّ علیه السّلام إلی اللّحم

فطبخه، و جعل يلقّم الصبيان من اللّحم و التمر و غيره، فكلّما ناول الصبيان من ذلک شيئا قال له:

يا بنى اجعل على بن أبى طالب فى حلّ ممّا مرّ من أمرک.

فلمّا اختمر العجين قالت:

يا عبد اللّه أسجر التنّور.

فبادر الإمام لسجره فلمّا أشعله و لفح فى وجهه جعل يقول:

ذق يا علىّ هذا جزاء من ضيّع الأرامل و اليتامى.

فرأته امرأه تعرفه فقالت للأرمله:

ويحک هذا أمير المؤمنين.

فبادرت المرأه إلى الإمام و هى تقول:

و احيائى منک يا أمير المؤمنين.

فقال: بل و احيائى منک يا أمه اللّه فيما قصّرت فى أمرک(۱).

أمّا الزانيه:

فهى امرأه متزوجه، زنت، فندمت، فأرادت أن تتطهّر من فعلتها، فجاءت إلى الإمام تعترف له بما فعلت و لكن الإمام تمنّى مرارا أن يدرأ عنها الحدّ. فكان يحوّل أمرها إلى «عمل

۱- مناقب آل أبى طالب: ج ۱، ص ۳۱۷-۳۱۹.

ما» معتبرا اعترافها فی کل مره تأتی إلیه، شهاده واحده، و الأمر یتطلب بالطبع أربع شهادات..

و مرّت أکثر من ثلاث سنوات منذ الشهاده الأولی، حتی أجری الإمام الحدّ علیها بعد إصرارها المتکرّر، و اکتمال الشهادات أربعا.

و فیما یلی النص التاریخی لقصتها:

أتت امرأه مجحّ أمیر المؤمنین علیه السّلام، فقالت:

یا أمیر المؤمنین إنّی زنیت فطهّرنی طهّرک اللّه، فإنّ عذاب الدنیا أیسر من عذاب الآخره الذی لا ینقطع.

فقال لها: ممّا أطهّرک؟

فقالت: إنّی زنیت.

فقال لها: أو ذات بعل أنت أم غیر ذلک؟ قالت: بل ذات بعل.

فقال لها: أفحاضرا کان بعلک إذ فعلت ما فعلت أم غائبا کان عنک؟

فقالت: بل حاضرا.

فقال لها: انطلقی فضعی ما فی بطنک ثمّ ائتنی أطهّرک.

فلمّا ولّت عنه المرأه فصارت حیث لا تسمع کلامه قال:

اللّهمّ إنّها شهاده.

فلم یلبث أن أتته فقالت:

قد وضعت فطهّرنی.

فتجاهل علیها، فقال:

أطهّرک یا أمه اللّه ممّاذا؟

فقالت: إنّی زنیت فطهّرنی.

فقال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم، قال: أفکان زوجک حاضرا أم غائبا؟

قالت: بل حاضرا.

قال: فانطلقی فأرضعیه حولین کاملین کما أمرک اللّه.

فانصرفت المرأه، فلما صارت منه حیث لا تسمع کلامه قال:

اللّهمّ إنّها شهادتان.

فلمّا مضی حولان أتت المرأه فقالت:

قد أرضعته حولین فطهّرنی یا أمیر المؤمنین.

فتجاهل علیها و قال:

أطهّرک ممّاذا؟

قالت: إنّی زنیت فطهّرنی.

فقال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟

فقالت: نعم.

قال: أو كان بعلك غائبا إذ فعلت ما فعلت أو حاضرا؟

قالت: بل كان حاضرا.

قال: انطلقى فاكفليه حتّى يعقل أن يأكل و يشرب و لا يتردّى من سطح و لا يتهوّر فى بئر.

فانصرفت و هى تبكى، فلمّا ولّت فصارت حيث لا تسمع كلامه قال:

اللّهمّ إنّها ثلاث شهادات.

فاستقبلها عمرو بن حريث المخزومىّ فقال لها:

ما يبكيك يا أمه اللّه و قد رأيتك تختلفين إلى علىّ تسألينه أن يطهّرك؟

فقالت: إنّى أتيت أمير المؤمنين عليه السّلام فسألته أن يطهّرنى فقال:

اكفلى ولدك حتى يعقل أن يأكل و يشرب و لا يتردّى من سطح و لا يتهوّر فى بئر، و قد خفت أن يأتى علىّ الموت و لم يطهّرنى.

فقال لها عمرو بن حريث: ارجعى إليه فأنا أكفله.

فرجعت فأخبرت أمير المؤمنين عليه السّلام بقول عمرو، فقال لها أمير المؤمنين عليه السّلام و هو متجاهل عليها:

و لم يكفل عمرو ولدك؟

ص:٢٨٨

فقالت: یا أمیر المؤمنین إنّی زنیت فطهّرنی.

فقال: أو ذات بعل أنت إذ فعلت ما فعلت؟

قالت: نعم.

قال: أفغائبا کان بعلک إذ فعلت ما فعلت أم حاضرا؟

فقالت: بل حاضرا.

فرفع رأسه علی علیه السّلام إلی السماء و قال:

«اللّهمّ إنه قد ثبت لک علیها أربع شهادات، و إنّک قد قلت لنبیّک صلّی اللّه علیه و آله و سلّم فیما أخبرته به من دینک: «یا محمّد من عطّل حدّا من حدودی فقد عاندنی، و طلب بذلک مضادّتی» اللّهمّ فإنّی غیر معطّل حدودک و لا طالب مضادّتک، و لا مضیّع لأحکامک بل مطیع لک و متّبع سنّه نبیّک.

فنظر إلیه عمرو بن حریث و کأنّما الرّمان یفقأ فی وجهه فلمّا نظر إلی ذلک عمرو قال:

یا أمیر المؤمنین إنّنی إنما أردت أن أکفله إذ ظننت أنّک تحبّ ذلک، فأمّا إذا کرهته فإنّی لست أفعل.

فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام: «أبعد أربع شهادات؟ و اللّه لتکفلنّه و أنت صاغر».

ثم أن الإمام قال لقنبر: یا قنبر ناد فی الناس: الصلاه جامعه.

فنادى قنبر فى الناس، فاجتمعوا حتّى غصّ المسجد بأهله، و قام أمير المؤمنين عليه السّلام فحمد اللّه و أثنى عليه، ثم قال:

أيّها الناس إن إمامكم خارج بهذه المرأه إلى ظهر الكوفه ليقيم عليها الحدّ إن شاء اللّه، فعزم عليكم أمير المؤمنين لمّا خرجتم و أنتم متنكّرون و معكم أحجاركم لا يتعرّف منكم أحد إلى أحد حتّى تنصرفوا إلى منازلكم إن شاء اللّه.

فلمّا أصبح الناس بكره خرج بالمرأه، و خرج الناس متنكّرين متلثّمين بعمائمهم و بأرديتهم، و الحجاره فى أرديتهم و فى أكمامهم حتّى انتهى بها، و الناس معه إلى الظهر بالكوفه، فأمر أن يحفر لها حفيره، ثمّ دفنها فيها، ثم ركب بغلته و أثبت رجله فى غرز الركاب، ثم وضع إصبعيه السبّابتين فى أذنيه، ثم نادى بأعلى صوته:

يا أيها الناس إنّ اللّه تبارك و تعالى عهد إلى نبيّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عهدا عهده محمد صلّى اللّه عليه و آله و سلّم إلىّ بأنه لا يقيم الحدّ من للّه عليه حدّ، فمن كان للّه عليه مثل ما له عليها فلا يقيم عليها الحدّ.

فانصرف الناس يومئذ كلّهم ما خلا أمير المؤمنين و الحسن و الحسين (صلوات اللّه عليهم)، فأقام هؤلاء الثلاثه عليها الحدّ يومئذ و ما معهم غيرهم(۱).

۱- فروع الكافى: ج ۷، ص ۱۸۷.

التدقیق فی الشهود للاحتیاط فی إجراء الحدود

إجراء أحکام اللّه تعالی فی الموبقات یجب أن یتم فی منتهی الحیطه و الحذر حتی لا یعاقب البریء فإفلات المذنب أفضل من معاقبه من لا یستحقها..

و لذلک کان لا بدّ من شهود.

و لا بد أن یکتمل العدد.

و لا بدّ أن تتّفق شهاداتهم.

و لا بدّ أن یکونوا صادقین، یعرف ذلک منهم سلفا.

و لا بدّ من الاطمئنان إلی شهاداتهم.

فاتهام الشهود خیر من إجراء الحدود علی الأبریاء.

و یظهر من حوادث کثیره وقعت فی عهد الإمام علی علیه السّلام أنه کان «یتّهم الشهود» و لا یأخذ بشهادتهم إلّا بعد تمحیص

کبیر، و تدقیق فی شهاداتهم، حتی لا یعاقب بریئا فی حدّ من حدود اللّه تعالی.

و فیما یلی نموذج من ذلک، حیث استخدم علیه السّلام أسلوب التفریق بین الشهود لکشف الحقیقه..

أتی عمر بن الخطاب بجاریه قد شهدوا علیها أنها بغت، و کان من قصّتها أنها کانت یتیمه عند رجل، و کان الرجل کثیرا ما یغیب عن أهله، فشبّت الیتیمه فتخوّفت المرأه أن یتزوّجها زوجها، فدعت بنسوه حتی أمسکنها فأخذت عذرتها بإصبعها، فلمّا قدم زوجها من غیبته رمت المرأه الیتیمه بالفاحشه، فأقامت البیّنه من جاراتها اللّاتی ساعدنها علی ذلک.

فرفع ذلک إلی عمر فلم یدر کیف یقضی فیها، ثم قال للرجل: ائت علی بن أبی طالب و اذهب بنا إلیه، فأتوا علیّا علیه السّلام و قصّوا علیه القصّه، فقال لامرأه الرجل: ألک بیّنه أو برهان؟

قالت: لی شهود هؤلاء جاراتی یشهدون علیها بما أقول، و أحضرتهنّ.

فأخرج علی علیه السّلام السیف من غمده فطرح بین یدیه، و أمر بکلّ واحده منهنّ فأدخلت بیتا، ثمّ دعا امرأه الرجل فأدارها

بكلّ وجه فأبت أن تزول عن قولها فردّها إلى البيت الذى كانت فيه، و دعا إحدى الشهود و جثا على ركبتيه، ثم قال:

«تعرفينى؟ أنا على بن أبى طالب، و هذا سيفى، و قد قالت امرأه الرجل ما قالت، و رجعت إلى الحقّ، فأعطيتها الأمان، و إن لم تصدّقينى لأمكنّن السيف منك».

فالتفتت إلى عمر فقالت: يا أمير المؤمنين الأمان على الصدق.

فقال لها على عليه السّلام: فاصدقى.

فقالت: لا- و اللّه إن اليتيمه ما فعلت فاحشه إلاّ أن زوجه الرجل رأت فيها جمالا و هيئه فخافت فساد زوجها، فسقتها المسكر و دعتنا فأمسكناها، فافتضتها بإصبعها.

فقال علىّ عليه السّلام: اللّه أكبر أنا أوّل من فرّق بين الشهود إلاّ دانيال النبىّ صلّى اللّه عليه و آله و سلّم.

و ألزمهنّ جميعا العقر، و جعل عقرها أربع مائه درهم، و أمر المرأه أن تنفى من الرجل و يطلّقها زوجها، و زوّجه الجاريه و ساق عنه علىّ عليه السّلام المهر..

فقال عمر: يا أبا الحسن فحدّثنا بحديث دانيال عليه السّلام.

قال: إنّ دانيال كان يتيما لا أمّ له و لا أب، و إنّ امرأه من بنى إسرائيل عجوزا كبيره ضمّته فربّته، و إنّ ملكا من ملوك بنى

إسرائيل كان له قاضيان، و كان لهما صديق، و كان رجلا صالحا و كانت له امرأه بهيه جميله و كان يأتى الملك فيحدّثه، فاحتاج الملك إلى رجل يبعثه فى بعض أموره، فقال للقاضيين اختارا رجلا أرسله فى بعض أمورى فأشارا إليه بشخص، فوجّهه الملك.

فقال الرجل للقاضيين: أوصيكما بامرأتى خيرا، فقالا:

نعم، فخرج الرجل، فكان القاضيان يأتيان باب الصديق، فعشقا امرأته فراوداها عن نفسها فأبت.

فقالا لها: و اللّه لئن لم تفعلى لنشهدنّ عليك عند الملك بالزنى، ثم ليرجمنّك.

فقالت: افعلا ما أحببتما.

فأتيا الملك فأخبراه و شهدا عنده أنّها بغت فدخل الملك من ذلك أمر عظيم و اشتدّ بها غمّه، و كان بها معجبا، فقال لهما: إنّ قولكما مقبول و لكن ارجموها بعد ثلاثه أيّام، و نادى فى البلد الذى هو فيه: احضروا قتل فلانه العابده فإنّها قد بغت. و إنّ القاضيين قد شهدا عليها بذلك، و أكثر الناس فى ذلك.

و قال الملك لوزيره: ما عندك فى هذا من حيله؟ فقال: ما

ص:۲۹۴

عندى فى ذلک من شیء، فخرج الوزیر یوم الثالث و هو آخر أيّامها فإذا هو بغلمان عراه یلعبون و فیهم دانیال و هو لا یعرفه.

فقال دانیال: یا معشر الصبیان تعالوا حتّی أکون أنا الملک، و تکون أنت یا فلان العابده و یکون فلان و فلان القاضیین الشاهدین علیها، ثمّ جمع ترابا و جعل سیفا من قصب، و قال للصبیان: خذوا بید هذا فنحّوه إلی مکان کذا و کذا، و خذوا بید هذا فنحّوه إلی مکان کذا و کذا، ثم دعا بأحدهما فقال له: قل حقّا فإنّک إن لم تقل حقّا قتلتک، بم تشهد؟ - و الوزیر قائم یسمع و ینظر - فقال: أشهد أنها بغت، قال متی؟ قال: یوم کذا و کذا. قال: مع من؟ قال: مع فلان ابن فلان، قال: و أین؟ قال: موضع کذا و کذا. قال: ردّوه إلی مکانه و هاتوا الآخر، فردّوه إلی مکانه و جاؤوا بالآخر، فقال له: بم تشهد؟ قال: أشهد أنّها بغت، قال: متی؟ قال:

یوم کذا و کذا، قال: مع من؟ قال: مع فلان ابن فلان، قال:

و أین؟ قال: موضع کذا و کذا، فخالف کلامه کلام صاحبه، فقال دانیال: اللّه أکبر شهدا بزور، یا فلان ناد فی الناس إنّما شهدا علی فلانه بزور، فاحضروا قتلهما، فذهب الوزیر إلی الملک مبادرا فأخبره الخبر، فبعث الملک إلی القاضیین و فرّق بینهما ثم أخذ شهادتهما فاختلفا فی الشهاده کما اختلف

ص:۲۹۵

الغلامان، فنادی الملک فی الناس یعلمهم خبر القاضیین و کذبهما و أمر بقتلهما(۱).

***

و فی حادثه أخری مشابهه فرّق الإمام بین الشهود و دقّق فی أمورهم حتی کشف الحقیقه.. و هذا نصّها التاریخی:

روی «أنّ أمیر المؤمنین علیه السّلام دخل ذات یوم المسجد فوجد شابا حدثا یبکی و حوله قوم، فسأل أمیر المؤمنین علیه السّلام عنه فقال:

إنّ شریحا قضی علیّ قضیه لم ینصفنی فیها.

فقال: و ما شأنک؟

قال: إنّ هؤلاء النفر - و أومأ إلی نفر حضور - أخرجوا أبی معهم فی سفر فرجعوا و لم یرجع أبی، فسألتهم عنه فقالوا: مات، فسألتهم عن ماله الذی استصحبه فقالوا: ما نعرف له مالا.

فاستحلفهم شریح و تقدّم إلیّ بترک التعرّض لهم.

فقال أمیر المؤمنین علیه السّلام لقنبر: اجمع القوم و ادع لی شرطه الخمیس ثمّ جلس و دعا النفر و الشاب معهم، ثم سأله عمّا قال، فأعاد الدعوی و جعل یبکی و یقول:

۱- التهذیب: ج ۲، ص ۹۳-۹۴.

أنا و اللّه أتّهمهم على أبى يا أمير المؤمنين، فإنّهم احتالوا عليه حتّى أخرجوه معهم، و طمعوا فى ماله.

فسأل أمير المؤمنين عليه السّلام القوم فقالوا له - كما قالوا لشريح -:

مات الرجل و لا نعرف له مالا.

فنظر فى وجوههم ثمّ قال:

ماذا تظنّون؟ أتظنّون أنّى لا أعلم ما صنعتم بأب هذا الفتى إنّى إذا لقليل العلم؟

ثمّ أمر بهم أن يفرّقوا، ففرّقوا فى المسجد، و أقيم كلّ رجل منهم إلى جانب أسطوانه من أساطين المسجد، ثم دعا عبيد اللّه بن أبى رافع كاتبه يومئذ فقال له: اجلس، ثمّ دعا واحدا منهم فقال له:

أخبرنى و لا ترفع صوتك: فى أىّ يوم خرجتم من منازلكم و أبو هذا الغلام معكم؟

فقال: فى يوم كذا و كذا.

فقال لعبيد اللّه: اكتب، ثم قال له:

فى أىّ شهر كان؟ قال:

فى شهر كذا، قال: اكتب.

ثمّ قال: فى أىّ سنه؟

قال: فی سنه کذا، فکتب عبید اللّه ذلک کله.

قال: فبأیّ مرض مات؟

قال: بمرض کذا.

قال: فی أیّ منزل مات؟

قال: فی موضع کذا.

قال: من غسّله و کفّنه؟

قال: فلان.

قال: فبم کفّنتموه؟

قال: بکذا.

قال: فمن صلّی علیه؟

قال: فلان.

قال: فمن أدخله القبر؟

قال: فلان.

و عبید اللّه بن أبی رافع یکتب ذلک کلّه.

فلما انتهی إقراره إلی دفنه کبّر أمیر المؤمنین علیه السّلام تکبیره سمعها أهل المسجد ثمّ أمر بالرجل فردّ إلی مکانه، و دعا بآخر من القوم فأجلسه بالقرب منه، ثم سأله عمّا سأل الأوّل عنه، فأجاب بما خالف الأوّل فی الکلام کلّه، و عبید اللّه بن أبی رافع یکتب ذلک.

فلمّا فرغ من سؤاله كبّر تكبيره سمعها أهل المسجد، ثم أمر بالرجلين جميعا أن يخرجا من المسجد نحو السجن فيوقف بهما على بابه، ثم دعا بالثالث فسأله عمّا سأل الرجلين، فحكى خلاف ما قالا، و أثبت ذلك عنه، ثم كبّر و أمر بإخراجه نحو صاحبيه، و دعا برابع القوم فاضطرب قوله و تلجلج فوعظه و خوّفه، فاعترف أنّه و أصحابه قتلوا الرجل و أخذوا ماله، و أنّهم دفنوه فى موضع كذا و كذا بالقرب من الكوفه، فكبّر أمير المؤمنين عليه السّلام و أمر به إلى السجن، و استدعى واحدا من القوم و قال له:

زعمت أنّ الرجل مات حتف أنفه و قد قتلته أصدقنى عن حالك و إلاّ نكّلت بك، فقد وضح الحقّ فى قضيّتكم.

فاعترف من قتل الرجل بما اعترف به صاحبه، ثم دعا الباقين فاعترفوا عنده بالقتل و سقط فى أيديهم، و اتّفقت كلمتهم على قتل الرجل و أخذ ماله.

فأمر من مضى معهم إلى موضع المال الذى دفنوه، فاستخرجوه منه و سلّموه إلى الغلام ابن الرجل المقتول.

ثم قال له: ما الذى تريد؟ قد عرفت ما صنع القوم بأبيك.

قال: أريد أن يكون القضاء بينى و بينهم بين يدىّ اللّه:

عزّ و جلّ، و قد عفوت عن دمائهم فى الدنيا فدرأ عنهم أمير المؤمنين عليه السّلام حدّ القتل و أنهكهم عقوبه.

فقال شريح: يا أمير المؤمنين كيف هذا الحكم؟

فقال له: إنّ داود عليه السّلام مرّ بغلمان يلعبون و ينادون بواحد منهم يا «مات الدين» و الغلام يجيبهم، فدنا داود عليه السّلام منهم فقال له:

يا غلام ما اسمک؟

فقال: اسمى «مات الدين».

قال له داود: من سمّاک بهذا الاسم؟

قال: أمّى.

فقال داود: أين أمّک؟

قال: فى منزلها.

قال داود: انطلق بنا إلى أمّک، فانطلق به إليها فاستخرجها من منزلها، فخرجت، فقال لها:

يا أمه اللّه ما اسم ابنک هذا؟

قالت: اسمه «مات الدين».

قال لها داود عليه السّلام: و من سمّاه بهذا الاسم؟

قالت: أبوه.

قال لها: و ما كان سبب ذلک؟

قالت: إنّه خرج فی سفر له و معه قوم و أنا حامل بهذا الغلام، فجاء القوم و لم یأت زوجی معهم، فسألتهم عنه؟

قالوا: مات.

فسألتهم عن ماله؟ قالوا: ما ترک مالا.

فقلت لهم فهل أوصاکم بوصیّه؟

قالوا: زعم أنّک حبلی، فإن ولدت جاریه أو غلاما فسمّیه «مات الدین» فسمّیته کما وصّی و لم أحبّ خلافه.

فقال لها داود علیه السّلام: فهل تعرفین القوم؟

قالت: نعم.

قال: انطلقی مع هؤلاء - یعنی قوما بین یدیه - فاستخرجیهم من منازلهم.

فلمّا حضروا حکم فیهم بهذه الحکومه، فثبت علیهم الدم و استخرج منهم المال.

ثمّ قال لها: یا أمه اللّه سمّی ابنک هذا بعاش الدین(۱).

۱- بحار الأنوار: ج ۴۰، ص ۲۵۹-۲۶۰.

التوبه فی البیت أفضل من إقامه الحدّ علی الملأ

لیست الحدود فی الإسلام انتقاما من العصاه، بل هی وسیله لمنع ارتکاب الجرائم و المعاصی من قبل الناس، و زجرهم عن الانحراف، و من هنا کان الاعتراف بالمعصیه أمام الملأ حراما، و أمّا عند القاضی، فإن التوبه فی البیت أفضل بکثیر من الاعتراف له لإجراء الحدّ..

هذا بالإضافه إلی أن الحدود تدرأ بالشبهات..

فالتوبه باب مفتوح لکل العصاه لکی یلجوه، و یتخلّصوا من عذاب اللّه فی القیامه، و من العقاب فی الدنیا قُلْ یا عِبادِیَ الَّذِینَ أَسْرَفُوا عَلی أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَهِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ یَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِیعاً (۱)«و ما کان اللّه لیفتح باب التوبه و یغلق عنه

ص:۳۰۲

۱- سوره الزمر، الآیه: ۵۳.

باب المغفره»(۱) و «من أعطى التوبه لم يحرم القبول»(۲) ، «فطوبى لذى قلب سليم أطاع من يهديه و استفتح التوبه و أماط الحوبه»(۳).

و لهذا كله كانت التوبه أفضل من الاعتراف بالذنب، و تلقّى العقاب.

هكذا كان يرى الإمام على عليه السّلام فقد روى: «أن عليّا أمير المؤمنين عليه السّلام أتاه رجل بالكوفه فقال له:

يا أمير المؤمنين إنّى زنيت فطهّرنى قال: ممّن أنت؟

قال: من مزينه.

قال: أتقرأ من القرآن شيئا؟

قال: بلى.

قال: فاقرأ، فقرأ فأجاد.

فقال: أبك جنّه؟

قال: لا.

قال: فاذهب حتّى نسأل عنك فذهب الرجل ثم رجع إليه بعد فقال: يا أمير المؤمنين إنّى زنيت فطهّرنى.

فقال: ألك زوجه؟

۱- نهج البلاغه: الحكم، ۴۳۵.

۲- تذكره الخواص: ص ۶۳۳.

۳- شرح نهج البلاغه: ج ۳، ص ۲۳.

قال: بل.

قال: فمقيمه معک فی البلد؟

قال: نعم.

فأمره أمیر المؤمنین علیه السّلام فذهب و قال: حتی نسأل عنک.

فبعث إلی قومه فسأل عن خبره، فقالوا: یا أمیر المؤمنین صحیح العقل، فرجع إلیه الثالثه فقال له مثل مقالته.

فقال له: اذهب حتی نسأل عنک، فرجع إلیه الرابعه، فلمّا أقرّ قال أمیر المؤمنین علیه السّلام لقنبر: احتفظ به، ثمّ غضب ثمّ قال:

ما أقبح بالرجل منکم أن یأتی بعض هذه الفواحش فیفضح نفسه علی رؤوس الملأ: أ فلا تاب فی بیته؟ فو اللّه لتوبته فیما بینه و بین اللّه أفضل من إقامتی علیه الحدّ، ثم أخرجه و نادی فی الناس: «یا معشر الناس اخرجوا لیقام علی هذا الرجل الحدّ و لا یعرفنّ أحدکم صاحبه، فأخرجه إلی الجبّانه فقال: یا أمیر المؤمنین أنظرنی أصلّی رکعتین.

فصلّی رکعتین ثم وضعه فی حفرته، و استقبل الناس بوجهه فقال:

یا معاشر المسلمین إنّ هذا حق من حقوق اللّه فمن کان للّه

فی عنقه حقّ فلینصرف، و لا یقیم حدود اللّه من فی عنقه للّه حدّ.

فانصرف الناس و بقی هو و الحسن و الحسین علیهم السّلام، فأخذ حجرا فکبّر ثلاث تکبیرات ثمّ رماه بثلاثه أحجار فی کلّ حجر ثلاث تکبیرات، ثمّ رماه الحسن مثل ما رماه أمیر المؤمنین، ثم رماه الحسین فمات الرجل، فأخرجه أمیر المؤمنین علیه السّلام فأمر فحفر له و صلّی علیه و دفنه، فقیل:

یا أمیر المؤمنین ألا تغسّله؟

فقال: قد اغتسل بما هو طاهر إلی یوم القیامه. لقد صبر علی أمر عظیم(۱).

***

و فی حادثه أخری روی أنه بینا أمیر المؤمنین علیه السّلام فی ملأ من أصحابه إذ أتاه رجل فقال: یا أمیر المؤمنین إنّی أوقبت علی غلام فطهّرنی.

فقال له: یا هذا امض إلی منزلک لعلّ مرارا هاج بک.

فلمّا کان من غد عاد إلیه فقال له: یا أمیر المؤمنین إنّی أوقبت علی غلام فطهّرنی.

ص:۳۰۵

۱- فروع الکافی: ج ۷، ص ۱۸۸-۱۸۹.

فقال له: يا هذا امض إلى منزلك لعلّ مرارا هاج بك حتّى فعل ذلك ثلاثا بعد مرّته الأولى، فلمّا كان فى الرابعه قال له:

يا هذا إنّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حكم فى مثلك بثلاثه أحكام فاختر أيهنّ شئت.

قال: و ما هنّ يا أمير المؤمنين؟

قال: ضربه بالسيف فى عنقك بالغه ما بلغت، أو دهداه من جبل مشدود اليدين و الرجلين، أو إحراق بالنار.

فقال: يا أمير المؤمنين أيهنّ أشدّ علىّ؟

قال: الإحراق بالنار.

قال: فإنّى قد اخترتها يا أمير المؤمنين.

قال: فخذ لذلك أهبتك.

فقال: نعم.

فقام فصلّى ركعتين، ثمّ جلس فى تشهّده فقال: اللّهمّ إنّى قد أتيت من الذنب ما قد علمته، و إنّنى تخوّفت من ذلك فجئت إلى وصىّ رسولك و ابن عمّ نبيّك فسألته أن يطهّرنى، فخيّرنى بين ثلاثه أصناف من العذاب، اللّهمّ فإنّى قد اخترت أشدّها، اللّهمّ فإنّى أسألك أن تجعل ذلك كفّاره لذنوبى، و أن لا تحرقنى بنارك فى آخرتى.

ثمّ قام و هو باك، ثم جلس فی الحفره التی حفرها له أمیر المؤمنین علیه السّلام و هو یری النار تتأجّج حوله.

فبکی أمیر المؤمنین علیه السّلام و بکی أصحابه جمیعا، فقال له أمیر المؤمنین علیه السّلام: قم یا هذا فقد أبکیت ملائکه السماء و ملائکه الأرض، فإنّ اللّه قد تاب علیک، فقم لا تعاودنّ شیئا ممّا قد فعلت(۱).

ص:۳۰۷

۱- فروع الکافی: ج ۷، ص ۲۰۱-۲۰۲.

العفو عن القائل لنجاته بريئا باعترافه

روى أنه جاؤوا الإمام على عليه السّلام برجل وجد فى خربه بيده سكين ملطخه بالدم، و بين يديه قتيل غارق فى دمه، فسأله أمير المؤمنين على عليه السّلام فقال الرجل: «أنا قتلته».

قال: «اذهبوا به فاقتلوه».

فلما ذهبوا به، أقبل رجل مسرعا، فقال:

«يا قوم لا تعجلوا ردّوه إلى أمير المؤمنين، فردّوه».

فقال الرجل: «يا أمير المؤمنين: ما هذا صاحبه، أنا قتلته».

فقال علىّ للرجل الأوّل: «ما حملك على أن قلت، أنا قاتله، و لم تقتله».

قال: «يا أمير المؤمنين، و ما أستطيع أن أصنع و قد وقف العسس على الرجل يتشحّط فى دمه، و أنا واقف، و فى يدى سكين، و فيها أثر الدم، و قد أخذت فى خربه؟.. ألا يقبل منى

و أضرب على ذلك ثم أقتل فاعترفت بما لم أصنع، و احتسبت نفسی عند اللّه»!

فقال علیّ: «بئسما صنعت. فكیف كان حدیثك»؟.

قال الرجل: «إنی رجل قصّاب، خرجت إلی حانوتی فی الغلس، فذبحت بقره و سلختها، فبینما أنا أسلخها و السكّین فی یدی أخذنی البول، فأتیت خربه كانت بقربی فدخلتها، فقضیت حاجتی، وعدت أرید حانوتی، فإذا أنا بهذا المقتول یتشحّط فی دمه فراعنی أمره، فوقفت أنظر إلیه و السكین فی یدی فلم أشعر إلّا بأصحابك قد وقفوا علیّ، فأخذونی. فقال الناس: هذا قتل هذا ما له قاتل سواه، فأدركت أنك لا تترك قولهم لقولی، فاعترفت بما لم أجنه».

فسأل علیّ الرجل الثانی الذی أقرّ بالقتل: «فأنت كیف كانت قصتك»؟.

قال: «أغوانی إبلیس، فقتلت الرجل طمعا فی ماله، ثم سمعت حسّ العسس فخرجت من الخربه، و استقبلت هذا القصّاب علی الحال التی وصف، فاستترت منه ببعض الخربه حتی أتی العسس، فأخذوه و أتوك به فلما أمرت یا أمیر المؤمنین بقتله علمت أنی سأبوء بدمه أیضا، فاعترفت بالحق».

فقال علیّ لابنه الحسن: «ما الحكم فی هذا»؟.

ص:۳۰۹

فقال الحسن: «یا أمیر المؤمنین إن کان قد قتل نفسا فقد أحیا نفسا. و قد قال اللّه تعالی: وَ مَنْ أَحْیاها فَکَأَنَّما أَحْیَا النّاسَ جَمِیعاً (۱).

فأقرّ الإمام الحکم، و خلّی عن الرجلین، و أخرج دیّه القتیل من بیت المال»(۲).

۱- سوره المائده، الآیه: ۳۲.

۲- فروع الکافی: ج ۷، ص ۲۸۹-۲۹۰.

التوسل باللاشعور للكشف عن الحقيقه

روى «أنّ رجلا أقبل على عهد على عليه السّلام من الجبل حاجّا و معه غلام له، فأذنب فضربه مولاه، فقال: ما أنت مولاى بل أنا مولاك.

فما زال كل واحد منهما يتواعد الآخر و يقول: كما أنت حتّى نأتى الكوفه يا عدوّ اللّه فأذهب بك إلى أمير المؤمنين عليه السّلام.

فلمّا أتيا الكوفه أتيا أمير المؤمنين عليه السّلام فقال الذى ضرب الغلام:

أصلحك اللّه إنّ هذا غلام لى و إنّه أذنب فضربته، فوثب علىّ.

و قال الآخر: هو و اللّه غلام لى أرسلنى أبى معه ليعلّمنى، و إنّه وثب علىّ يدّعينى ليذهب بمالى.

فأخذ هذا يحلف و هذا يحلف، و ذا يكذّب هذا و ذا يكذّب هذا.

فقال على عليه السّلام: فانطلقا فتصادقا فى ليلتكم هذه، و لا تجيئانى إلّا بحقّ.

فلمّا أصبح أمير المؤمنين عليه السّلام قال لقنبر: اثقب فى الحائط ثقبين - و كان إذا أصبح عقّب حتّى تصير الشمس على رمح - فجاء الرجلان و اجتمع الناس، فقالوا: لقد وردت علينا قضيّه ما ورد علينا مثلها لا يخرج منها، فقال لهم أمير المؤمنين عليه السّلام:

قوما فإنّى لست أراكما تصدقان، ثمّ قال لأحدهما:

أدخل رأسك فى هذا الثقب، و قال للآخر: أدخل رأسك فى ذلك الثقب ثمّ قال: يا قنبر علىّ بسيف رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم عجّل اضرب رقبه العبد منهما، قال: فأخرج الغلام رأسه مبادرا و مكث الآخر فى الثقب، فقال على عليه السّلام للغلام:

أ لست تزعم أنّك لست بعبد؟

قال: بلى و لكنّه ضربنى و تعدّى علىّ!

فتوثّق له (أخذ منه المواثيق) أمير المؤمنين و دفعه إليه(۱).

ص:۳۱۲

۱- قضاء أمير المؤمنين: ص ۷. و الجدير بالذكر أن بعض الحكّام فى العصور المتأخره أخذ هذا الحكم عن أمير المؤمنين عليه السّلام، فقد ترافع إليه فى قتيل، و التهمه موجّهه إلى جماعه، و لم يتمكّن من تشخيص القاتل من بينهم، مع كثره المرافعات، و فى آخر جلسه، صرخ فيهم جميعا: «لقد برأتكم المحكمه فاذهبوا إلى بيوتكم»، و فيما هم يهمّون بالخروج، صاح فيهم: القاتل يقف. فتوقّف أحدهم، و أخيرا اعترف بالحقيقه.

التوسّل بعاطفه الأمومه لمعرفه الحقيقه

روى أن امرأتين تنازعتا على عهد عمر فى طفل ادّعته كلّ واحده منهما ولدا لها بغير بيّنه، و لم ينازعهما فيه غيرهما، فالتبس الحكم فى ذلك على عمر، و فزع فيه إلى أمير المؤمنين عليه السّلام، فاستدعى المرأتين و وعظهما و خوّفهما فأقامتا على التّنازع و الاختلاف.

فقال عليه السّلام عند تماديهما فى النزاع:

«ائتونى بمنشار».

فقالت المرأتان: و ما تصنع؟

فقال: أقدّه نصفين لكلّ واحده منكما نصفه، فسكتت إحداهما، و قالت الأخرى:

اللّه اللّه يا أبا الحسن، إن كان لا بدّ من ذلك فقد سمحت به لها.

ص:۳۱۳

فقال: اللّه أكبر هذا ابنک دونها، و لو کان ابنها لرقّت علیه و أشفقت.

فاعترفت المرأه الأخری أنّ الحق مع صاحبتها و الولد لها دونها، فسری عن عمر و دعا لأمیر المؤمنین علیه السّلام بما فرّج عنه فی القضاء(۱).

ص:۳۱۴

۱- الإرشاد: ص ۹۶.

تشریعات لأصحاب الحیوانات

لم تکن قد وضعت أیه تشریعات، أو أصول قانونیه فیما یرتبط بإتلاف حیوان یملکه شخص، لحیوان آخر، أو لممتلکات الآخرین، و کانت الذهنیه العامه تعتقد أن الحیوان، حیوان فلا یترتّب علی عمله أی شیء. أفهل یعقل مثلا حبس حیوان، أو مقاضاته علی تصرّفاته؟.

کان الأمر کذلک، حینما وقعت الحادثه التالیه:

«کان رسول اللّه جالسا مع علیّ و جماعه من الصحابه فجاء خصمان فقال أحدهما: «یا رسول اللّه إن لی حمارا، و إن لهذا بقره، و إن بقرته قتلت حماری».

فقال رجل من الحاضرین: «لا ضمان علی البهائم».

فقال النبی: «اقض بینهما یا علیّ».

فقال علیّ لهما: «أکانا مرسلین أم مشدودین أم کان أحدهما مشدودا و الثانی مرسلا»؟.

فقالا: «كان الحمار مشدودا و البقره مرسله و صاحبها معها».

فقال علىّ: «على صاحب البقره ضمان الحمار» (أى تعويضه).

فأقرّ رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حكمه و أمضى قضاءه. و قال:

«أقضاكم علىّ»(۱).

ص:۳۱۶

۱- على إمام المتّقين: ج ۲، ص ۷۴.

أحكام صائبه و أخلاقيات رفيعه

كانت للإمام على عليه السّلام أحكام صائبه، فى قضايا كثيره من الأمور المشكله و القضايا الصعبه، و بعضها كان فى حدّ ذاته طريفا.

و فى الحق، فإن أحكام الإمام و قضاءه، هو الحق الذى لا لبس فيه، ألم يقل فيه رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم: «علىّ مع الحق و الحق مع علىّ يدور معه حيثما دار»(۱).

و إذا كان البعض يرى قضاء الإمام «اجتهادا» فى الرأى من قبله، فهو بلا شك اجتهاد قائم على كتاب اللّه و سنّه نبيّه و العقل الحصيف و الأخلاق الرفيعه.

نماذج من الاحكام الصائبه و الاخلاقيات الرفيعه

و فيما يلى نماذج من ذلك..

۱- كلمه الرسول الأعظم.

۱

«حین قاد خالد بن الولید أحد جیوش الفتح کتب إلی الخلیفه أبی بکر: «وجدت فی بعض ضواحی العرب رجلا ینکح کما تنکح المرأه فما عقابه»؟.. و لم یجد أبو بکر نصّا فی القرآن و لا فی السّنّه عن جزاء هذه الجریمه.. فجمع نفرا من الصحابه فسألهم، و فیهم علیّ بن أبی طالب، و کان أشدّهم یومئذ قولا. قال: «إن هذا ذنب لم تعص به أمه من قبل إلّا قوم لوط، فعمل بها ما قد علمتم فأحرقهم اللّه تعالی و أحرق دیارهم. أری أن تحرقوه بالنار».

فکتب أبو بکر إلی خالد «أحرقه بالنار»(۱).

۲

سئل الإمام علی علیه السّلام عن فداء أسری المسلمین الجرحی من أیدی المرتدّین فقال: «نفادی من کانت جراحاته بین یدیه دون من کانت من ورائه، فإنه فار»(۲).

۳

جاء رجل إلی رسول اللّه صلّی اللّه علیه و آله و سلّم و علیّ یومئذ بالیمن فقال الرجل: «شهدت علیّا أتی فی ثلاثه نفر ادّعوا ولد امرأه.

ص:۳۱۸

۱- علی إمام المتّقین: ج ۱، ص ۷۴.
۲- المصدر السابق: ص ۷۵.

فطلب عليّ من كل واحد منهم أن يدع الولد للآخر، فأبوا جميعا قال: أنتم شركاء مشاكسون، و سأقرع بينكم فأيّكم أصابته القرعه فهو له و عليه ثلثا الديّه». فضحك رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم حتى بدت نواجذه، و قال: «ما أعلم فيها إلاّ ما قاله عليّ»(۱).

۴

«جاؤوا برجل إلى عمر بن الخطاب سأله جماعه من الناس: كيف أصبحت؟».

فقال: «أصبحت أحب الفتنه، و أكره الحق، و أصدق اليهود و النصارى، و أؤمن بما لم أره، و أقرّ بما لم يخلق».

فأرسل عمر إلى على عليه السّلام، فلما جاءه أخبره بمقاله الرجل.

فقال عليّ ضاحكا: «صدق الرجل. قال اللّه تعالى:

إِنَّما أَمْوالُكُمْ وَ أَوْلادُكُمْ فِتْنَهٌ (۲) فهو يحب المال و البنين. و هو يكره الحق يعني الموت. قال تعالى: وَ جاءَتْ سَكْرَهُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ذلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ (۳). و يصدق اليهود

ص:۳۱۹

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۷۴.

۲- سوره التغابن، الآيه: ۱۵.

۳- سوره ق، الآيه: ۱۹.

و النصارى وَ قالَتِ الْيَهُودُ لَيْسَتِ النَّصارى عَلى شَىْ ءٍ وَ قالَتِ النَّصارى لَيْسَتِ الْيَهُودُ عَلى شَىْ ءٍ (۱) و هو يؤمن بما لم يره أى يؤمن باللّه عزّ و جلّ، و يقرّ بما لم يخلق يعنى الساعه».

فضحك عمر و أطلق سراح الرجل!(۲).

۵

روى «أنه أتى عمر بن الخطاب بامرأه قد تعلّقت بشاب من الأنصار، و كانت تهواه فلما لم يساعدها احتالت عليها، فأخذت بيضه فألقت صفرتها، و صبّت البياض على ثوبها و بين فخذيها.. ثم جاءت بالشاب إلى عمر صارخه، فقالت:

«هذا الرجل غلبنى على نفسى و فضحنى فى أهلى و هذا أثر فعاله».

فسأل عمر النساء فقلن له: «إن ببدنها و ثوبها أثر المنى».

فهمّ عمر بعقوبه الشاب، فجعل الشاب يستغيث و يقول:

«يا أمير المؤمنين، تثبّت فى أمرى، فو اللّه ما أتيت بفاحشه، و لا هممت بها، فلقد راودتنى عن نفسى فاعتصمت». فقال

۱- سوره البقره، الآيه: ۱۱۳.

۲- المصدر السابق: ص ۱۱۰.

عمر (رضی اللّه عنه) لعلیّ بن أبی طالب علیه السّلام: «یا أبا الحسن ما تری فی أمرهما»؟

فنظر علی علیه السّلام إلی المرأه یقرأ صفحه وجهها، و نظر إلی ما علی الثوب، ثم دعا بماء حار شدید الغلیان، فصبّه علی الثوب فجمد ذلک البیاض، ثم أخذه و اشتمّه و ذاقه، فعرف رائحه البیض و طعم القلی، و زجر المرأه فاعترفت! فأطلق الشاب البریء، و أقیم علیها حدّ القذف(۱)..

۶

سئل أمیر المؤمنین عن رجل ضرب رجلا علی هامته، فادّعی المضروب أنه لا یبصر شیئا، و لا یشمّ رائحه، و أنه قد ذهب لسانه..

فقال الإمام: «إن صدق فله ثلاث دیّات».

فقیل له: «و کیف نعلم صدقه، یا أمیر المؤمنین»؟.

فقال: «أما ما ادّعاه أنه لا یشمّ رائحه، فإنه یدنی منه الحراق، فإن کان کما یقول فلن یفعل شیئا، و ألاّ ینحّی رأسه و تدمع عیناه. و أمّا ما ادّعاه فی عینه، فإنه یقابل بعینیه الشمس، فإن کان کاذبا لم یتمالک حتی یغمض عینیه، و إن

۱- فروع الکافی: ج ۷، ص ۴۲۲.

کـان صادقـا بقیتا مفتوحتین. و أمّا ما ادّعاه فی لسانه، فإنه یضـرب علی لسانه بإبره فإن خرج الـدمّ أحمر فقـد کـذب، و إن خرج الدم أسود فقد صدق(۱).

۷

جاء رجلان إلی امرأه من قریش، فاستودعاها مائه دینار و قالا: «لا تدفعیها إلی واحد منّا، دون صاحبه حتی نجتمع».

فلبثا عاما ثم جاء أحـدهما إلیها، و قال: «إن صاحبی قـد مات فادفعی إلیّ الدنانیر»، فأبت المرأه. فثقل الرجل بأهلها، فلم یزالوا بها حتی دفعتها إلیه.

ثم لبث عام آخر، فجاء الرجل الثانی، و قال لها: «ادفعی إلیّ الدنانیر»!.

فقالت: «إن صاحبک جاءنی، و زعم أنک قد متّ، فدفعتها إلیه».

فاختصما إلی عمر بن الخطاب، فأراد أن یقضی علیها بالضمان فقد قال لها: «ما أراک إلّا ضامنه».

فقـالت: «أنشـدک اللّه أن لاـ تقضـی بیننـا، و ارفعنـا إلی علیّ بن أبی طالب» فرفعهما إلی علی علیه السّلام فعرف الإمام أنهما قد مکرا بها.

۱- الوسائل: ج ۱۹، ص ۲۷۹.

فقال للرجل: «أ ليس قلتما، لا تدفعيها إلى واحد منّا دون صاحبه»؟.

قال الرجل: «بلى، فلم دفعتها إلى صاحبى»؟.

فقال الإمام: «إن مالك عندنا، فاذهب فجئ بصاحبك حتى ندفعه لكما».

فبلغ قضاء الإمام إلى عمر فقال: لا أبقانى اللّه لمعضله ليس لها أبو الحسن(۱).

۸

روى: «أن رجلين اصطحبا فى سفر، فلما أرادا الغداء، أخرج أحدهما من زاده خمسه أرغفه، و أخرج الآخر ثلاثه أرغفه، فمرّ بهما عابر سبيل، فدعوه إلى طعامهما. فأكل الرّجل معهما حتى لم يبق شىء، فلمّا فرغوا، أعطاهما الضيف ثمانيه دراهم، ثواب ما أكله من طعامهما.

فقال صاحب الثلاثه أرغفه لصاحبه: «اقسمها نصفين بينى و بينك».

و قال صاحب الخمسه: «لا. بل يأخذ كل منّا من الدراهم على عدد ما أخرج من الزاد».

فأتيا أمير المؤمنين عليه السّلام فى ذلك، فلمّا سمع مقالتهما قال

۱- ذخائر العقبى: ص ۸۰.

لهما: «اصطلحا، فإن قضيّتكما دنيّه. فقالا: بل اقض بيننا بالحق.

فقضى الإمام لصاحب الخمسه أرغفه بسبعه دراهم، بينما قضى لصاحب الثلاثه أرغفه بدرهم واحد! و لما سألاه عن السبب فى هذا الحكم قال عليه السّلام:

«أ ليس أخرج أحدكما من زاده خمسه أرغفه، و أخرج الآخر ثلاثه؟».

قالا: «نعم».

قال عليه السّلام: «أ ليس أكل ضيفكما معكما، مثل ما أكلتما»؟، قالا: «نعم».

قال عليه السّلام: «أ ليس أكل كل واحد منكما ثلاثه أرغفه غير ثلث»؟، قالا: «نعم».

قال عليه السّلام: «أ ليس أكلت أنت يا صاحب الثلاثه، ثلاثه أرغفه إلّا ثلثا، و أكلت أنت يا صاحب الخمسه، ثلاثه أرغفه إلّا ثلثا، و أكل الضيف مثلكما، ثلاثه أرغفه إلّا ثلثا؟ أ ليس قد بقى لك يا صاحب الثلاثه أرغفه، ثلث رغيف من زادك، و بقى لك يا صاحب الخمسه، رغيفان و ثلث، و أكلت ثلاثه أرغفه إلا ثلثا. فأعطاكما لكل ثلث رغيف درهما، فأعطى صاحب

«الرغيفين و ثلث» سبعه دراهم، و أعطى صاحب الثلاثه أرغفه، و حصّته مما أكل منه الثلث: درهما واحدا(۱).

۹

جاءت امرأه إلى الإمام فقالت: «إن زوجى وقع على جاريتى بغير أمرى».

فقال للرجل: «ما تقول»؟.

قال: «ما وقعت عليها إلّا بأمرها».

فقال على: «إن كنت صادقه رجمته، و إن كنت كاذبه جلدتك حدّ القذف» (ثمانين جلده)!..

و أقيمت الصلاه، فقام علىّ كرّم اللّه وجهه ليصلّى.

و فكّرت المرأه، فلم تر لها فرجا فى أن يرجم زوجها، و لا فى أن تجلد، فولّت هاربه، و لم يسأل علىّ عنها!(۲)..

۱۰

يروى أن عليّا عليه السّلام كان فى مجلس يعلّم الناس بالمسجد، إذ سمع ضجه، فلما سأل عنها قيل له: «رجل سرق و معه من يشهد عليه».

۱- أئمتنا: ص ۷۵.

۲- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۰۸.

فشهد شاهدان علیه أنه سرق، فجعل الرجل یبکی، و یناشد علیّا أن یتثبّت فی أمره.

فخرج الإمام إلی الناس بالسوق، فدعا بالشاهدین، فناشدهما اللّه و خوّفهما، فأقاما علی شهادتهما، فلما رآهما لا یرجعان دعا بالسکین و قال: «لیمسک أحدکما یده و یقطع الآخر». فتقدّما لیقطعاه، فهاج الناس، و اختلط بعضهم ببعض.

و قام علیّ من مکانه، فترک الشاهدان الرجل، و هربا.

و عاد علیّ فقال: «من یدلّنی علی الشاهدین الکاذبین»؟ فلم یعثر الناس لهما علی أثر.

و قد قال علیّ: «یبدأ الشهود بالرجم إذا شهدوا بالزنی، فإن کانوا کاذبین، لم یستطیعوا أن یرجموا»(۱).

۱۱

کان عمر یتمشّی فی الأسواق و الأزقّه ذات لیله، فسمع امرأه تتوجّع فی فراشها مهمهمه:

لقد طال هذا اللیل و ازورّ جانبه و لیس إلی جنبی خلیل ألاعبه

۱- المصدر السابق: ص ۱۰۹.

فو اللّه لو لا اللّه تخشى عواقبه لزلزل من هذا السرير جوانبه

مخافه ربى و الحياء يعفنى و إكرام بعلىّ أن تنال مراتبه

و تألم عمر مما سمع!!

فلما أصبح الصباح، حكى لعلى ما سمعه، فلم يجد علىّ فيما قالته المرأه ما يستوجب العقاب، و إن كان فيه ما يعاب!

و رأى عمر أن يرسل إلى المرأه فيسألها عمّا سمعه البارحه.. فأشار علىّ بأن يسأل عنها، قبل أن يروّعها بسؤالها عن همهمتها.

فسأل عنها فقالوا: «هى امرأه فلان و له فى الغزاه ثمانيه أشهر». فسأل بعض نساء بيته عن أقصى ما تستطيع المرأه أن تصبر عن زوجها من غير عنت أو تكلّف، فقلن له: «أربعه أشهر».

فأمر ألّا يغيب الرجل عن زوجته أكثر من أربعه أشهر..(۱).

۱۲

و رفعت إلى عمر قضيه امرأه ولدت لسته أشهر، فأمر

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۲۲.

برجمها فجاءت أختها إلى علىّ تستصرخه. فذهب إلى عمر و قال: «إن اللّه عزّ و جلّ يقول: وَ الْوالِداتُ يُرْضِعْنَ أَوْلادَهُنَّ حَوْلَيْنِ كامِلَيْنِ (۱). و قال تعالى: وَ حَمْلُهُ وَ فِصالُهُ ثَلاثُونَ شَهْراً (۲).

فالفصال أربعه و عشرون شهرا و الحمل سته أشهر، تلك ثلاثون شهرا».

فخلّى عمر سبيلها و قال: «أعوذ باللّه من معضله ليس لها أبو الحسن»(۳).

۱۳

و بلغ عمر بن الخطاب أن امرأه بغيه يدخل عليها الرجال، فبعث إليها رسولا فأتاها الرسول فقال لها: «أجيبى أمير المؤمنين». ففزعت المرأه فزعا شديدا، فأجهضها الفزع، و أسقطت حملها ميتا، فحزن عمر و أرسل إلى بعض الصحابه، فقصّ عليهم ما كان من أمره و أمر المرأه فقالوا: «ما نرى عليك شيئا يا أمير المؤمنين، إنما أنت معلم و مؤدّب». فسأل عليّا، فقال علىّ: «إن كانوا قاربوك فى الهوى فقد أثموا، و إن

۱- سوره البقره، الآيه: ۲۲۳.

۲- سوره الأحقاف، الآيه: ۱۵.

۳- قضاء أمير المؤمنين.

كان هذا جهد رأيهم فقد أخطأوا. و أرى عليك الديّه». فقال عمر: «صدقت يا أبا الحسن».

ثم عاد يكرر: «و اللّه لو لا علىّ لهلك عمر. أعوذ باللّه من معضله لا علىّ لها»(۱).

۱۴

و جاؤوا عمر بامرأه حامل قد اعترفت بالفجور، فأمر برجمها، فقال له على: «هذا سلطانك عليها فما سلطانك على ما فى بطنها»؟ فأطلقها عمر حتى تضع حملها.

و جاؤوا عمر بامرأه أجهدها العطش، فمرّت على راع فاستسقته فأبى إلّا أن تمكّنه من نفسها، ففعلت فشاور الناس فى رجمها فقال علىّ: «هذه مضطره، فخلّ سبيلها». و أشار برجم الراعى وحده. و أخذ عمر بهذا الرأى(۲).

۱۵

استشار عمر عليا فى رجل و امرأه مرّ بهما عمر فى دجى الليل، فوجد بينهما ما بين الرجل و زوجته، و فى الصباح علم أنهما ليسا زوجين، فأمر بأن يحدّا.

و لكن عليا عليه السّلام قال له: «أجئت عليهما بأربعه شهداء».

۱- على إمام المتّقين: ج ۱، ص ۱۱۰.
۲- المصدر السابق: ص ۱۰۴.

فقال عمر إنه هو الذى شهدهما وحده، فأفتاه على عليه السّلام بأنه لا يحقّ له أن يحكم بعلمه هو وحده. فعسى أن يكون قد شبّه له، أو أخطأ، فلا بد من الشهداء كما نصّ القرآن و جرت السّنّه(۱).

۱۶

روى «أن عمر استشار عددا من الصحابه فى امرأه قد زنت، و شهد عليها أربعه شهداء عدول، فأجمعوا على رجمها، فلما ذهبوا ليرجموها، مرّ بهم الإمام على عليه السّلام فقال:

«ما شأن هذه»؟. قالوا: «مجنونه بنى فلان زنت فأمر بها أن ترجم».

فانتزعها علىّ من أيديهم، و ردّهم، فرجعوا إلى عمر، فقال: «ما ردّكم»؟. قالوا: «ردّنا علىّ».

فقال عمر: «ما فعل أبو الحسن هذا إلّا لشىء قد علمه».

فجاء علىّ شبه غاضب، فسأله عمر: «ما بالك قد رددت هؤلاء»؟. فقال علىّ: «أما سمعت قول رسول اللّه صلّى اللّه عليه و آله و سلّم رفع القلم عن ثلاث: عن المجنون حتى يبرأ، و عن النائم حتى يستيقظ، و عن الصبىّ حتى يعقل»؟.

قال عمر: «بلى».

ص:۳۳۰

۱- المصدر السابق: ص ۱۰۲.

فقال الإمام: «فهذه مبتلاه (مجنونه) بنی فلان، فلعله أتاها الرجل و هو (الجنون) بها».

قال عمر: «لا أدری».

فقال الإمام: «و أنا لا أدری»!

فترک رجمها للشکّ فی عقلها حین الزنی(۱).

۱- عبقریه الإمام علی علیه السّلام: ص ۱۷۱.

الفهرس

أخلاقيات الحاكم ۷

اعتماد الشورى فى الحكم ۹

حقوق متبادله ۱۴

الأوّل - تأمين الحرّيات ۲۰

أولا - حريه إبداء الرأى ۲۲

ثانيا - حرّيه الاجتماع و التنظيم ۲۴

ثالثا - حريه المعارضه ۲۵

الثانى - حاكميه الناس ۲۶

الثالث - قداسه القانون ۵۹

الرابع - احترام حقوق الإنسان ۶۳

الاعتراف بحق المعارضه ۶۵

الالتزام بالعدل ۹۴

أولا: التزام العدل فى تقسيم أموال العامه و هو يعنى أمرين ۱۱۱

ثانيا - إنصاف المظلومين ۱۱۷

ثالثا - الامتناع عن التعدّی و البغی ۱۱۹

رابعا - الامتناع عن الکبر، و التکبر، و الترفّع عن الناس ۱۲۰

خامسا - التشدّد مع المسؤولین لمصلحه العامه ۱۲۶

سادسا - الاهتمام بحاجات الناس، و طلبات الولاه ۱۲۶

سابعا - مساعده الجمیع، و اللطف بهم ۱۲۹

ثامنا - المساواه، و عدم التمییز ۱۳۲

تاسعا - مجازاه المسیء، و الإحسان إلی المحسنین ۱۵۱

عاشرا - الاهتمام بعامه الناس دون الخاصه منهم ۱۵۳

الحادی عشر - التزام الحق فی جبایه الضرائب ۱۵۴

التشدد مع النفس ۱۵۵

التشدّد مع الأقرباء ۱۶۱

التشدّد مع المسؤولین ۱۷۰

مواجهه المتکبرین بالحزم ۱۹۰

الاحتیاط فی إراقه الدماء ۱۹۷

إنصاف العدو ۲۰۶

العفو مع الاقتدار ۲۳۲

الرفق فی جبایه الخراج ۲۴۶

الاهتمام الشخصی بالأیتام ۲۵۴

اعتماد لغه الرحمه فی القضاء ۲۵۹

لا حکم علی من لا یعرف الحکم ۲۶۱

إلغاء الحدّ مع الاضطرار ۲۶۳

إثاره الوجدان و الضمیر للتراجع عن الرجل ۲۶۵

اعتماد الحقائق العلمیه فی المسائل القضائیه ۲۶۹

التشدّد مع المحتالین و الذین یؤذون الناس ۲۷۲

الاقتصاص من الباطل ۲۷۶

ثلاث نساء و ثلاث قضایا ۲۷۹

أما مع الأرمله ۲۸۳

أمّا الزانیه ۲۸۵

التدقیق فی الشهود للاحتیاط فی إجراء الحدود ۲۹۱

التوبه فی البیت أفضل من إقامه الحدّ علی الملأ ۳۰۲

العفو عن القائل لنجاته بریئا باعترافه ۳۰۸

التوسل باللاشعور للکشف عن الحقیقه ۳۱۱

التوسّل بعاطفه الأمومه لمعرفه الحقیقه ۳۱۳

تشریعات لأصحاب الحیوانات ۳۱۵

أحکام صائبه و أخلاقیات رفیعه ۳۱۷

ص:۳۳۵

تعریف مرکز

بسم الله الرحمن الرحیم

هَلْ یَسْتَوِی الَّذِینَ یَعْلَمُونَ وَالَّذِینَ لَا یَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

عنوان المکتب المرکزی

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده ای، زقاق الشهید محمد حسن التوکلی، الرقم ۱۲۹، الطبقة الأولی.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البرید الالکترونی : Info@ghbook.ir

هاتف المکتب المرکزی ۰۳۱۳۴۴۹۰۱۲۵

هاتف المکتب فی طهران ۸۸۳۱۸۷۲۲ ـ ۰۲۱

قسم البیع ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹شؤون المستخدمین ۰۹۱۳۲۰۰۰۱۰۹.

مركز القائمية اصفهان للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المــركز من فضلــكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاءِ من فضلكم
۰۹۱۳ ۲۰۰۰ ۱۰۹